الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منتوري – قسنطينة-

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

دور المسجد في نشر الثقافة البيئية

- مساجد بلدية عين اعبيد نموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع البيئي

إعداد الطالب:
- ذيب فيصل

إشراف:
- أ.د/ فيلالي صالح

لجنة المناقشة:

- أ.د/ بوعناقة علي (رئيســــــــا) – جامعة منتوري قسنطينة
- أ.د/ فيلالي صالح (مشرفا ومقررا) – جامعة منتوري قسنطينة
- د/ بولماين نجيب (عضــــــــوا) – جامعة منتوري قسنطينة
- د/ زردومي أحمد (عضــــــــوا) – جامعة منتوري قسنطينة

السنة الجامعية 2008-2009

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة 1

الباب الأول:الإطار التصوري والنظري للدراسة

I - الفصل الأول:موضوع الدراسة

تمهيد 5
I-1- إشكالية الدراسة..... 6
I-2- أهمية الدراسة..... 8
I-3- مبررات اختيار الدراسة..... 8
I-4- أهداف الدراسة..... 9
I-5- المفاهيم المستخدمة في الدراسة..... 9
I-6- الدراسات المشابهة..... 23
الخلاصة..... 28

II - الفصل الثاني: الثقافة البيئية

تمهيد..... 30
II-1- عناصر الثقافة البيئية..... 31
II-2- الثقافة البيئية في الدول المتطورة..... 43
II-3- الثقافة البيئية في الدول النامية..... 45
II -4- استراتيجية الجزائر البيئية..... 49
II-5- التنشئة الاجتماعية و الثقافة البيئية..... 51
خلاصة..... 59

III- الفصل الثالث:المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئية

تمهيد..... 61
III-1- الحضارة الإنسانية وعلاقاتها بالبيئة عبر التاريخ 62
III-2- المدارس الكبرى لدراسة البيئة 63
III-3- الاتجاهات النظرية في علم اجتماع البيئة..... 73
خلاصة..... 77

IV - الفصل الرابع: البعد الإسلامي لنشر الثقافة البيئية من خلال المسجد
تمهيد.....79
IV-1- لغة البيئة في التراث العربي والإسلامي 80
IV-2- التصور الثقافي لحقيقة البيئة 82
IV -3- المسجد.....87
IV -4 -المسجد و الثقافة البيئية.....97
IV -5- نشاط نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة بخصوص قضايا البيئة: 103
الخلاصة.....106

الباب الثاني:الدراسة الميدانية

VI - الفصل الخامس:الإجراءات المنهجية للدراسة
تمهيد.....109
VI-1- مجالات الدراسة.....110
VI-2- نوع الدراسة.....116
VI-3- المناهج المستخدمة في الدراسة.....119
VI-4- المعاينة.....123
VI-5- أدوات جمع البيانات.....127
VI-6- أسلوب التحليل.....130
الخلاصة.....131
VII - الفصل السادس:تكميم وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة
تمهيد.....133
VII-1- تكميم و تحليل البيانات الميدانية.....134
VII-2- نتائج الدراسة.....151
خاتمة 162
المراجع.....163
الملاحق.....171

الإهـــداء

- إلى والدي الكريمين حفظهما الله.
- إلى زوجتي الغالية وابنتيّ وقرتي عيني منة الله و حنين
- إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.
- إلى كل رفقاء الدرب.
- إلى كل طالب علم.
- إلى كل من نصر الله ورسوله ـصلى الله عيه وسلم-.
- إلى كل مسلم مدافع عن الحق.
- أهدي هذا العمل المتواضع . . .

كلمة شكر وتقدير

أشكر **الله** سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنهاء هذا العمل المتواضع، ثم أتقدم بشكري الجزيل وامتناني الكبير إلى أستاذي القدير الأستاذ الدكتور/**صالح فيلالي**، الذي تواضع وقبل أن يشرف عليّ، ولم يتوان ولو للحظة عن إمدادي بكل أنواع الدعم، وأشكره على صبره الجميل معي، وعن المعلومات القيمة التي أفادني بها في كل مراحل بحثي ناهيك عن التوجيهات والنصائح المفيدة التي لولاها لما تمكنت من إتمام عملي بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد حتى ولو بالنصيحة، لإتمام وإنجاز هذه الرسالة، خاصة الأستاذ القدير ورفيق الدرب أ. عادل قيطوني والأخت القديرة وافية مجمج.

قائمة الجداول

1- جداول الدراسة:

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
جدول رقم 01	يمثل إحصائيات السكن لبلدية عين أعبيد لسنة 2008	112
جدول رقم 02	يمثل إحصائيات السكان لبلدية عين أعبيد لسنة 2008	112
جدول رقم 03	يمثل اختيار العينة في المرحلة الأولى	126
جدول رقم 04	يمثل اختيار العينة في المرحلة الثانية	127

2- جداول الاستمارات:

2-1- جداول الاستمارة الخاصة بالأئمة:

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
جدول رقم 01	يمثل الحالة العائلية للمبحوثين	134
جدول رقم 02	يمثل مكان الإقامة للمبحوثين	134
جدول رقم 03	يمثل المستوى العلمي للمبحوثين	135
جدول رقم 04	يمثل شهادة التأهيل للوظيفة للمبحوثين	135
جدول رقم 05	يمثل الرتبة في الإمامة للأئمة للمبحوثين	136
جدول رقم 06	يمثل البرامج التي ترسلها نظارة الشؤون إلى الأئمة بخصوص نشر الثقافة البيئية	137
جدول رقم 07	يمثل الأساليب المتبعة من طرف الأئمة في تحسيس الرواد بالمشاكل البيئية	138
جدول رقم 08	يمثل مبادرات الأئمة بخصوص نشر الثقافة البيئية وطبيعتها	138
جدول رقم 09	يمثل مدى تجاوب رواد المساجد مع المبادرات التي يقوم بها الأئمة	139
جدول رقم 10	يمثل مدى تعاون السلطات المحلية في تحقيق هدف الأئمة من خلال المبادرات البيئية	140
جدول رقم 11	يمثل الدورات التكوينية الخاصة بالأئمة بخصوص قضايا البيئة	140
جدول رقم 12	يمثل تقييم الأئمة لعملية نشر الثقافة البيئية	141

2-2- جداول الاستمارة الخاصة برؤساء الجمعيات

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
جدول رقم 01	يمثل الحالة العائلية للمبحوثين	142
جدول رقم 02	يمثل مكان الإقامة للمبحوثين	142
جدول رقم 03	يمثل المستوى العلمي للمبحوثين	143
جدول رقم 04	يمثل اهتمام رؤساء الجمعيات بموضوع الثقافة البيئية بين رواد المساجد	144
جدول رقم 05	يمثل الجهات التي يعتمد عليها رؤساء الجمعيات في تحقيق أهدافهم	144
جدول رقم 06	يمثل طبيعة التعاون مع الجهات التي تنسق معها جمعيات المساجد	145
جدول رقم 07	يمثل مدى تنسيق الجمعيات مع الأئمة بخصوص تطبيق برنامج العمل	146
جدول رقم 08	يمثل مدى قناعة رؤساء الجمعيات بما يقدمه لهم الأئمة من مساعدات	147

2-3- جداول الاستمارة الخاصة برواد المساجد

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
جدول رقم 01	يمثل الحالة العائلية للمبحوثين	147
جدول رقم 02	يمثل مكان الإقامة للمبحوثين	148
جدول رقم 03	يمثل المستوى العلمي للمبحوثين	148
جدول رقم 04	يمثل مدى اهتمام رواد المساجد بموضوع البيئة	149
جدول رقم 05	يمثل الدور الذي يفترض أن يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية	150
جدول رقم 06	يمثل الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية على أرض الواقع	151

المقدمة

تعاني البشرية في الوقت الراهن من مشكلة تهدد حياتها، بسبب التدهور البيئي الذي يعانيه كوكب الأرض، وهذا راجع إلى السلوكات اللاعقلانية للإنسان تجاه البيئة، فأنانيته الفطرية جعلته يقدم مصلحته على حساب كل شيء في هذا الوجود ويسخره لأجلها، حتى أدى بالبيئة إلى هذا التدهور، أصبح الإنسان أول المهدَّدِين به، وعليه فقد أُجبر على إيجاد حلول عملية للنهوض بالبيئة وتفادي مشكلة بيئية يمكن أن تصيبه وفي أي وقت، ولعل من بين الحلول التي وجد الإنسان نفسه مضطرًّا إليها, هي نشر الثقافة البيئة وترسيخها لدى الإنسان لعلها تجعل هذا الأخير يعيد حساباته، فيما يخص استغلال موارد البيئة والمحافظة عليها.

ولعل المجتمعات الإسلامية ليست ببعيدة عن مسرح وتداعيات هذه المشكلة العالمية، فقد بدأت في وضع البرامج والآليات والحلول الممكنة للنهوض بالبيئة شأنها شأن دول العالم، كيف لا وهي تملك دستورا وتشريعا ربانيا مضبوطا ومحكما أيُّمَا إحكام، وهو الدين الإسلامي، الذي يتميز بالشمولية والعمق والدقة، في معالجة قضايا الإنسان مجتمعات وأفراد، فقد عالج الإسلام قضايا البيئة ببعديها الثقافي العقدي والمادي، والَّذَيْنِ يُعَدَّان أهم دعائم برنامج نشر الثقافة البيئية في الإسلام وهو الدين الوحيد الذي انفرد بهذا الطرح الرائع، في حين نجد أن الغرب قد ركز في وضع الحلول الممكنة على الجانب المادي فقط.

يُعَدُّ المسجد يعتبر أهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، يمكن من خلالها تطبيق هذا البرنامج الرباني ببعديه الثقافي والمادي، لأنه يُعَدُّ المُجَسِدُ الوحيد للإسلام كديانة ربانية، ونلاحظ ذلك من خلال الدور الكبير الذي لعبه في كل الحقب التاريخية للعالم الإسلامي، من ترسيخ للعقيدة الإسلامية وتكوين الفرد المسلم المؤمن السوي، وتطبيق للدستور الذي أُمِرنا بالسير على منهجه، وليست القضايا البيئية ببعيدة عن مواضيع القرآن والسنة، فلا بد وأن يكون للمسجد الدور الكبير في معالجة قضايا البيئة، انطلاقا من نشر الثقافة البيئية وترسيخها لدى رواد المساجد.

وعلى هذا الأساس دفعنا الفضول العلمي وروح البحث إلى معالجة الموضوع الموسوم بـ " **دور المسجد في نشر الثقافة البيئية**"، واتخذنا بلدية عين اعبيد كأنموذج لهذه الدراسة، وها نحن نقوم بدراسة عينة من مساجد مجتمع مسلم (المجتمع الجزائري)، لنقف بطريقة علمية وعملية وموضوعية على حقيقة الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية.

ولبلوغ هذا المسعى العلمي قمنا بتقسيم الدراسة إلى بابين:

- **الباب الأول:**

وضعناه تحت عنوان "**الإطار التصوري والنظري للدراسة**"، وقد قسم بدوره إلى خمسة فصول وهي:

 الفصل الأول (التمهيدي)

وتناولنا فيه" موضـوع الدراســة"، حيث اندرج تحته، إشكالية الدراسة، أهميتها، مبررات اختيارها، أهدافها، المفاهيم الأساسية المستخدمة فيها، وأخيرا الدراسات المشابهة.

 الفصل الثاني:

وجاء تحت عنوان "الثقافة البيئية"، وتناولنا فيه، عناصر الثقافة البيئية، الثقافة البيئية في الدول المتطورة، ثم في الدول النامية، استراتيجية الجزائر البيئية، وأخيرا التنشئة الاجتماعية والثقافة البيئية.

 الفصل الثالث:

وعنونَّاهُ بـ " المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئة"، وتناولنا فيه، الحضارة الإنسانية وعلاقتها بالبيئة عبر التاريخ، المدارس الكبرى لدراسة البيئة، الاتجاهات النظرية في علم اجتماع البيئة

الفصل الرابع:

وقد عنوناه بـ "البعد الإسلامي لنشر الثقافة البيئية من خلال المسجد"، وتناولنا فيه، لغة البيئة في التراث العربي والإسلامي، التصور الثقافي لحقيقة البيئة في الإسلام، المسجد، المسجد والثقافة البيئية، وأخيرا نشاط نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة بخصوص قضايا البيئة.

- **الباب الثاني:**

وعنونَّاهُ بـ " **الدراسة الميدانية**"، وقد قُسّم إلى فصلين هما:

 الفصل الخامس:

وجاء تحت عنوان "الإجراءات المنهجية للدراسة"، وتناولنا فيه، مجالات الدراسة، نوعها، المناهج المستخدمة فيها، المعاينة، أدوات جمع البيانات، وأخيرا أسلوب التحليل.

 الفصل السادس:

وعنونَّاهُ بـ " تكميم وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة"، وتناولنا فيه، تكميم وتحليل البيانات، ثم نتائج الدراسة، إضافة إلى القضايا التي يمكن أن تثيرها هذه الأخيرة، ثم الخاتمة، وأخيرا المراجع والملاحق.

الباب الأول
الإطار التصوري والنظري للدراسة

- الفصل الأول: موضوع الدراسة
- الفصل الثاني: الثقافة البيئية
- الفصل الثالث:المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئية
- الفصل الرابع: البعد الإسلامي لنشر الثقافة البيئية من خلال المسجد

الفصل الأول
موضوع الدراسة

تمهيد
I-1- إشكالية الدراسة
I-2- أهمية الدراسة
I-3- مبررات اختيار الدراسة
I-4- أهداف الدراسة
I-5- المفاهيم المستخدمة في الدراسة
I-6- الدراسات المشابهة
الخلاصة

تمهيد :

إن البحث في علم الاجتماع يُعدّ ذو أهمية كبيرة خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار درجة نجاح هذا البحث والتي تتوقف على الضبط الصحيح للخطة التي تتبع من طرف الباحث.

ولعل الفصل التمهيدي يعد من أهم خطوات البحث الناجح، حيث إنه يحتوي على عناصر من شأنها إنجاحه، خاصة إذا تعلق الأمر بطرح الإشكالية وضبط أو تحديد المصطلحات، وذِكْرُنا لهذين العنصرين دون سواهما لا يقلّل بطبيعة الحال من شأن بقية العناصر، وعليه يجب وضع الدراسة في إطار منهجي صحيح يتسم بالوضوح والمرونة والموضوعية.

يتناول هذا الفصل موضوعَ الدراسة متضمنا خمسة عناصر أساسية، يتعلق العنصر الأول منها بالإشكالية، التي نضبطها من خلال التطرق إلى المتغيرين الموجودين في عنوان الموضوع المدروس، وهما المسجد والثقافة البيئية، والعلاقة الترابطية بينهما المتمثلة في الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية، إضافة إلى تساؤلات الإشكالية التي نحاول الإجابة عنها من خلال الدراسة ككل.

أما العنصر الثاني، فهو محاولة إظهار أهمية الدراسة وقيمتها العلمية، والفائدة المرجوة منها، فمن المنطق العلمي أنه لا يمكن تناول موضوع بالدراسة إذا لم تكن له أهمية علمية تعود بالفائدة على الإنسانية.

وفي العنصر الثالث نتعرض إلى مبررات اختيار الموضوع، لأن لكل دراسة دواعيا ودوافع تجعل الباحث يتناولها أو يختارها دون غيرها من الدراسات الأخرى.

في العنصر الرابع نتناول أهداف ومرامي الدراسة، أي محاولة الوصول إلى الأهداف التي تم تسطيرها سابقا قبل بداية البحث.

أما العنصر الأخير فنناقش فيه الجهاز المفاهيمي، حيث نقوم بتحديد المفاهيم وتحليلها وصولا في الأخير إلى تعاريف إجرائية لا تتنافى بطبيعة الحال مع المفاهيم الأساسية في مضمونها.

I-1- إشكالية الدراسة:

اهتم العلماء منذ السبعينيات من القرن العشرين بموضوع البيئة، حيث وجدوا أنفسهم شبه مقحمين في هذا المجال، خاصة وأن الإنسان هو المتسبب الأول في تدهور البيئة واختلال توازنها بسبب التكنولوجيا والاستغلال اللاعقلاني لمواردها، فجاء علماء الاجتماع في محاولة منهم لوضع تفسيرات سوسيولوجية، أي دراسة المشكل البيئي بأبعاد اجتماعية، حيث إنهم حاولوا تحديد وفهم وتفسير العلاقة بين البيئة والمجتمعات الإنسانية والتأثيرات المتبادلة بينهما، ورغم الاختلاف في الأيديولوجيات والمذاهب والمدارس والمرجعية الدينية والثقافية وحتى التفسيرات السوسيولوجية، إلا أن الأمر المهم الذي ركز عليه كل علماء اجتماع البيئة، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وكل من اهتم بالبيئة من قريب أو من بعيد، من علماء ورجال سياسة ورجال أعمال ومواطنين عاديين، هو أن نشر الثقافة البيئية وترسيخها وتأصيلها داخل كل المجتمعات خطوة لا مناص منها للحفاظ على البيئة، هذه الثقافة البيئية التي يعبر عنها دائما من خلال التربية البيئية، القيم البيئية والتي تندرج بدورها تحت غطاء العادات والتقاليد. ولعل تركيزنا هذا على الثقافة البيئية قد استشف من فكرة الثقافة بما يحمله المصطلح من معنى سوسيولوجي والذي أجمع كل الفلاسفة والمفكرين باختلاف مشاربهم، على أنه من أهم العوامل في اعتقاد الشعوب وإيمانهم بمبادئ أو عادات وتقاليد مشتركة تميزهم عن باقي الجماعات الإنسانية، وتحدد هويتهم، وتصنفهم في سلم الحضارات الإنسانية.

وفي سياق حديثنا عن المعتقدات والإيمان والمبادئ، يمكننا القول إن البعد العقدي من أهم محددات السلوك البشري، فالثقافة البيئية يمكن لها أن تترسخ وتتأصل في المجتمع بالتركيز على هذا البعد المقترن بالدين والإيمان والأخلاق والقيم.

لقد اهتم الإسلام بالبيئة وثقافتها على غرار الديانات الأخرى، واستطاع تحقيق الريادة والمثالية في تناوله لهذا الموضوع، وذلك من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما أضفى عليه صفة المثالية هو الكيفية المعجزة في تناوله لقضايا البيئة ككل، كيف لا والمصدر هو الله سبحانه وتعالى، وهو من خلق هذه البيئة ووضع نظامها وقوانينها، والشيء الذي ميز الطرح الإسلامي لقضايا البيئة وثقافتها، هو الأبعاد التي على أساسها يمكن لأي مهتم بهذا الموضوع أن يتناوله من خلالها، حيث نميز بعدين أساسيين : الأول وهو البعد المادي الذي اهتم به علماء البيئة وعلماء الاجتماع البيئي على غرار اهتمامات رجال السياسة ورجال الأعمال والحكومات والهيئات المختصة، وذلك لوضع حد للاستغلال اللاعقلاني للبيئة ووضع التدابير اللازمة لحمايتها، حيث إنهم بذلك قد أهملوا البعد الثاني الأكثر أهمية المتمثل في البعد الروحي، حيث إننا عندما نقول الثقافة البيئية فإننا نعني بدرجة أولى الاهتمام بالبيئة من جانب روحي عقدي، ثم يأتي بعده الجانب المادي، لأن الثقافة هي أمر ذاتي داخلي وذهني بعيد كل البعد عن المادية، هذه الأخيرة التي تعد نتاجا وحصيلة للثقافة ويمكن تجسيدها في الحضارة وعليه يمكن القول إن الثقافة البيئية هي الاهتمام والتركيز على الفكر والذهن والشعور والعاطفة، أي الجانب الروحي والمعنوي، والذي يفضي كتحصيل حاصل إلى الاهتمام بالجانب المادي الذي هو نتاج للأول، إن نشر الثقافة البيئية داخل في المجتمع يستلزم مؤسسات ومراكز خاصة هي مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد ودُور الثقافة ... الخ. ولعل المسجد يعد أهم هذه المؤسسات في المجتمع الإسلامي، والذي من خلاله يمكن نشر وترسيخ وتأصيل الثقافة البيئية خاصة وأنه مرتبط بالجانب العقدي للأفراد، وهو أهم مُجسِّد ومعبّر وممثل للدين

الإسلامي، لأن فيه تقام الشعائر الدينية بالنسبة للمسلمين، ومنه يتلقى الفرد تعاليم دينه وعقيدته، وعليه يمكن للمسجد أن يكون له دور فعّال في نشر الثقافة البيئية، باعتباره من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية عند المسلمين وكما سبق القول بأن الإسلام قد اهتم اهتماما كبيرا بقضية البيئة وثقافتها وحمايتها، حيث نجد أزيد من سبعمائة آية تتحدث عن البيئة، هذه الأخيرة التي ذكرت في القرآن الكريم باسم "الأرض"، ناهيك عن الأحاديث النبوية الشريفة، إضافة إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه الدين الإسلامي للبيئة وقضاياها ببعديها الروحي والمادي، على عكس الديانات الأخرى المحرفة أو تلك القوانين الوضعية التي لا تزال تتخبط في غياهب الفشل إزاء البيئة ومشكلاتها. ولعل المفارقة في هذا الطرح السوسيولوجي، تكمن في المدخل الإسلامي للبيئة، حيث إنه رغم المثالية التي جاء بها الطرح الإسلامي في معالجة قضايا البيئة، ببعديها الروحي والمادي، ورغم الضبط الاجتماعي الذي مارسه القرآن والسنة لعقلنة الاستغلال الإنساني لموارد البيئة، أو من خلال البعد الفلسفي الاجتماعي وهو التفسير المنطقي للعلاقة الارتباطية الاجتماعية الموجودة بين الإنسان والبيئة، ومحاولة فهم هذه العلاقة فهما صحيحا، إلا أننا لا نلاحظ أي سلوك عقلاني للأفراد يُجسّد مثالية الطرح الإسلامي في المجتمعات المسلمة بطبيعة الحال، فنجد المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، تعاني من تدني كبير في مستوى الوعي البيئي، ما يدل على عدم وجود ثقافة بيئية مرسخة في ذهنية الفرد المسلم، وعلى الرغم من التخلف الذي تعاني منه المجتمعات المسلمة مقارنة مع الدول الغربية الصناعية في مجال التكنولوجيا التي بسببها تعاني البيئة مخاطر كبيرة، فإننا نلاحظ أن الفرد المسلم يساهم ولو بالشكل اليسير في تدهور البيئة، وذلك عندما نعاين مناطق السكنات الحضرية سواء منها الريفية أو الثانوية أو حتى المناطق الرئيسة، نجد أن مستوى الوعي البيئي متدني تماما إن لم نقُل أنه منعدم في بعض المناطق، فلا يجد الناظر فرقا بين المدن أو الريف في المجتمع المسلم، خاصة المجتمع الجزائري، فكل المناطق تعج بالقمامة داخل الأحياء الحضرية أو الريفية، إضافة إلى تعرض الغابات إلى الحرق خاصة في مواسم الصيف، عدم الاهتمام الكلي بموارد البيئة خاصة الماء، حيث نجد إهمالا وتبذيرا واستغلالا لا عقلانيا لآبار الماء، إضافة إلى السدود والمياه الجوفية التي تخرج على شكل ينابيع، وما منطقة عين اعبيد ببعيدة عن مسرح هذا الطرح السوسيولوجي، باعتبارها المجال المكاني الذي سوف تجرى فيه دراستنا.

انطلاقا من فرضية نشر الثقافة البيئية وترسيخ الوعي والمسؤولية لدى الأفراد المسلمين تجاه البيئة، فلا بد أن نُرجع هذا التدني في مستوى الوعي والثقافة البيئية إلى دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدرجة أولى من جهة، ومؤسسات الضبط الاجتماعي من جهة أخرى للحصول على سلوك عقلاني راشد تجاه البيئة، هذا من خلال ثقافة بيئية ووعي ومسؤولية وذهنية راشدة من طرف الأفراد المسلمين، بداية من طرحنا الذي بيّنّا فيه مثالية الإسلام في معالجته لقضايا البيئة من جهة، وممارسات الفرد المسلم المذل للبيئة من جهة أخرى، هذا التناقض الصارخ الذي يظهر جليا في بيئة المجتمعات المسلمة، ومشاركة الفرد المسلم بصفة مباشرة في تدهور بيئته الطبيعية. وانطلاقا من كل ما سبق ذكره جاء اختيارنا لموضوع **"دور المسجد في نشر الثقافة البيئية"**. اعتقادا منّا أن المسجد هو مؤسسة التنشئة الاجتماعية المؤهَّلة بدرجة أولى إلى القيام بهذا الدور أكثر وأفضل من بقية مؤسسات التنشئة الأخرى، خاصة وأنه مرتبط بالجانب العقدي لدى الفرد المسلم.

وللإحاطة بجوانب الموضوع بصفة جامعة ومانعة، وجب علينا تحديد تساؤلات الإشكالية والتي تكون كالآتي :

*** تســاؤل رئيس:**

- إلى أي مدى يمكن للمسجد أن يقوم بدور نشر الثقافة البيئية؟

*** التساؤلات الفرعية:**

أ- ماهو دور أئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية؟

ب- إلى أي مدى تقوم جمعيات المساجد بالمشاركة في نشر الثقافة البيئية؟

ج- ما هو رأي رواد المساجد في دور المسجد في نشر الثقافة البيئية؟

I-2- أهمية الدراسة:

إن لكل دراسة علمية أهمية كبيرة في حياة الإنسان، حيث تعد إرثا علميا يتوارثه الأجيال، ويعتمد عليه في حل المشكلات والمعضلات التي تواجه الإنسان في حياته، ولهذا كان من خصائص العلم أنه تراكمي.

وتكمن أهمية دراستنا أساسا في تسليط الضوء على الثقافة البيئية وأهميتها في حماية البيئة من المخاطر التي قد تلحق بها، باعتبارها قضية جوهرية كثيرا ما أكد عليها العلماء والباحثون والمختصون في المؤتمرات والملتقيات العلمية الخاصة بالبيئة.

ومن جهة أخرى يمكننا أن نستشف أهمية هذه الدراسة في تبيان القيمة الكبيرة ببعديها المادي والمعنوي للبيئة، من خلال إرشاد الناس وتثقيفهم بيئيا، حتى تتكون لديهم نظرة ايجابية وسلوك حضاري فعال وضمير جمعي وفردي متزن إزاء البيئة.

إضافة إلى ذلك هناك أهمية بالغة لهذه الدراسة، تتمثل في محاولة إبراز الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه المسجد في حماية البيئة، على غرار ترسيخ الثقافة البيئية من خلال الخطب والدروس والنشاطات التي يقوم بها، باعتباره مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، وذلك بالتركيز على المدخل الإسلامي في معالجة موضوع البيئة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة تفسير التناقض الصارخ والوقوف على أسبابه بين الطرح الإسلامي الممتاز لقضايا البيئة، والممارسات المدمرة لها من طرف الفرد المسلم، رغم المنهج المثالي الذي يتبعه.

I-3- مبررات اختيار الدراسة:

إن لكل باحث في الدراسات العلمية مبررات تجعله يختار موضوع دراسة معين دون غيره، وخاصة في مجال علم الاجتماع الذي يزخر بالدراسات العلمية، وهذا كتحصيل حاصل لكثرة وتنوع الظواهر الاجتماعية، إلى أن نصل إلى علم اجتماع البيئة، هذا الاختصاص في علم الاجتماع الذي يعد حديث العهد كعلم قائم بذاته والذي يعالج قضايا البيئة من منظور سوسيولوجي.

وبالرجوع إلى المبررات التي جعلتني كباحث اجتماعي اختار هذا الموضوع بالتحديد دون غيره، فهناك ثلاثة أسباب رئيسة، أولها دافع شخصي ذاتي، والآخر دافع الضرورة العلمية، والثالث دافع الإنسانية.

فالمبرر الأول راجع إلى الميل الشخصي الذي دفعني بشغف وبقوة إلى دراسة هذا الموضوع، رغبة مني في تسليط الضوء عليه من منظور إسلامي.

أما المبرر الثاني في اختياري لهذا الموضوع، هو قلة الدراسات في مجال الثقافة البيئية، وانعدامها تقريبا في العالم الإسلامي، خاصة فيما يتعلق بدور المسجد في نشر هذه

الثقافة، وتراجعه في القيام بدوره على جميع المستويات، بالنظر إلى المهمة الموكلة إليه كمؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية.

وعن المبرر الثالث فهو محاولتي المتواضعة في المشاركة ولو بالشيء البسيط في حماية البيئة، لما وصلت إليه من أوضاع مزرية ومتردية أصبحت تهدد حياة البشرية جمعاء وعلى كل المستويات، إضافة إلى الدعوة إلى التجند للنهوض بالبيئة وعلى جميع الأصعدة، كل في مجاله وكُلٌ حسب اختصاصه.

I -4- أهداف الدراسة:

إن لأية دراسة علمية أهدافا مرجوة يسعى الباحث إلى الوصول إليها وتحقيقها، خاصة في مجال علم الاجتماع، لما له من أهمية بالغة في دراسة المجتمع من خلال محاولات الباحثين الدائمة في رصد الظواهر الاجتماعية وفهمها وتحليلها وتفسيرها، محاولين قدر الإمكان الوصول إلى نتائج دقيقة واستشفاف الحقيقة.

وتهدف دراستنا أساسا إلى محاولة تحقيق مجموعة من المرامي والأهداف على رأسها، الإجابة على تساؤلات الإشكالية وذلك من خلال ما يلي:

- التشجيع على نشر وترسيخ الثقافة البيئية، خاصة من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها المسجد، هذا الأخير الذي يعد المنبع والمنهل الأساس في المجتمعات المسلمة، وهو المرجعية الأساسية في جميع القضايا المتعلقة بحياة الإنسان لدى المسلمين لاعتقادهم بأن الإسلام يتجسد في هذا المكان المقدس لديهم.

- محاولة التعريف بالبيئة وأهميتها في حياة الإنسان، حيث إن المعرفة الصحيحة بالشيء وقيمته الكبيرة، يجعل الإنسان يحافظ عليه قدر الإمكان، خاصة وإن كان هذا الشيء هو البيئة، واعتقاده الجازم بأن هذه الأخيرة تساوي حياته على هذا الكوكب.

- محاولة التحفيز على القيام بمثل هذه الدراسات، لإثرائها وتحقيق نجاحات أكبر في مجال علم اجتماع البيئة، باعتباره علما حديثا ذا أرضية خصبة للبحث السوسيولوجي خاصة وأن هذه البحوث والدراسات يمكن أن يكون لها الأثر الكبير في تدارك الوضع الكارثي الذي آلت إليه البيئة.

- تقديم شيء ولو بسيط للأجيال القادمة في مجال العلم للإفادة والاستفادة، ومحاولة تكوين إرث علمي نظري وعملي يساعد في فتح المجال للبحث أكثر.

- محاولة إبراز قدرة علم اجتماع البيئة على مناقشة وتناول مثل هذه المواضيع المتعلقة بالبيئة، وتقديم الجديد فيها.

I-5- المفاهيم المستخدمة في الدراسة:

أود قبل كل شيء الإشارة إلى أن المفهوم أو المصطلح (concept) ليس هو الكلمة أو الرمز، بل هو مضمونها أو دلالتها اللفظية مصاغة في شكل من التعميم والتمييز الخاصين. فإذا كان يمثل معنى أو مجموعة معاني مجردة، فإننا نعبر عنه برمز لغوي واحد يسمى لفظا أو مصطلحا، مثل "العلم"، وفي حالة المفاهيم الضيقة المحددة نضع لفظا بإزاء المعنى، وينتج عن ذلك مصطلحا يتفق عليه أهل علم معين، ولكننا عادة ما نواجه مشكلة مع المفاهيم التي تتعدد معانيها وتتسع دلالاتها مثل المفهوم الاصطلاحي للديمقراطية مثلا، وغيرها من المفاهيم الشائعة في العلوم الاجتماعية، ولذا وجب توضيحها. أما عملية تحديد المصطلحات في حد ذاتها فهي ضرورة معرفية، لا تتم بطريقة عفوية أو عشوائية بحيث ترصد التعاريف وتستعرض كيف ما اتفق، بل يجب اعتماد أي منطق عملي أو وحدة منهجية ملائمة لها.(فضيل دليو، 1997، ص.30)

ويتكون الجهاز المفاهيمي من مجموعة القضايا الدلالية التي تضفي على البحث ديناميكيته وحركيته، ويرتبط هذا الجهاز بتحديد وظيفة مكوناته وعناصره التي هي في الواقع مكونات وعناصر الدراسة التي نقوم بإجرائها، وفي المقابل نشير إلى أن تحديد المفاهيم يشكل الخلفية التي ننطلق منها في تناول الدراسة بشقيها النظري والميداني، وعلى هذا الأساس فإن المفاهيم تشكل إطارا تصوريا أو شبكة مفاهيمية لتحليل وتقصي واقع الظاهرة المدروسة، بحيث تقاس التغيرات في مجالات البحث الاجتماعي بالجهاز المفاهيمي، وقدرته على معالجة ظواهر محددة من الواقع.(رداف لقمان، 2007، ص.8)

وكما أشرنا سابقا وبعبارة أخرى فإن عملية تحديد المفاهيم هي المنطلق في الدراسة، الذي من خلاله يمكن تناول الموضوع، حيث إن هذه العملية تحدد الإطار التصوري له، ومن ثمة تسهل عملية التحليل والتقصي والرصد والضبط لظواهر موضوع الدراسة، وفي هذا السياق سنقوم بتحديد بعض المفاهيم التي نرى أن لها علاقة بموضوع البحث، قصد إزالة اللّبس والغموض الذي قد يعتريه، حيث يتكون هذا الجهاز المفاهيمي من خمسة عناصر أساسية ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا وهي:

1. **الدور:**

ظهرت نظرية الدور في مطلع القرن العشرين، إذ تعد من النظريات الحديثة في علم الاجتماع، وقد أخذت القسط الكبير من اهتمامات علماء هذا الاختصاص العلمي، وهذا باعتبار أن المجتمع في مجمله عبارة عن مجموعة من العلاقات والنظم الاجتماعية التي تشكل في مجموعها أنساقا اجتماعية، تتجسد في مؤسسات لها وظائفها في المجتمع كل حسب الدور الموكل لها. وفي حقيقة الأمر فإن دور كل مؤسسة في المجتمع يأتي كتحصيل حاصل لمجموع الأدوار التي يشغلها الأفراد داخل كل مؤسسة أو تنظيم اجتماعي معين، حيث إن كل فرد من هؤلاء الأفراد له سلوك خاص به يترجم من خلال الدور الذي يشغله في المؤسسة أو داخل المجتمع.

إن نظرية الدور في علم الاجتماع لها علاقة وطيدة بالنظرية الوظيفية في العلم ذاته، لأن الدور في أصله يترجم من خلال الوظيفة التي يقوم بها الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها، والتي بدورها تكمّل باقي الوظائف التي يقوم بها الأفراد الآخرون داخل المجتمع من خلال الأدوار التي يشغلونها، فيكون لدينا في الأخير نسق اجتماعي وظيفي منظم من خلال الأدوار داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتنظيمات سواء منها الرسمية أو غير الرسمية في المجتمع.

وعلى ضوء هذا الطرح العام يمكن أن نعرض مجموعة من التعاريف الخاصة بالدور التي خاض فيها علماء الاجتماع وهي كالآتي:

يعرف الدور لغة: " لفظ الدور مشتق من الفعل دار، يدور، دورا، أي التحرك باتجاهات متعددة، كما أنه الحركة أي الفعل أو العمل، بمعنى أنه مرتبط بالقدرة على الحركة والنشاط. (فؤاد أقوام البستاني، د ت، ص.211)

وحسب معجم (Bloch) و(Burg)، فإن كلمة الدور مشتقة من العبارة اللاتينية "Rotulas" التي تعني من جهة ورقة مطوية تحمل كتابة، ومن جهة ثانية ما يجب أن يستظهره ممثل مسرحية، وابتداء من القرن الحادي عشر ميلادي بدأ استعمال مفهوم الدور للوظيفة الاجتماعية أو المهنية. (حورية بن عياش، 1994، ص.18)

أما اصطلاحا فإن مفهوم الدور في معناه السوسيولوجي، ينتسب غالبا إلى لينتون (Linton)، رغم أن هذه الكلمة الخاصة بالمسرح كما أشرنا سابقا قد استعملت عند نتشه(Nnieizsche) بالمعنى السوسيولوجي:"إن هم الوجود يفرض على أغلب الأوروبيين من الذكور دورا محددا، مهنتهم كما يقال".

أما لينتون فيعرف الدور كما يلي: "بالنسبة لعالم اجتماع، يتضمن كل تنظيم مجموعة من الأدوار متمايزة تقريبا، هذه الأخيرة يمكن تعريفها بصفتها أنظمة إلزامات معيارية يفترض بالفاعلين الذين يقومون بها الخضوع لها، وحقوق مرتبطة بهذه الإلزامات. وهكذا يحدد الدور منطقة موجبات وإلزامات مرتبطة خاصة بمنطقة استقلال ذاتي مشروط ".

فالمدير، لأنه عليه أن يحافظ على حسن سير مؤسسته، يمكنه في حدود معينة وبشروط محددة بدقة تقريبا، اللجوء إلى عقوبات معينة فيما لو ابتعد فاعل آخر معين – تلميذ على سبيل المثال – عن القواعد التي تحدد دوره كتلميذ. وفيما يتعلق بالتلميذ عليه أن يخضع لهذه القواعد، ولكنه يستطيع بالمقابل أن يعترض على إساءة استعمال السلطة من قبل المدير.

إن الالزامات المعيارية المقترنة بكل دور من الأدوار والتي تكون في أبسط الحالات معروفة تقريبا من مجموع الفاعلين المنتمين إلى تنظيم معين، تخلق توقعات للدور تؤدي إلى تقليص الشك في النشاط المتبادل : عندما يدخل الفاعل "أ" في نشاط متبادل مع الفاعل "ب" فإن كليهما ينتظر أن يتحرك الآخر في الإطار المعياري الذي يحدده دوره.

إن فكرة الدور مهمة جدا، وهي بالتأكيد في المقام الأول من التحليل السوسيولوجي الضيق. إنها مفهوم أولي في علم اجتماع التنظيم وعلم اجتماع العائلة، ولكن من المهم التأكيد على ملاحظة هي: إذا كانت الالزامات التي تفرض نفسها على أعضاء تنظيم معين عبر تعريف دورهم، جوهرية لتحليل سلوكهم، فإنها لا تكفي لتحديد هذا السلوك. وبالفعل، تتضمن الالزامات المعيارية بصورة عامة عدم تحديد والتباس يسمحان للفاعل بهامش من المناورة يمكن أن يتطور في داخلها سلوك استراتيجي.(بودون وبوريكو،2007،ص ص.288-289)

وقد عرف ماكس فيبر الدور كما يلي من خلال دراسته للسلوك الاجتماعي الذي تعرض له في كتابه الموسوم «نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي»، ويعني فيبر بالسلوك الاجتماعي أي نشاط أو حركة يقوم بها الفرد والتي تكون لها علاقة مباشرة بوجود الأفراد الآخرين في المجتمع، علما أن سلوك الفرد يعتمد على ثلاثة شروط رئيسة:

1. وجود الدور الذي يشغله الفرد والذي يحدد طبيعة السلوك الذي يقوم به الفرد.
2. استعمال الرموز السلوكية والكلامية واللغوية المتعارف عليها من قبل الأفراد عند القيام بالسلوك.
3. وجود علاقة اجتماعية تربط شاغل الدور مع الآخرين عند حدوث السلوك.

ومن الإضافات الأخرى التي قدمها ماكس فيبر لنظرية الدور توقع السلوك من معرفة دور الفرد، إذ أن المريض يمكن أن يتوقع سلوك الطبيب من خلال معرفة دوره الاجتماعي، وأن الطبيب يستطيع توقع سلوك المريض من خلال معرفة دوره الاجتماعي. كما أن الابن يستطيع توقع سلوك أبيه من معرفة دوره الاجتماعي وأن الأب يستطيع توقع سلوك ابنه من معرفة دوره الاجتماعي.

وهكذا نستطيع أن نتوقع سلوك الأفراد من خلال معرفتنا لأدوارهم الاجتماعية، بمعنى آخر إن معرفتنا للدور الاجتماعي الذي يشغله الفرد تساعدنا على التنبؤ بسلوكه اليومي والتفصيلـي.(إحسان محمد الحسن،2005، ص.161)

ومن جهة أخرى عرف بارسونز الدور في كتابه الموسوم «النسق الاجتماعي» من خلال النقاط التالية:

1. يعتقد بارسونز بأن الفرد لا يشغل في المجتمع دورا واحدا وإنما يشغل عدة أدوار، وهذه الأخيرة تكون عادة موجودة في نظم ومؤسسات المجتمع المختلفة، وان الدور الواحد الذي يشغله الفرد ينطوي على جملة واجبات وحقوق.
2. تكون الأدوار في المؤسسة الواحدة مختلفة، إذ أن هناك أدوارا قيادية، وأدوارا وسطية، وأخرى قاعدية، وعلى الرغم من اختلاف الأدوار فإنها متكاملة إذ أن كل دور يكمّل الآخر في المؤسسة الواحدة.
3. يمكن تحليل النسق الاجتماعي إلى مجموعة مؤسسات، ويمكن تحليل المؤسسة الواحدة إلى أدوار اجتماعية، ويمكن تحليل الدور الواحد في المؤسسة إلى واجبات وحقوق اجتماعية.

إن الوحدة الأساسية للنسق وما يكتنفه من علاقات وتفاعلات كما يرى بارسونز هي الدور. ذلك أن لكل فاعل اجتماعي دورا وظيفيا يحدد واجباته وحقوقه وعلاقاته الاجتماعية، أي يحدد سلوكه الفردي والجماعي. لكن سلوك الفاعل تحدده المعايير الأخلاقية المشتركة التي يعتقدها الجميع، علما أن الفرد منذ بداية حياته يتدرب على شغل الأدوار الاجتماعية عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية، هذه الأدوار التي تحدد مركزه الاجتماعي وتساعد الآخرين على الفهم والتنبؤ بسلوكياته مقدما. وإذا ما أدى الفرد أدواره وتصرف بموجب معاييرها السلوكية والأخلاقية فانه يكون قد نجح في سد حاجاته وتلبية طموحاته القريبة والبعيدة، وفي الوقت نفسه يكون قد نال رضى وقبول المجتمع له. فإذا تصرف العامل مثلا بموجب المعايير الأخلاقية لدوره الوظيفي، أي قام بأداء واجباته الإنتاجية في المصنـع فانه يكون قد نجح في سد حاجاته وطموحاته في كسب

الأجور التي يستحقها ونيل الاحترام الكافي من الآخرين، والعكس الصحيح إذا فشل العامل في شغل دوره الوظيفي ووقف ضد المعايير الأخلاقية الضابطة لسلوكه كعامل في المصنع.(إحسان محمد الحسن،2005، ص ص.161-162)

كما يعرف الدور كذلك: " بأنه الجانب الديناميكي لمركز الفرد أو وضعه أو مكانته في الجماعة ".

ونفهم من هذا التعريف أن الفرد يشغل عدة مراكز في جماعته حسب مكانته، فيصبح للمكانة جانب ديناميكي حركي يسمى الدور.

ويعرف الدور أيضا: " بأنه وظيفة الفرد في الجماعة، أو الدور الذي يلعبه الفرد في جماعته أو موقف اجتماعي".

ومن خلال هذا التعريف نفهم أن الدور هو الأثر الملموس في الواقع من خلال وظيفة الفرد في موقف اجتماعي معين.(محي الدين مختار،1981،ص.201)

ومن خلال كل هذه التعاريف يمكننا أن نقول بأن دور المسجد كمؤسسة تنشئة اجتماعية، يكمن أساسا في مجموعة الأدوار التي تمثل في مجموعها دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، وهو ما نحن بصدد دراسته في هذا البحث، هذه الأدوار التي يمثلها كل الأفراد أو الموظفين الذين يشغلون مناصبهم داخل المسجد (إمام، قيم، أفراد جمعية المسجد...).

وانطلاقا من كل ما سبق ذكره فيمكننا الوصول إلى تعريف إجرائي لمفهوم الدور استنادا إلى مجموعة من النقاط الأساسية التي أجمع عليها كل العلماء، رغم الاختلافات البسيطة في كل تعريف وهي: الإلزامية، الوظيفة، السلوك، الواجبات والحقوق، ومنه يكون تعريفنا الإجرائي كالآتي: **"الدور هو عبارة عن نظام إلزامي للفرد داخل تنظيم اجتماعي معين، ينتج من خلاله سلوك خاص بالفرد ذاته، هذا السلوك الذي يرتبط أساسا بالأخلاق هو الذي يحدد مكانته داخل المجتمع، وهذه الوظيفة التي يؤديها الفرد تمثل مجموعة من الواجبات الإلزامية، التي تقابلها بالضرورة حقوق معينة لشاغل الدور متفق عليها من طرف المجتمع أو تنظيم اجتماعي معين قد يكون مؤسسة، هذه الأخيرة التي يتمثل دورها في مجموع أدوار الأفراد الذين يشغلون مناصب أو وظائف داخلها "**.

2. المسجد:

إن للمسجد أهمية كبيرة في الإسلام وعند المسلمين، فهو مركز توجيه فكري وروحي للأمة الإسلامية، ومكان اجتماع في كل أمر يُهم جماعة المسلمين. ولولا عظم رسالة المسجد وعظمة مكانته، لما كان أوّل بيت وضعه الله سبحانه وتعالى للناس بمكة المكرمة، حيث قال جل جلاله : **(إن أول بيت وضع للناس لَلَّذي ببكة مباركا وهدى للعالمين).** (سورة آل عمران، الآية: 96).

كما أن المساجد هي البيوت التي خصها الله بإعلان الإذن برفعها ماديا بالبناء والتشييد، ورفعها معنويا بالعبادة والتطهير والتمجيد، حيث قال جل من قائل: **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والإبصار).** (سورة النور، الآية: 36-37).

ويستمد المسجد مكانته السامية وشرفه العظيم من صلته بالإسلام وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية، باعتباره وسيطا، وكونه رمزا وشعيرة من شعائر الإسلام. أمر الله عباده ببناء المسجد ورفع عمده، كما أمرهم أن يحققوا عمارته بعبادته فيه، وقد جعل من أهم وظائفه ذكرالله وإقامة الصلاة فيه، وهي أهم دعائم الإسلام بعد الشهادتين، إضافة إلى ذلك يستمد المسجد مكانته أيضا من كونه مضافا إلى الله عز وجل المعبود باعتباره بيته الذي وضعه لعباده لإخلاص العبودية له فيه، بما خص الله عز وجل به نفسه من أنواع العبادات القولية والفعلية والعقدية، قال تعالى: **(وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا).** (سورة الجن، الآية: 18)، وقال أيضا: **(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون).** (سورة الأعراف، الآية: 29). (الوشلي،1990، ص.13)

واستنادا إلى ما سبق ذكره يمكننا تعريف المسجد كما يأتي:

لغة: "وهو اسم لمكان السجود " بكسر الجيم، أما بفتح الجيم فهو " جهة الرجل حيث يصيبه السجود "، ويقال مسجِد بكسر الجيم " الحصيرة الصغيرة التي يصلي عليها الإنسان". (عبيد، 1978، ص.23)

ويقول صاحب تاج العروس: " سَجَدَ، خَضَعَ، ونقل عن غيره: سجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض.

ونقل صاحب التاج عن ابن سيده قوله: سَجَدَ، يَسجُدُ، سُجُودًا، وضع جبهته على الأرض، ومَسجدٌ هو مكان وضع الجبهة على الأرض.

وجاء في لسان العرب:"سَجَدَ، خَضَعَ " ومنه سجود الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، أما مَسجدٌ فهو مكان القيام بهذا الفعل.(طه الولي،1988،ص.137)

اصطلاحا: عُرّف المسجد على أنه: " الموضع الذي يُسجد فيه "، و" كل موضع يتعبد فيه الإنسان فهو مسجد "، وعلى هذا فالأرض كلها مسجد إلا الأماكن المتيقن من نجاستها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « **جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**»، وهذا من خصائص الأمة المحمدية. قال القاضي عياض:' لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خُصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته. هذا ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، اشتُق منه اسم المكان فقيل- مسجد – ولم يقولوا – مركع - .

وعلى هذا فالمسجد عندما يذكر تذكر معه الصلاة التي تقام فيه كل يوم خمس مرات، وهي أظهر شعائر الإسلام وأقوى الدلائل على الخضوع لله سبحانه وتعالى والاستسلام له، والصلاة فيها السجود الذي هو دليل القرب من الله مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء**» (رواه أبو داود)، ويستطيع العبد أن يصلي في أي مكان حسب ما بين الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أن إقامتها في المسجد يكسب الإنسان من وراء ذلك فوائد تعود عليه بالخير وعلى المجتمع بأسره بالأمان فهو يتعود على الالتقاء بالناس في صفاء روحي، وصفوف منتظمة والتحام مع المسلمين في ترابط وتآلف وتَعوُّد على النظام، حيث يكون المسلم خلف إمامه مقتديا به ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فإذا قضيت الصلاة نظر أصحاب الحاجات، فمد يد العون إن احتاج الأمر وكان في مقدوره، أو دلّ على خير أو ساعد بكلمة طيبة، وهو في كل حال له خير موفور وأجر جزيل وثواب يفيض على قلبه سكينة ورضا.

والمسجد لم يكن في صدر الإسلام مكانا للسجود فحسب، ولم يكن بمعزل عن الحياة وتطورها ورقيها، بل كان يلتحم مع المجتمع ليقدم له النماذج الطيبة من العناصر الصالحة التي تربت بين جدرانه، ونشأت في محيطه، وشربت من رحيق الإيمان الصافي، لأن الإيمان في مضمونه صلة بالله عن طريق العبادة، وعلاقة طيبة بالإنسانية في التعامل ودفع عجلة الحياة إلى الرقي والازدهار.

إن رسالة المسجد تُوجد التحاما بين الإنسان المؤمن وبين كل خلق الله بأنواعهم، سواء كانوا من بني جنسه أي داخل المجتمع، أو مع البيئة التي يعيش فيها بما تحمله من مخلوقات الله، لهذا كانت الصلاة التي هي المظهر العملي دافعه للخدمة الاجتماعية، فهي أولا تنهى الإنسان عن الرذيلة والفساد في الأرض، وتحثه على الخلق القويم الذي يرقى به إلى أسمى المراتب عند الله سبحانه وتعالى. (عبيد، 1978، ص ص. 22-23)

وقال أصحاب المعاجم في تعريف المسجد أيضا: " كل موضع يُتعبد فيه فهو "مسجد" وهو يلفظ بفتح الجيم وكسرها، وبهذا استعملها العرب في جاهليتهم ثم في إسلامهم. (الزركشي، 1385، ص.27)

وقال جواد علي: " وقد وردت اللفظة أي " مسجد " في نصوص بني أرم، وفي النصوص النبطية والصفوية وردت على هذه الصورة، وقد عنت به معبدا ".(جواد علي، 1968، ص ص.400-401)

أما الذين صنفوا الكتب في موضوع المساجد فإنهم قالوا تحت عنوان "المفهوم الشرعي للمسجد'': "... وأما شرعا فكل موضع..." من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم: « **جعلت لي الأرض مسجدا** »(رواه الإمام أحمد)، وهذا من خصائص هذه الأمة، قال ذلك الزركشي.

أما الجرّاعي فقال: واعلم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيء للصلوات الخمس، حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه، وكذلك الربط والمدارس، لأنها هيئت لغير ذلك.(طه الولي،1981، ص.ص 11-81)، وبالرغم من أن كلمة **"مسجد"** وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف عشرات المرات، تارة بصيغة المفرد وأخرى بصيغة الجمع، وبالرغم من أن أصحاب المعاجم القديمة تناولوا هذه الكلمة بالتوضيح والتشريح، فإن بعض المستشرقين لم يقتنعوا بأنها استعملت في القرآن بمعناها العرفي الشائع، وجنح بعضهم إلى المبالغة إلى حد القول بأن هذه الكلمة غريبة عن اللغة العربية وأن أصلها لاتيني ومن اللغة الايطالية بالذات.

ومن القائلين بالرأي الأول المستشرق الايطالي الأمير 'ليون كايتاني' (Leone Caetani) المتوفى سنة 1926 م، الذي نقل عنه الدكتور ' أحمد فكري ' قوله: " إن القرآن الكريم سكت عن إيضاح هذا الموضوع، وأن كلمة ' مسجد 'لا تؤدي هذا المعنى الذي تؤديه اليوم وإنه أي القرآن الكريم لم يقصد بها مكان العبادة عند المسلمين، إذ أنه لم يذكر في القرآن الكريم غير المسجدين: الحرام في مكة المكرمة والأقصى المبارك في القدس الشريف، وكلاهما لم يكونا عند نزوله أيام محمد صلى الله غليه وسلم خاصين بعبادة المسلمين. (أحمد فكري، د ت، ص.42)

أما المستشرق الانجليزي ' ستانلي لينبول ' فانه لم يتورع عن القول بأن كلمة "مسجد" نفسها تأتي في أصلها من الكلمة الايطالية القديمة (Meschita) وبالاسبانية (Mesquita) التي تطورت فيما بعد فأصبحت (Moschea) ومعناها مكان العبادة، ولكنها لا تدل على الاجتماع. (ستانلي لينبول، 1950،ص.166)

من خلال كل هذه التعاريف يمكننا أن نستشف قضية مهمة جدا، التي تشترك فيها جميع التعاريف سواء عند علماء المسلمين أو المستشرقين، وهي أن كلمة مسجد في مفهومها ومدلولها، سواء اللغوي أو الاصطلاحي مرتبط مباشرة بالعبادة، أو بالأحرى المكان الذي تقام فيه هذه الأخيرة، أي أنه مرتبط أساسا بالجانب الروحي العقدي للإنسان.

واستنادا إلى كل ما سبق ذكره يمكننا أن نخلص إلى تعريف إجرائي مفاده: **"المسجد هو ذلك المكان المقدس لدى المسلمين الذي تقام فيه الصلاة، والذي يعتبرونه مصدر إلهام روحي عقدي، وأهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية "**.

3. الثقافة البيئية:

إن مصطلح الثقافة البيئية هو مصطلح مركب من مصطلحي: الثقافة والبيئة، ولعله من المفاهيم المعاصرة، ظهر نتيجة للمشاكل البيئية التي ظهرت في هذا العصر، والتي باتت تهدد حياة كل من على وجه هذه المعمورة، بما فيهم الإنسان، هذا الأخير الذي كان السبب الرئيس في ظهور هذه المشكلات البيئية، بسبب التطور التكنولوجي في جميع مجالاته وعلى جميع مستوياته، ومحاولة من الإنسان في تدارك هذا الوضع الكارثي المحدق بالبيئة بدأ في دراسة المشكلات البيئية على جميع الأصعدة، بوضع القوانين إضافة إلى اعتماد استراتيجيات مبنية على أسس علمية للتعامل مع البيئة في مقابل التطور التكنولوجي، فكانت من بين هذه الاستراتيجيات، تفعيل

جميع البرامج المسطرة من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات العالمية والإقليمية والمحلية، وذلك من خلال نشر وترسيخ الثقافة البيئية لدى الأفراد في جميع مناحي الحياة ومجالاتها، ومن هنا بدأ ظهور هذا المصطلح من خلال الاهتمام به، باعتباره قارب النجاة من هذه المعضلة التي باتت تهدد الإنسانية وكل الكائنات التي تعيش على هذا الكوكب.

وللإشارة فإن الخلفية التاريخية لهذا المصطلح كانت تعتمد في مسارها في أول الأمر أي في بداية الاهتمام بالبيئة وحمايتها من المخاطر على آليات مبتكرة وبرامج مسطرة، تعتمد في مضامينها أساسا على عدة مفاهيم سبقت في ظهورها مفهوم الثقافة البيئية. ومن بين هذه المفاهيم التي كما أشرنا سابقا تعد كآليات أو ركائز يمكن من خلالها نشر الثقافة البيئية هي التربية البيئية والوعي البيئي، ولهذا فإن جل الدراسات المتعلقة بالبيئة تعتمد في مصطلحاتها على هذين المفهومين، وهذا ما أدى من خلال الانجازات الخاصة بالبيئة على جميع الأصعدة إلى قلة استخدام مفهوم الثقافة البيئية، مع أن كل السياسات المعتمدة في هذا المجال تصب في إناء هذا المصطلح الواسع، الذي يحمل في طياته كل المفاهيم الأخرى الخاصة بالفهم الصحيح للبيئة وأهميتها في بعديها المادي والروحي.

ولهذا فإننا تمكّنا من خلال بحثنا المتواصل إلى رصد مساهمات محتشمة من طرف المهتمين بالبيئة سواء كانوا علماء أو رجال سياسة، في تعريف مصطلح الثقافة البيئية التي كانت كما يلي:

عُرّفت الثقافة البيئية بأنها " عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات التي تنظم سلوك الأفراد وتمكنهم من الإسهام الحقيقي في حماية البيئة وحل مشكلاتهم، من خلال التفاعل مع بيئتهم الطبيعية والاجتماعية. (علي الخطيب، 1993، ص.68)، وهو مفهوم يتسم بالشمولية لمقومات النشاط التربوي من جهة، والتكاملية بين هذه المقومات لتحقيق أهداف الثقافة البيئية، مجسَّدَة في نهاية المطاف في محاكمة الإنسان الفكرية للظواهر البيئية، وفي مواقفه وسلوكه الاجتماعي تجاهها.

وضع إريكسون (Erixon) هذا المصطلح للدلالة على جميع الظروف التي تؤثر على الإنسان بطريقة غير مباشرة، مثل البيئة الطبيعية، البيئة الثقافية، ونتاج النشاط الثقافي، والمواقف الموجودة داخل بيئة ثقافية. والشيء المميز للثقافة البيئية أنها لا تشغل الكائن البشري بشكل بارز، وإنما هي هناك كخلفية وشرط ضروري لسلوكه، ولكن العلاقات الوظيفية بين الفرد والثقافة البيئية ليست واضحة كل الوضوح. (إريكسون،1951،ص.155)

وعرفت ندوة بلغراد سنة 1975 الثقافة البيئية بأنها: " عملية تهدف إلى تكوين جيل واعي ومهتم بالبيئة والمشكلات المرتبطة بها، ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام مما يتيح له أن يمارس فرديا وجماعيا حل المشكلات القائمة، وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور ".

ومن خلال هذا التعريف نفهم أن الثقافة البيئية هي عبارة عن اتجاه وفكر وفلسفة تهدف إلى تسليح الإنسان في شتى أنحاء العالم بخلق بيئي يحدد سلوكه وهو يتعامل مع البيئة في أي مجال من مجالاتها.

ويعرفها الحلبوسي على أنها: "ذلك المنهج التربوي الذي يهدف أساسا إلى تكوين الوعي البيئي من خلال تزويد الفرد بالمعارف والمهارات والقيم والاتجاهات، التي تنظم سلوكه وتمكنه من التفاعل مع البيئة الاجتماعية والطبيعية، بما يسهم في حمايتها وحل مشكلاتها، أو التصدي لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تدهورها أو تدميرها ".

ومن خلال هذا التعريف نفهم أن الثقافة البيئية هي تلك الطريقة العلمية المتبعة لتكوين الفرد معرفيا وخلقيا، بغية تنظيم سلوكه في حياته وبخاصة تلك المرتبطة بالبيئة الاجتماعية.

وعرفها العالم بيرتشارد سنة 1971 بأنها: " عملية إدراك قيم، وتوضيح مفاهيم، بهدف تطوير المهارات والاتجاهات اللازمة، لفهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان وثقافته ومحيطه الطبيعي، ولتقديرها ". (مجموعة من المؤلفين، 1987، ص.17)

وقد عرفها غلاسكو وروبنسون بأنها: "عملية تهدف إلى توعية سكان العالم بالبيئة الكلية وتقوية اهتماماتهم بها والمشكلات المتصلة بها وتزويدهم بالمعلومات والحوافز والمهارات، التي تؤهلهم أفرادا وجماعات للعمل على حل مشكلات البيئة والحيلولة دون ظهور مشكلات جديدة، وهذه العملية مستمرة مدى الحياة، حتى توجد مساهمة غير منقطعة، ومسؤولية متواصلة لبناء هذه البيئة".(وهبي والعجي، 2003، ص.54)

ولقد جاء في مؤتمر منظمة الدول الأمريكية حول التعليم والبيئة في الأمريكيتين عام 1971 م، بأن الثقافة البيئية تشمل تعليم اتخاذ الأحكام بشان القيم والقدرة على التفكير بوضوح بالمشكلات المعقدة عن البيئة ذات الطابع السياسي والاقتصادي والفلسفي في آن واحد. (وهبي والعجي، 2003، ص.55)

ومن خلال هذا التعريف نفهم أنه يركز أساسا على عملية التعليم في اتخاذ الأحكام انطلاقا من الاهتمام بعملية التفكير السليم والعميق للوصول إلى الفهم الصحيح للمشكلات المعقدة للبيئة، استنادا إلى القيم والأخلاق، متخذين في ذلك عدة مستويات للمعالجة والتعليم البيئي، والحث على مراعاة هذه المستويات التي تمثل في مجملها الطابع السياسي والاقتصادي والفلسفي في التعامل مع البيئة وفهم مشكلاتها ووضع الحلول لها.

عندما نتأمل جيدا في مضامين هذه التعاريف، نجدها تشتمل على عدة نقاط مشتركة فيما بينها، والتي تعد الركائز الأساسية التي تقوم عليها الثقافة البيئية، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأخيرة تعتمد بصفة أساسية وجوهرية على التربية البيئية، هذا المصطلح الذي ظهر في أول بدايات الاهتمام بقضايا البيئة ومشكلاتها وحلولها، والذي يعتبر الآلية الأساسية للثقافة البيئية، التي ظهرت كمصطلح أشمل وأوسع وأعمق من التربية البيئية، وهذا ما لاحظناه من خلال التعاريف الواردة آنفا، أما عن النقاط الأساسية التي تطرقت إليها تقريبا جميع التعاريف واشتركت فيها هي :

- الثقافة البيئية عملية إعداد وتوجيه للسلوك المعرفي والانفعالي من خلال التربية والتعليم البيئي في جميع المقررات الدراسية.
- تشمل الثقافة البيئية جميع أفراد المجتمع عن طريق التربية النظامية وغير النظامية.
- تركز الثقافة البيئية على حل المشكلات الحياتية المعقدة الخاصة بالبيئة، والوقاية منها عن طريق المشاركة الفعالة.
- الثقافة البيئية هي عملية إصلاح تربوي ثقافي وتعليمي شامل ومستمر مدى الحياة.
- الثقافة البيئية تنظر إلى البيئة من جوانبها المختلفة: الطبيعية، الاجتماعية، الثقافية والأخلاقية.
- تؤكد الثقافة البيئية على التعاون المحلي والإقليمي والدولي في حل مشكلات البيئة.

واستنادا إلى كل هذه التعاريف يمكننا أن نخلص إلى تعريف إجرائي مفاده أن:
"الثقافة البيئية هي ذلك النسق المنظم من البرامج التربوية والتعليمية والتثقيفية، التي تطبق على مستوى كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتشمل جميع الأعمار وجميع

الطبقات الاجتماعية وتدوم مدى الحياة، وتهدف أساسا إلى تنمية الوعي البيئي، من خلال غرس القيم والأخلاق وتطوير المهارات والمعارف لدى الفرد، لتحقيق الفهم الصحيح للعلاقة بينه وبين البيئة في جميع مستوياتها وخاصة منها البيئة الطبيعية، ومحاولة حل مشكلاتها وحمايتها والمحافظة عليها، وذلك في جميع مجالات الحياة وأطرها، أي على المستوى السياسي والاقتصادي والفكري خاصة".

4. **البيئة :**

منذ ثلاثة عقود تقريبا، كانت لفظة البيئة من الألفاظ النادرة التي قلما تردد على الألسنة وبين عشية وضحاها، انتشرت هذه الكلمة وصارت شائعة بين العام والخاص على حد سواء، ليس في الدول المتقدمة فحسب بل في الدول المتخلفة أيضا، وحتى في الأصقاع النائية من المعمورة.

ومن هنا فقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين زيادة كبيرة في اهتمام العلماء والسياسيين ورجال الأعمال وعلماء الاقتصاد والاجتماع بمشكلات البيئة، والتغيرات التي طرأت عليها وأساليب التعامل معها، والأضرار التي تلحق بها نتيجة لمبالغة الإنسان في استغلال مواردها الطبيعة وإلى أي حد ينعكس هذا كله على حياة الإنسان والمجتمع.

وواضح أن هذا الاهتمام لم يكن مقتصرا في البحث عن مدى ما يمكن أن تقدمه الطبيعة للإنسان من ثروات، أو الطريقة المثلى التي يمكن للإنسان أن يكشف بها عن هذه الثروات والموارد، وأفضل الأساليب لاستغلالها وإنما كان بالإضافة إلى هذا كله يحاول الكشف عمّا لحق بالبيئة الطبيعية من أذى وأضرار قد يصعب علاجها أو تلافيها نتيجة لسوء الاستغلال وسوء الفهم. ولا يكاد يخلو اليوم محفل من محافل العلم والتربية والثقافة، ولا دائرة من دوائر البحث، بل ولا تيار من تيارات السياسة من الاهتمام بمختلف مناحي موضوع البيئة، هذا المصطلح الذي بات يؤرق الجميع وعلى كل المستويات، كقضية تتضمن مشكلة على درجة كبيرة من الخطورة هي ما يعرف بمشكلة التلوث البيئي، حتى غدت هذه القضية شأنا إنسانيا عاما تعقد من أجله المؤتمرات العلمية والسياسية العالمية، وتخصص للاهتمام به ومتابعة أحواله والعمل من أجل حل مشاكله من خلال الهيئات والمنظمات المختصة على المستوى الأممي، فضلا عن الهيئات والمنظمات ذات الطابع المحلي والإقليمي.

وليس الاهتمام بالبيئة أمرا جديدا في حياة الإنسان، وإنما الجديد فيها هو أن البيئة بعدما كانت شأنا عارضا ضمن الثقافة العامة، أصبحت قضية أصلية قائمة بذاتها على مستوى البحث العلمي، وعلى مستوى التوجيه الثقافي والتربوي والسياسي، وأن هذه القضية أصبحت مركزة على محور أساسي هو الذي يحدد معالمها ويوجه مسارها، وهو محور المشكلة البيئية المتمثلة بالأخص في الاختلال البيئي الحاصل بفعل التلوث واضطراب التوازن.

ولما أصبحت البيئة قضية أصلية قائمة في الاهتمام الإنساني العام، ولما كانت هذه القضية مركزة على مشكلة الخلل البيئي، فإن ذلك كان له الأثر الكبير في توجيه نوع الاهتمام بهذه القضية، سواء من حيث تحديد العناصر التي توجه إليها الاهتمام، أو من حيث الكيفية التي وقع بها تناول تلك العناصر بالبحث، فهذه كلها قد اختلف الأمر فيها حينما أصبحت البيئة قضية قائمة عما كان قبل ذلك، وانطبع بخصائص معينة من جراء التركيز في هذه القضية على مشكلة الخلل البيئي فيما يشبه أن جُعل مجمل البحث فيها كأنما هو رد فعل على المشكلة الناجمة في الواقع البيئي يتطلب لها حلا سريعا يثنيها عن مآل الدمار. وبقدر ذيوع صيت هذا المصطلح " البيئة "، فقد كثرت وتنوعت التعريفات الخاصة به من طرف العلماء

باختلاف مشاربهم، ومن خلال بحثنا المتواصل في هذا الصدد تمكنا من رصد الكثير من هذه التعريفات والتي نذكر منها:

***مفهوم البيئة لغة :**

يعود الأصل اللغوي لكلمة البيئة في اللغة العربية إلى المصدر " بَوَّأ "، الذي اشتق من الفعل الماضي " بَاءَ "، قال ابن منظور في معجمه الشهير (لسان العرب): بَاءَ إلى الشيء يَبُوءُ، بَوْءًا، أي رَجَعَ، وبَوَّأ بتضعيف الواو أي سَدَّدَ، ومنه قولهم: بوّأ الرمح نحوه، أي سَدّدَهُ نحوه وقابله به، وتَبَوَّأ : نزل المقام.

تقول : تبوَّأ فلان بيتا، أي اتخذ منزلا، وذلك إذا نظر إلى أسهل ما يراه وأكثر استواءً وأفضله لمبيته فاتخذه منزلا.

و في القرآن الكريم:**(...أن تبوَّءا لقومكما بمصر بيوتا...)** (سورة يونس:الآية 87) أي اتَّخِذَا، ويقال : أباءه منزلا، أي هيأه له وانزله فيه.

وقال تعالى: **(وكذلك مكَّنَّا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين)** (سورة يوسف: الآية 56).

و الاسم : البيئة والمباءة، بمعنى المنزل، ويقال : إنه لحسن البيئة، أي هيئة استقصاء مكان النزول وموضعه.

وقد ذكر ابن منظور لكلمة ' تبوّأ ' معنيين قريبين من بعضهما :

-**المعنى الأول :** بمعنى إصلاح المكان، وتهيئته للمبيت فيه. قيل : تبوّأه أصلحه وهيأه، وجعله ملائما لمبيته، ثم اتخذه محلا له.

-**المعنى الثاني :** بمعنى النزول والإقامة، كأن نقول: تبوّأ المكان أي حله، ونزل فيه، وأقام به. (ابن منظور،د ت، ص.115)

وقوله تعالى :(**والذين تبوءو الدار والإيمان ...**)(سورة الحشر:الآية 09). أي الذين سكنوا المدينة من الأنصار، واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله.

قال ابن منظور : جعل الإيمان محلا لهم على المثل، وقد يكون أراد : وتبوّأوا مكان الإيمان وبلد الإيمان، فحذف.

وقال الفراء في قوله عز وجل:(**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنَّهم من الجنة غرفا..**) (سورة العنكبوت : الآية 58). يقال : بوّأته منزلا، وأثويته منزلا ثواه: أنزلته، وبوّأته منزلا أي جعلته ذا منزل.

وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار**»، قوله : ' فليتبوّأ مقعده '، معناه: لينزل منزله من النار.(الإمام مسلم، د ت،ص.129).

***مفهوم البيئة اصطلاحا:**

ونشير إلى أنه من الصعب تحديد مفهوم جامع مانع للبيئة بسبب كثرة تعريفاتها وتنوعها.

ربما كان ابن عبد ربه – صاحب العقد الفريد – هو أقدم من أشار إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة في كتاب «الجمانة»، إشارة إلى الوسط الطبيعي الجغرافي والمكاني والحيوي الذي يعيش فيه الكائن الحي، بما في ذلك الإنسان، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعي (السياسي، الأخلاقي والفكري) المحيط بالإنسان.

وقد يراد بالبيئة، أولئك البشر الذين يسكنون فيها أو يقيمون، وأيضا يمكن أن تعني البيئة كافة المخلوقات والموجودات التي تحل معنا، وتستوطن المواضع التي تعيش فيها الحيوانات والنباتات والأشجار والمياه والهواء والصخور.

أما البيئة في المعاجم الانجليزية (Environment) فهي تعني :"مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية التي لها تأثير في حياة الكائنات بما فيها الإنسان".

وقد جاء في قاموس لاروس الفرنسي أن البيئة (Environnement) هي:"مجموعة العناصر الطبيعية والصناعية التي تمارس فيها الحياة الإنسانية". (سلامة، 1998، ص.171)

ويعرف علم البيئة الحديث (Ecology) البيئة بأنها: "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها".

ونفهم من هذا التعريف أن البيئة هي كل ما تخبرنا به الحواس الخمس، سواء كان هذا من خلق الله عز وجل أي الظاهرات الطبيعية، أو من صنع الإنسان أي الظاهرات البشرية. (الفقي، 1993، ص. 10)

وقد أوجز مؤتمر البيئة الذي عقد في استوكهولم سنة 1972 م، مفهوم البيئة كما يلي : " كل شيء يحيط بالإنسان".

كما عرفها مؤتمر تبليسي لعام 1977 م، بأنها :" مجموعة العوامل والنظم الطبيعية والاجتماعية، التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطاتهم ". (الحفار، 1985،ص.46)

وإذا نظرنا إلى تعريف البيئة أنها: "مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية"، فسوف نجد أن الظروف والمؤثرات المقصودة تشمل في الحقيقة أغلب العلوم التي اكتشفها الإنسان، وحدد معالمها في تطوره الحضاري والصناعي.

فالبيئة المحيطة بأي كائن تشمل الظروف المناخية والجيولوجية والطبيعية والكيميائية، بل الصحراوية والبحرية والهوائية والنباتية والحيوانية، هذه الظروف والمؤثرات البيئية مترابطة بعضها ببعض، بمعنى أنه لو حدث تغيير مثلا في أي واحد منها فسيتبعه تغيير في النُّظُم الأخرى على شكل تفاعلات تسلسلية حسب القوانين والعلاقات التي تربط هذه النظم بعضها ببعض.

وحدد شلبي مفهوم البيئة بأنها : " الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر ". (شلبي،1984،ص.16)

ومن خلال هذا التعريف نفهم أن هناك قطاعان للبيئة، قطاع مادي وهو ممارسة الإنسان لحياته من خلال تلبية حاجاته المادية والغريزية، وقطاع علاقاتي حيث إنه من خلال هذه البيئة الاجتماعية يمكنه ممارسة علاقاته مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

وعرف صباريني البيئة بأنها:"ذلك الوسط البيئي الطبيعي بعناصره المختلفة التي تحيط بالإنسان، يتأثر بها ويؤثر فيها من خلال إنجازاته الحضارية، فيستجيب لها أو يقاومها أو يتفاعل ويتوافق ويتكيف معها وفق شروط معينة". (صباريني والحمد،1986، ص.15)

حيث يتفاوت هذا التأثير المتبادل بين مجتمع بشري وآخر مع الوسط البيئي الذي يعيش فيه تبعا لمقدرته أو مستواه التقني أو الاقتصادي، وكذلك تبعا لمكونات شخصيته وثقافاته واختلاف قدراته وقيامه واتجاهاته وخبراته ومعايير السلوكية ومعتقداته.

وأوضح العدوان أن مفهوم البيئة يتمثل في : " المحيط أو المكان الذي تعيش فيه الكائنات الحية، والذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقاءها". (العدوان،1988،ص ص.5-6)

ومن خلال كل هذه التعريفات يمكننا الوصول إلى تعريف إجرائي مفاده أن البيئة هي:"**ذلك المحيط الحيوي الذي يعيش فيه الإنسان، والذي يشمل كل الموجودات الحية وغير الحية، والتي تربطها معه علاقة تبادلية التأثير وتكاملية الوظيفة** ".

5. التنشئة الاجتماعية :

إن التنشئة الاجتماعية باعتبارها العملية المستمرة التي لا تقتصر على مرحلة الطفولة فحسب، وإنما تشمل مراحل نمو الإنسان المختلفة في حياته، حيث يكتسب الفرد من خلالها القيم الاجتماعية والمعايير ويمنح القدرة على التفاعل والتكيف مع مجتمعه، ويطلق على عملية التنشئة الاجتماعية أحيانا عملية التطبيع الاجتماعية، وأحيانا أخرى عملية التنشئة والاندماج الاجتماعي.

إن تشكيل السلوك لدى الفرد ليس بالعمل العشوائي، بل هو عمل هادف ومنظم، ويحتاج إلى آليات ووسائل وأساليب، ولقد اختلفت هذه الأخيرة من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر باختلاف المنطلقات الفكرية لأصحاب نظريات التنشئة الاجتماعية حول دور المسؤولين والمختصين في هذا المجال، كالوالدين والمعلمين وغيرهم، وذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة، المدرسة، المسجد...الخ.

والتنشئة في التعبير والتفكير العربي الإسلامي ' أنسنة الآدمي بواسطة عملية المَرْبَى'، أي أن المولود الجديد كان يسمى حسب منطق ابن خلدون بالآدمي نسبة إلى سيدنا آدم عليه السلام، وبعد خضوعه لعملية المربى التي يتعلم فيها ويكسب منها أنماط التصرف المسترشدة بالضوابط العرفية(معايير وقيم وتقاليد) السائدة، يسمى بعدئذ حسب منطق إبن خلدون بالإنسان، وهنا نستطيع إن نسمي التنشئة الاجتماعية بأنسنة الآدمي بعد خضوعه لعملية المربى. هذا على صعيد التفكير العربي الإسلامي إبان القرن الرابع عشر الميلادي، أما في الوقت الراهن فإن هذا الموضوع قد اتخذ مصطلحات جديدة وإبعاد متعددة ومتنوعة بسبب تطور الحياة الاجتماعية العصرية، التي خرجت من محيط الأسرة نحو محيطات أخرى مثل: المدرسة، أماكن العبادة والعمل، وسائل الإعلام، والتقنية الالكترونية الحديثة. على الجملة فإن لكل محيط من هذه المحيطات معاييره وقيمه وأهدافه ومؤثراته وضوابطه المكتوبة والشفوية التي تترك بصمات على تصرفات أفراده، ليحدث عندهم نقلة نوعية في تصرفاتهم ومعتقداتهم ومعاييرهم حسب أعمارهم وجنسهم وأدوارهم ومواقعهم الاجتماعية على التدرج الاجتماعي السائد في مجتمعهم.

و الجدير بالذكر في هذا المقام هو أن موضوع التنشئة الاجتماعية كان إلى وقت قريب جدا مندرج تحت حقل علم اجتماع الأسرة، ويكتب فيه من زوايا التربية الأسرية، لكن مع تطور الحياة الاجتماعية، وبحكم وظيفة علم الاجتماع العلمية التي تستلزم ملاحظة وتسجيل ما يدور من إحداث في المدارات والمحيطات الاجتماعية، ألفَ إلى مدار جديد ينبض بإيقاعات حياتية متنوعة في محيطاته ومختلفا في نغماته.

وللإشارة فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعتمد في دراستها على نظرية الدور في علم الاجتماع، حيث إنها ترتكز في جوهر عملها على تهيئة الأفراد ليشغلوا أدوارهم كما ينبغي داخل المجتمع وذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة.

ويذهب علماء الاجتماع في تعريفهم لمفهوم التنشئة الاجتماعية إلى الاهتمام بالنظم الاجتماعية التي من شأنها أن تحول الإنسان ذلك المادة العضوية إلى فرد اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بيسر مع أفراد المجتمع، ولقد تناول العديد من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم الفكرية، خاصة في مجالات علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، مفهوم التنشئة الاجتماعية بالدراسة والبحث، لذلك كانت تعاريفهم مختلفة ومتنوعة، ولهذا فإننا سنتعرض إلى بعض هذه التعاريف التي ستفيدنا في تحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية.

فقد عرفها فؤاد البهي السيد فقال: "تدل التنشئة الاجتماعية في معناها العام، على العمليات التي يصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية، وما تفرضه من واجبات على الفرد، حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين ويسلك معهم مسلكهم في الحياة، وهي في معناها الخاص نتاج للعمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي، وتصل تلك التنشئة إلى أقصاها في الطفولة، لكنها لا تقف عندها بل تمتد بامتداد الحياة وخلال مراحلها المتعاقبة ".

ومن خلال تعريف فؤاد البهي السيد نجد أنه ينظر إلى التنشئة الاجتماعية للفرد على أنها مجموعة من العمليات المتمثلة في التعلم الاجتماعي، التكيف الاجتماعي، التثقيف والاندماج الثقافي التي تحول الفرد من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، يحمل ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، وتحدث هذه العمليات عبر مراحل متعاقبة من حياة الإنسان، أي أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة، تبدأ من اللحظة الأولى لحياة الإنسان وتنتهي بوفاته. (فؤاد البهي، 1980، ص.28)

ويعرفها كلاوسن (J.R. Clausen) كما يلي : " التنشئة الاجتماعية تحتوي على العمليات التي بها يتم دمج الطفل في الإطار العام لأسرته ومجتمعه، مما يساعده فيما بعد على أداء واجبه تجاه الأسرة والمجتمع بكفاءة ".

وحسب هذا التعريف فإن التنشئة الاجتماعية هي عملية ذات جانبين كفّي وتشجيعي، فهي وإن كانت تقوم على الضبط وكف الطفل عن فعل كثير مما يشتهي، فإنها في الوقت ذاته تعينه وتشجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيرا مما يريد. فعملية التنشئة الاجتماعية تكسبه أساليب التعبير عن نفسه، وإثبات وجوده وفعاليته داخل المجتمع، أي أنها لا تقهر استعدادات الفرد بل على العكس من ذلك، أنها تعلمه أساليب تنميتها بما يتوافق وثقافة المجتمع. (النيال،2002،ص.27)

ويعرف سيد عثمان التنشئة الاجتماعية على أنها : " عملية تعلم قائمة على تعديل أو تغيير في السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة خاصة بما يتعلق بالسلوك الاجتماعي لدى الإنسان، وبذلك فهي عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص، بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها ".

ومن خلال هذا التعريف فعملية التنشئة الاجتماعية تقوم على مبدأ التعلم، وعملية التعلم تنطوي على معنى التفاعل بين أعضاء الجماعة الاجتماعية والفرد الناشئ خلال فترة زمنية معينة، ونتيجة هذه العملية هي اندماج ثقافي للفرد. (فؤاد البهي،1980، ص.29)

ويعرف بارسونز التنشئة الاجتماعية بأنها " عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وهي عملية مستمرة لا نهاية لها ".

ويرى آخرون أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية. (أبو جادو، 2006،ص.16)

ورغم اختلاف التعريفات المذكورة من خلال بعض الأبعاد المضافة من طرف العلماء، إلا أننا نلاحظ أن هناك عدة نقاط اتفقت وتشابهت فيها كل التعريفات نذكر منها:

1- التنشئة الاجتماعية عملية، أي ديناميكية ومتواصلة تبدأ منذ الولادة وتنتهي بوفاة الفرد.
2- التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل بين الناشئ وبقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.
3- التنشئة الاجتماعية تحدث في إطار ثقافي معين.
4- ينتج عن عملية التفاعل تعلم اجتماعي، أي تعلم السلوك الاجتماعي المرغوب داخل النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد.
5- حدوث عملية الاندماج الثقافي، أي تحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي. (معن خليل، 2004، ص.34)

ومن خلال كل هذه التعريفات يمكننا أن نصل إلى تعريف إجرائي مفاده أن:
"التنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التربوية التعليمية التي تلازم الإنسان منذ الطفولة إلى نهاية حياته، حيث يكتسب من خلال هذا التعلم والتلقين والمحاكاة مجموعة من القيم والأخلاق والمعايير والاتجاهات، لتهذيب سلوكه بما يتوافق ومعايير وأخلاقيات الجماعة التي ينتمي إليها، وحتى يكون مؤهلا ليشغل أدوارا اجتماعية معينة داخل المجتمع، وتحقيق الاندماج الثقافي، وذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة".

I-6- الدراسات المشابهة:

من خلال تمحيصنا وبحثنا المتواصل في مجال دراستنا هذه، فإننا لم نرصد أي محاولة بحث سابقة حول موضوعنا المتناوَل والموسوم **" دور المسجد في نشر الثقافة البيئية"**، لكننا تمكنا من رصد بعض الدراسات المشابهة لموضوعنا، والتي تناولها موضوع البيئة من منظور إسلامي، وهي في مجملها دراسات تناولت موضوع البيئة بطابع شمولي، ركز على الجانب التشريعي والفقهي في مجال البيئة والمحافظة عليها، ولعل وجه الشبه الذي اشتركت فيه هذه الدراسات مع دراستنا هو البعد العقدي الإسلامي، أو بعبارة أخرى البعد الروحي الإسلامي للبيئة، والذي عالجه الإسلام وانفرد وتميز بدراسته من دون الدراسات الأخرى للباحثين غير المسلمين، الذين اقتصرت دراساتهم فقط على البعد المادي للبيئة، أما الإسلام فقد أضاف لهذا البعد، البعد الروحي ليأخذ البعدين كشقين متلازمين للفهم الصحيح لموضوع البيئة والمحافظة عليها.

أما عن الدراسات الإسلامية لموضوع البيئة فقد انقسمت إلى قسمين:

-القسم الأول:

دراسات عالجت البيئة معالجة شمولية مركّزة فقط على الجانب التشريعي والفقهي.

-القسم الثاني:

دراسات عالجت موضوع البيئة من منطلق البعد العقدي الروحي الإسلامي، لتُوصّل لباقي الجوانب التشريعية والفقهية، والدراسة التي بين أيدينا تنتمي إلى هذا القسم من الدراسات، و التي استفدنا منها وكانت لنا عونا في اعتمادنا عليها كدراسات مشابهة لدراستنا خاصة في الجانب العقدي الروحي الإسلامي للبيئة والمحافظة عليها، لأننا نعتقد بأنه البعد الأساسي والمهم في الفهم الصحيح لها من خلال نشر وترسيخ الثقافة البيئية داخل المجتمع، واعتمدنا المسجد كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الإسلامية للكشف عن مدى الدور الذي يقوم به هذا الأخير في نشر هذه الثقافة.

وقد اعتمدنا في بحثنا على دراستين مشابهتين استفدنا من الأولى من خلال الفصل الثاني والثالث، أما الدراسة الثانية فكانت أهميتها بالنسبة إلينا في فصلها الثاني، هذه الفصول المذكورة من الدراستين هي التي اعتمدناها وكان لها إسهام كبير في تسليط الضوء على البعد العقدي الروحي الإسلامي للبيئة، وهو وجه الشبه ونقطة الالتقاء والاشتراك بين دراستنا والدراستين المذكورتين.

- **الدراسة الأولى:**

ربما تكون هذه الدراسة هي الأشهر في هذا المجال، وهي التي قدمت في إطار جائزة دولة قطر حول أحسن بحث في مجال البيئة والمحافظة عليها، وهي دراسة الدكتور عبد المجيد النجار الموسومة بـ **"قضايا البيئة من منظور إسلامي"**، حيث ركزت هذه الدراسة بشكل كبير على البعد العقدي الروحي كبعد متأصل في البيئة، وقد قسمت هذه الدراسة إلى بابين رئيسين :

الباب الأول: يتكون من ثلاثة فصول، وجاء بعنوان التصور الثقافي للبيئة.

الفصل الأول (التمهيدي):

ويحتوي على عنصرين، الأول تناول فيع البيئة وعلم البيئة من خلال حقيقة البيئة بمدلولها وعناصرها، والعنصر الثاني تناول فيه مشكلة البيئة بمظاهرها وأسبابها.

الفصل الثاني:

وجاء بعنوان "التصور الثقافي لحقيقة البيئة" ويحتوي على عنصرين، الأول تناول فيه الحقيقة الروحية للبيئة من خلال البعد العقدي والبعد الجمالي لها، ومقارنة بالمذاهب الأخرى، إضافة إلى أثر البعد الروحي في السلوك البيئـي، أما العنصر الثاني فقد تنـاول فيه الحقيقة المادية للبيئـة من خلال تعرضه إلى واقعية المادة البيئية وقيمتها، وأثر الحقيقة المادية في السلوك البيئي.

الفصل الثالث:

وجاء بعنوان التصرف الثقافي لعلاقة الإنسان بالبيئة، والذي يحتوي على ثلاثة عناصر :

العنصر الأول وتناول فيه العلاقة الوجودية من خلال الوحدة المادية والروحية للإنسان والبيئة، وتميز الإنسان على البيئة في الوجود والتكوين والوعي، إضافة إلى المقارنة ببعض الثقافات.

أما العنصر الثاني فتناول فيه العلاقة الوظيفية من خلال التسخير المادي والروحي للبيئة، إضافة إلى المقارنة بالثقافات الأخرى، أما العنصر الثالث فقد تناول الأثر السلوكي لصورة العلاقة بالبيئة من خلال أخلاقية التصرف البيئي والقوامة بالبيئة.

الباب الثاني : وجاء بعنوان ارتفاق البيئة، ويتكون من فصلين.

الفصل الأول :

والذي تناول فيه الباحث الاستنفاع الروحي من البيئة من خلال البعدين المعرفي والجمالي، ثم المقارنة بالثقافات الأخرى، والاستنفاع المادي من خلال عقديته وأخلاقيته وتقنيته.

الفصل الثاني :

وتناول فيه الباحث عنصر الرفق بالبيئة والذي احتوى بدوره على عنصرين، الأول الرفق الصياني وذلك من خلال الصيانة من التلف والتلوث والصيانة التنموية، أما العنصر الثاني فقد تناول الرفق الاستهلاكي من خلال الاقتصاد في الموارد بنوعيها المتجددة والناضبة.

- **الدراسة الثانية :**

الدراسة المشابهة الثانية وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة – الجزائر – وهي دراسة للطالب كمال سليماني الموسومة " البعد العقدي الإسلامي للبيئة وأثره في المحافظة عليها ".

وكما كان الحال بالنسبة للدراسة المشابهة الأولى، فإن تركيز هذه الدراسة كان منصبا حول البعد العقدي الروحي للبيئة في الإسلام، وقد احتوت على أربعة فصول هي كالآتي:

يفتتح الباحث دراسته بمقدمة فيها تمهيد للبحث، مع إعطاء صورة عامة وواضحة عن شكل هذا الأخير.

الفصل الأول(التمهيدي): وقد عنونه الباحث 'توضيح لأهم المصطلحات'، وقسمه إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول:

وضح فيه المقصود بالبعد العقدي الإسلامي للبيئة، من خلال توضيح معنى البعد لغة واصطلاحا، وبين أنه الجانب أو التجلي الظاهر أو المحسوس من ظاهرة معينة، كما أشار الباحث إلى دور العقيدة الإسلامية في حياة المجتمعات ودورها كدستور فيها، وأن البيئة كما أن لها أبعاد جمالية فنية وثقافية أدبية وعلمية اكتشافية، فلها أيضا بعد أصيل فيها وهو البعد العقدي الروحي، حيث إن أصول العقيدة الإسلامية متجلية بشكل بارز فيها، وأنها شاهدة بوحدانية الخالق وصفاته.

المبحث الثاني :

وذكر فيه مفهوم البيئة في اللغة العربية وفي الاصطلاح من خلال القرارات الدولية وتعريفات العلماء والباحثين، كما ذكر عناصر البيئة من خلال شرح عام، وهي مجموعة البيئات التي باجتماعها تعطينا البيئة الكلية والتي نقصدها وهي : البيئة الجوية، الحيوانية، النباتية، المائية والأرضية.

المبحث الثالث :

أما في هذا المبحث فقد تعرض إلى مفهوم المحافظة على البيئة لغة واصطلاحا، وبين أن المحافظة عليها تتمثل في مصطلحين مجتمعين هما: الرعاية والصيانة للبيئة، كما وضح الباحث أن دراسته للبعد العقدي للبيئة في الإسلام، كان من أجل أن يوضح

أن لهذا الأخير دور كبير في المحافظة على البيئة وأثر جميل في صيانتها من الفساد والإفساد.

الفصل الثاني : وقد عنونه الباحث ' مكانة البيئة في العقيدة الإسلامية '، وضمنه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

وبين فيه المفهوم الإسلامي للبيئة، بذكر هذا المصطلح عبر أصله الاشتقاقي " بَاءَ " في القرآن الكريم، ومعنى مصطلح الأرض الذي هو أوسع مفهوما من مصطلح البيئة حسب نظر الباحث في دراسته، كما وضح كيف أن القرآن الكريم ذكر الحقيقة التامة لهذه العناصر، وطريقة عرضه لها من خلال مشاهد إيمانية متحركة، وقارن المفهوم الإسلامي للبيئة مع المفاهيم الحديثة لها، وأوجه التفوق للمفهوم الإسلامي.

المبحث الثاني :

تعرض فيه الباحث إلى تجلي أصول العقيدة الإسلامية عبر البيئة، ووضح ذلك من خلال أصلَيْ العقيدة الإسلامية وهما : الله عز وجل واليوم الآخر، حيث وضح عبودية البيئة لله تعالى، وهذا عبر شهادتها الصريحة بوجود الله وكمال صفاته، وكذا شهادتها الصريحة باليوم الآخر وعقيدة البعث.

المبحث الثالث :

حيث وضح فيه علاقة الإنسان بالبيئة في ضوء العقيدة الإسلامية التي أطَّرت هذه العلاقة واستخلص أنها علاقة توافق وودٍّ وانسجام بين الإنسان الذي يحمل أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض والبيئة المسخرة له لأداء أمانته كما ينبغي، وأنها النظرة الوحيدة الصحيحة التي تمتاز بها عقيدة الإسلام عن باقي العقائد.

الفصل الثالث : عنونه الباحث ' الفساد البيئي أسبابه ونتائجه وآثاره '، وقد ضمنه مبحثين:

المبحث الاول :

وذكر فيه أسباب الفساد البيئي، والتي فصلها عبر الأسباب الفكرية والأسباب المادية، ووضح من خلال ذلك أن السبب الرئيس في هذا الفساد هو الانحراف والبعد عن منهج الله تعالى.

المبحث الثاني :

وذكر فيه أهم النتائج والآثار المترتبة عن الفساد البيئي.

الفصل الرابع: وقد عنونه 'علاج الفساد البيئي في ضوء العقيدة الإسلامية'، وضمنه مبحثين :

المبحث الأول :

وذكر فيه علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية على مستوى التصور، ذلك أن منطلق الإصلاح يكون من التصور تجاه البيئة، وبين ذلك من خلال ركنين من أركان الإيمان وهما أصلَيْ العقيدة الإسلامية كما ذكرنا آنفا، ووضح كيف يؤدي ذلك إلى وجود تصور صحيح وسليم حول البيئة، مما يؤدي إلى صيانتها والحفاظ عليها.

المبحث الثاني :

وتضمن علاج الفساد البيئي في العقيدة الإسلامية على مستوى السلوك، الذي هو تطبيق عملي للتصور، ووضح ذلك من خلال ثلاثة عناصر متدرجة هي : الحفاظ على

البيئة، تنظيفها، ثم استثمارها وتنميتها، وخلص فيه إلى أن ذلك برنامج نموذجي يستحق التطبيق.

وذيَّل الباحث أخيرا دراسته بخاتمة، ضمنها أهم النتائج التي توصل إليها.

الخلاصة :

من خلال الفصل التمهيدي الذي تطرقنا فيه إلى موضوع الدراسة بما يحتويه من عناصر، فقد تمكنا إلى حد كبير من وضع دراستنا في إطار منهجي، نتمكن من خلاله القيام ببحث متوازن موضوعي وجدير بالقراءة والمناقشة، ويمكن أن يرقى إلى درجة العلمية.

و للإشارة فإن أي دراسة تخلو من الفصل التمهيدي، تعتبر دراسة فاشلة لا محالة، لا تعتمد على أسس علمية ولا منهجية صحيحة، خاصة إذا تعلق الأمر ببعض العناصر كالإشكالية أو تحديد المصطلحات وغيرها، وكل هذه العناصر في انسجامها وترابطها العلمي الموضوعي وتناسقها تشكل عضد البحث، ترسم في مجملها ملامح الدّراسة وتجعلها أكثر علمية ومرونة وسلاسة، وهذا يؤدي بالضرورة كتحصيل حاصل إلى نتائج أكثر دقة وأكثر ضبطا وموضوعية.

وعليه فإننا رسمنا ملامح بحثنا بتقسيمه إلى ثمانية عناصر بما فيها التمهيد والخلاصة، وكان هذا التقسيم حسب متطلبات الدراسة، غير منافٍ لأبجديات الدراسات السوسيولوجية ومنهجيتها، محاولة منا إلى ضبط البحث بمنهجية صحيحة مما يقودنا إلى نتائج علمية دقيقة كما ذكرنا آنفا.

الفصل الثاني
الثقافة البيئية

تمهيد
II-1- عناصر الثقافة البيئية
II-2- الثقافة البيئية في الدول المتطورة
II-3- الثقافة البيئية في الدول النامية
II-4- إستراتيجية الجزائر البيئية
II-5- التنشئة الاجتماعية و الثقافة البيئية
خلاصة

تمهيد :

إن موضوع الاهتمام بالبيئة والمحافظة على سلامتها من التلوث والمشكلات البيئية الأخرى التي تحدق بها، ضرورة يجب أن تشغل بال كل إنسان يعيش على هذه الأرض، وخاصة المسؤولين أو أصحاب القرار في جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة، كالقطاع التربوي، والصحي، والصناعي .... إلخ، إيمانا بأن الإنسان هو الغاية والوسيلة في الوقت نفسه، وهدفه استغلال الموارد الطبيعية من أجل الحياة الأفضل، هذا ما جعل العلماء والمفكرين والسياسيين، يركزون على الثقافة البيئية، بهدف بناء الإنسان الواعي بيئيا وتقنيا وفق قيم وأخلاقيات إنسانية، وهذا ما أوصت به كل الدراسات الخاصة بالبيئة.

لهذا أخذت الثقافة البيئية مفهوما شاملا يشكل بعدا أساسيا للنظام التربوي ككل، وأصبحت النظرة إليها كمنهج تربوي لتكوين الوعي لدى كل الأفراد في المجتمع، إضافة إلى تكوين القيم والاتجاهات والمهارات التي تنظم سلوك الأفراد وتمكنهم من الإسهام الحقيقي والفعال في حماية البيئة وحل مشكلاتها. ومفهوم الثقافة البيئية يتسم بالشمولية لمقومات التربية البيئية من جهة، وبالتكاملية بين هذه المقومات لتحقيق أهداف هذه الثقافة، متجسدة في نهاية المطاف في محاكمة الإنسان الفكرية للظواهر البيئية، وفي مواقفه وسلوكه الاجتماعي تجاهها.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود في مجال حماية البيئة والتحسيس بها، من خلال نشر الثقافة البيئية بشقيها النظامي وغير النظامي في أقطار العالم بأسره، فإن المربين والفلاسفة والعلماء والسياسيين وأنصار المحافظة على البيئة، لم يستطيعوا تحقيق الحماية الكافية لها رغم الجهود المبذولة.

إن المسؤولية الكبرى عن الأزمة البيئية الحالية تقع على عاتق الإنسان، إذ إن نشاطاته التي أدت إلى الإضرار بالبيئة تشير بوضوح إلى أن موقفه منها وتفكيره بها وأخلاقياته نحوها لم يطرأ عليها أي تغيير، فيبدو أن الأزمة البيئية التي نعيشها اليوم، هي أزمة سلوك إدراكي ناتجة عن ضعف الوعي البيئي، وافتقار الذهنيات إلى الثقافة البيئية.

ولعل الثقافة البيئية تعد جوهر القضية للنهوض بالبيئة وتكوين فهم صحيح لها، ولا ريب في أن نشر هذه الثقافة وترسيخها في المجتمع، يعتمد أساسا على مؤسسات خاصة تقوم بهذا الدور المهم والفعال والناجع، وهي مؤسسات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة كالأسرة والمسجد والمدرسة ..... إلخ، التي من خلالها يمكن تكوين مجتمع متماسك من خلال أفراده الذين نالوا قسطهم من التنشئة الصحيحة منذ الطفولة إلى أن أصبحوا أفرادا راشدين فعالين في المجتمع، إلا أن التنشئة الاجتماعية البيئية تكون مدتها غير محدودة أي من الطفولة إلى نهاية الحياة بالنسبة للفرد. وفي هذا الفصل الذي عنوناه بالثقافة البيئية، سنقوم بعرض الاهتمامات بهذه الثقافة في الدول المتطورة والمتخلفة، إضافة إلى التطرق للثقافة البيئية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها، وللإشارة فإن مفاهيم الثقافة والثقافة البيئية والتنشئة الاجتماعية قد تم تحديدها في الفصل التمهيدي.

II-1-عناصر الثقافة البيئية:

II-1-1- الوعي البيئي:

II-1-1-1- مفهوم الوعي البيئي:

يعتبر الباحث السيد عبد الفتاح عفيفي بأن قضية الوعي البيئي ترتبط أشد الارتباط بالثقافة بمفهومها الواسع عند علماء الأنثروبولوجيا، بوصف هذا الوعي جزءا من الثقافة السائدة التي تعمل كموجه عام لسلوك الإنسان.

وبالتالي فإن الوعي هو الإحساس بالمسؤولية، وإدراك كيفية التعامل مع البيئة وصيانتها من الأخطار التي تهددها.

وفي نفس السياق يعرف السيد عبد الفتاح عفيفي الوعي البيئي بأنه "يشير إلى درجة الإدراك على المستويين الفردي والجماعي لأهمية المحافظة على البيئة وحمايتها، والتعامل معها، دون الجور عليها لتطويعها من أجل تحقيق غايات فردية سريعة للإنسان في المدى القصير تلحق بالبيئة أضرارا على المدى الطويل ".

وبالتالي فإن الوعي البيئي يعني تحسيس الأفراد بأهمية الحفاظ على البيئة، والتعامل معها بعقلانية من خلال تدعيم دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية، التي تعمل على رفع المستوى الثقافي وتنمية الوعي لديهم للمشاركة بفعالية في التحسيس بالبيئة وحمايتها من كل سوء. (عبد الفتاح عفيفي، 1996، ص.222)

II-1- 1- 2- الوعي البيئي عند ابن خلدون:

مشكلة تلوث الهواء قائمة منذ آلاف السنين، ولكن الإنسان لم يدرك خطرها إلا حديثا، ويشير بعض علماء البيئة في بحوثهم إلى أن عالما يدعى جون شعلين، اكتشف تلوث الهواء منذ أكثر من ثلاثة قرون، وبالتحديد عام 1661 م عندما قدم بحثا عن الدخان في مدينة لندن، حيث أظهر آثار تلوث الهواء الناتج عن احتراق الفحم، واستخلص أن التلوث يؤدي إلى انخفاض نسبة الأشعة الشمسية، وارتفاع في الوفيات نتيجة أمراض الجهاز التنفسي. (عليان وآخرون، د.ت، ص ص.23-24)

هذا ما لاحظه بعض علماء البيئة، وما دونوه في كتبهم، ونسوا أنه قبل ذلك بنحو قرنين، لاحظ العلامة ابن خلدون مشكلة تلوث الهواء بصورة أعمق، وأكثر دقة فقد لاحظ أن صناعة الطب محتاج إليها في الحضر دون البادية، وأن أهل البادية أكثر صحة من أهل الأمصار، وفي هذا يقول: « إن الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات، والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها الأثر الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار، إنهم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثرا، فكان وقوع الأمراض كثيرا في المدن والأمصار، وعلى قدر وقوعها كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة (صناعة الطب)، وأما أهل البدو فمأكلهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب، حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها جبلة لاستمرارها، ثم الأدم قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة، وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه إنما يدعو إلى ترف الحضارة اللذين هم بمعزل عنه فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها من ملائمة البدن. وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا آهلين، أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظواعن، ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل والصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويحود ويفقد إدخال الطعام على الطعام، فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من

الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية، وما ذلك إلا لاستغناء إذ لو احتيج إليه لوجد، لأنه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه إلى سكناه، سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا... » (جيرة، 2000، ص.19)

II-1- 1- 3- الوعي البيئي في العصر الحديث:

تمثل مشكلة البيئة التي فرضها الاتجاه نحو التصنيع والتكنولوجيا الحديثة إحدى المشكلات الرئيسة في هذا العصر، حيث تشير الأرقام والإحصائيات إلى حجم وخطورة هذه المشكلة مما يهدد مستقبل الحياة على كوكب الأرض. والإنسان في النهاية هو الذي يدفع الثمن، وهو أولا وأخيرا في حاجة لأن يعطي البيئة حقها كي يحصل هو نفسه على الضروريات الحياتية، من ماء نقي وهواء نظيف وطعام صالح ...الخ.

ولهذا زاد الاهتمام في هذه الأيام بقضايا البيئة، وخصوصا بعد أن انتشرت أو عرفت أمراضا عديدة، لم تكن معروفة لدى الإنسان من قبل ومن ثمة اتجهت الأبحاث والدراسات للعمل على معرفة أسباب هذه المشاكل، وبدأ المختصون في الصحة العامة والخاصة، يتحدثون عن علاقة قوية بين بعض هذه الأمراض وبين ما يحدث من أضرار من قبل الإنسان على البيئة المحيطة به.

ولا ريب في أن الاهتمام العام بقضايا البيئة لم يأت من فراغ وخاصة بعد وقوع العديد من الكوارث البيئية التي هزت العالم، ويمكن الإشارة إلى بعض مظاهر الاهتمام العالمي بقضايا البيئة والوعي البيئي فيما يأتي:

- إنشاء أقسام ومعاهد خاصة بالدراسات البيئية.
- إصدار بعض المجلات العلمية المتخصصة في الدراسات البيئية، بهدف تحقيق الوعي البيئي، ومحاولة التغلب على المشاكل البيئية.
- قيام منظمات حكومية وأهلية مهمتها الدعوة إلى الحفاظ على البيئة.
- تخصيص حيز لا بأس به لقضايا البيئة ومشاكلها في وسائل الإعلام والتعليم.
- عقد الندوات والمؤتمرات الدولية لمناقشة المشاكل البيئية.

ومن خلال هذه المظاهر يتضح لنا أن قضية الوعي البيئي تتحرك الآن في اتجاهين:

أ- الاتجاه العلمي التجريبي:

ويبرز من خلال أنشطة المعاهد والمجلات العلمية والمخابر المتخصصة في الدراسات البيئية.

ب- الاتجاه الفكري الثقافي:

ويتمثل في جهود وسائل الإعلام وعلماء الدين والاجتماع ورجال الثقافة والفن، وهم أقرب إلى جمهور الناس من العلماء والمختصين اللذين قد يقتصر دور معظمهم على تعليم الطلبة ومنح الدرجات العلمية.

ولو تتبعنا اهتمام الإذاعة والصحافة والمجلات الثقافية والعلمية بصفة خاصة لوجدنا أن الاهتمام بقضايا البيئة في هذه الوسائل في العقد الماضي كان أقل مما هو عليه الآن، وأكثر من الذي قبله وهكذا يزداد الاهتمام بالبيئة وقضاياها يوما بعد يوم، ونتيجة لذلك بدأنا نسمع الصرخات من جماعات المحافظة على البيئة، لم نكن نسمع بها من قبل ولا حتى عن المنادين بها.

ولا شك أن رفع نسبة المتعلمين ونشر الثقافة وتعدد وسائلها، كان وراء تلك الصرخات، ولكن الثقافة لم تكن هي الأخرى لتنتبه إلى ذلك لولا بروز مشاكل بيئية أثرت على صحة الإنسان وحياته وقوته النفسية والجسدية، وكل هذا قد ساهم في معرفة الإنسان العادي بجانب من مشاكل البيئة، فبدأ يعي التلوث في الغذاء عن طريق المبيدات الزراعية، وبدأ يعي التلوث في الهواء والماء بسبب انبعاث الغازات ورمي النفايات، ويعي الضوضاء من كثرة الاكتظاظ.

وإذا كنا قد لاحظنا في السنوات العشر الأخيرة زيادة الاهتمام العالمي بالبيئة، فإن نصيب الفرد العادي من هذا الاهتمام يظل ضعيفا طالما فشلت وسائل الإعلام والثقافة أن تشركه معها، لأنه يفضل أن يفكر في مشاكله اليومية الملحة من تحصيل سبل الرزق في ظل ظروف معيشية صعبة، ومن هنا تقع المهمة على كاهل علماء الدين في إشراكه وإقحامه ضمن دائرة المهتمين بالبيئة، ومن العجب أن بعض الناس قد يهتمون بمباراة في كرة القدم أكثر من اهتمامهم بشؤون الكرة الأرضية، فكلمة البيئة في نظر هؤلاء لا تعني غير التلوث، وهذا مفهوم قاصر، لأن التلوث حالة من حالات البيئة، أو هو الحالة السيئة التي تصبح عليها البيئة. (جيرة، 2000، ص ص.20-21)

II-1-2- التربية البيئية:

II-1-2-1 مفهوم التربية البيئية:

إذا كانت التربية عملية بناء وتنمية للاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات والقيم عند الأفراد في اتجاه معين لتحقيق أهداف مرجوة، فإنها كذلك تكون بمثابة استثمار للموارد البشرية، يعطي مردودا ديناميكيا في حياة الأفراد وتنمية المجتمعات، ومن هذا المفهوم للتربية فإن التربية البيئية هي: " عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بالبيئة التي يحيا فيها، وتوضح حتمية المحافظة على موارد البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة ورفعا لمستويات معيشته ". (إبراهيم ناصر، 2004، ص.329)

لقد تعددت الآراء في معنى التربية البيئية ومدلولها، وذلك بتعدد مدلول العملية التربوية وأهدافها من جهة، ومدلول البيئة من جهة أخرى، إذ يرى البعض أن دراسة البيئة في حد ذاتها ضمان لتحقيق التربية البيئية، والبعض الآخر يرى أن هذه الأخيرة أشمل وأعمق.

II-1- 2- 2- فلسفة التربية البيئية:

إن الدعوة العامة لكل البشر بالمحافظة على البيئة حاضرا ومستقبلا من أجل التنمية، تعد فلسفة للتربية البيئية، وسببا لتنشئة الفرد الواعي بيئيا والمنضبط ذاتيا، والإحساس بالمسؤولية الأخلاقية دون رقابة خارجية تجاه البيئة، وتطبيق المعارف إلى سلوك عملي عن قناعة نابعة من ذات الفرد، والابتعاد عن الأنانية وإحداث خلل في مكونات البيئة ونظمها (محمود وهبي ودرويش العجي، 2003، ص. 56)

وقد قامت فلسفة التربية البيئية، لسد فراغ في التربية القائمة على العلم والمعرفة الصرفة، والرغبة لدى التربويين لتكون استجابة ملائمة لحاجات جديدة وتكوين أنماط سلوكية تصون الحياة بمجملها في الطبيعة، ويمكن ذكر مسوغات التربية البيئية كالآتي:

- تعديل سلوك البشر تجاه البيئة نحو الأفضل.

- ارتباط الإنسان مع بيئته الطبيعية بعلاقات يستمد من خلالها مقومات حياته ومستلزمات تقدمه ورفاهيته، لأن الإنسان عنصر رئيسي في النظام البيئي.
- تلبية النداءات البشرية للحفاظ على البيئة من خلال الندوات والمؤتمرات،والتخوف الناتج عن سوء حالة البيئة.
- تحول الانتباه من المشكلات البيئية الواقعة إلى محدثها الكائن البشري.
- الزيادة الكبيرة في عدد سكان العالم المؤثرة في نوعية البيئة.
- نشر الفكر البيئي، حتى يتمكن من تحقيق التوازن بين متطلباته واحتياجاته مع بيئته المحلية.
- تربية المواطن ليتمكن الفرد من اتخاذ القرارات التي تمكنه من استخدام وسائله المتوافرة لإدارة البيئة.

ونتيجة للوعي بالمشكلات البيئية الكبرى التي تهدد الإنسان والحياة على الكرة الأرضية، تم وضع مجموعة من الأسس والمنطلقات الفلسفية للتربية البيئية يمكن إجمالها كما يلي:

- المشكلات البيئية معقدة، وإن حلها ومواجهتها يستلزم توافر وتضافر مختلف مجالات المعرفة.
- يجب النظر إلى المشكلات البيئية في نطاقين محلي وعالمي، إذ يجب النظر إلى البيئة المحلية المحيطة بالفرد بداية للإلمام بعلاقته بها، ومن ثم النظر إلى النطاق العالمي للمشكلات البيئية حتى يدرك الفرد حجم المشكلات ويقتنع بخطورتها.
- لقد أحدث الجنس البشري اضطرابا في البيئة، وعليه تحمل مسؤولية إصلاح العطب الذي أحدثه تماديه في الإتلاف والتخريب.

- يعتمد وجود ورَفَاهُ الجنس البشري على الأرض على القيم التي يمتلكها الناس حول: احترام أقرانهم من بني البشر، حماية وصيانة الموارد البشرية، الدافعية القوية للقيام بالعمل لخدمة الإنسانية ككل وتحسين البيئة.
- يعتمد السلوك الظاهر للناس اتجاه بيئتهم الطبيعية والمشيدة على المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي يمتلكونها.
- أخلاقية بيئية للانسجام بين الإنسان والبيئة، وأن تكون التربية البيئية مستمرة وتبدأ من الطفولة وتستمر خلال التعليم النظامي وغير النظامي.

ولا تتعارض هذه الأسس والمنطلقات مع الفلسفة الندية، التي تنادي بعلاقة انسجام الإنسان مع الطبيعة واستمرارها في حدود قدراتها على التجدد والعطاء، إلا أن هذه المنطلقات لا تتفق مع الفلسفة الحتمية القائلة بأن على الإنسان أن يخضع للطبيعة لأنها أقوى منه، كما أن هذه الأسس والمنطلقات تختلف مع الفلسفة الإمكانية التي تؤمن بقدرة الإنسان على إخضاع الطبيعة لإرادته. (وهبي والعجي، 2003، ص.58)

ولقد حاول بارك وضع إطار فلسفي للتربية البيئية تستند إليه في نطاق التعليم النظامي وعرفها بأنها: " طريقة حياة تقدم تصورا جديدا للقيم الإنسانية على الصعيدين البيئي والروحي، وتطرح جملة من المفاهيم الفلسفية الجديدة هدفها توطيد التناغم في حياتنا وفي العالم، وتعيد هذه المعرفة والقيم إلى مكانها وإحداث التغيرات المطلوبة منها لبناء الإنسان المتوافق مع نفسه ومع بيئته "، أو هي " إطار مفاهيمي نظري تستند إليه برامج التربية البيئية ويتمثل هذا الأساس بالدعوة إلى التعايش مع البيئة من منطلق أن الإنسان جزء منها له ما لها وعليه ما عليها ". (الحلبوسي، 2002، ص.22)

ولأهمية العلاقة بين البيئة والتربية وفلسفتها، كان لابد أن يتوجه النظام التربوي نحو مؤسسات التعليم في جميع مراحله النظامية وفعالياته غير النظامية، ذلك التوجه الذي ينتظر الجهود التنظيرية لإدخال المفاهيم البيئية، وفق فلسفة تربوية بيئية تتناول فعاليات الدماغ البشري وميكانيزمات تأثره بالمشكلات البيئية، وبفهم جديد للمناهج المدرسية ومحتوياتها وطرائقها وإمكانات تطويرها، لتتلاءم مع فعاليات التعليم البيئي والتربية البيئية ضمن سياق تجديدي وتطويري للنظام التربوي والفعاليات التربوية، تتناول شمولية التجديد ثورية التغيير، وهذا ما تعنيه الثورة في جوهرها ويهدف إليه التقدم، لا يمكن أن يكون إلا بالمعرفة، معرفة الحياة، ومعرفة طبيعة المجتمع .

وتنحصر مسؤولية الإنسان المعاصر في المساهمة في الخلل والاضطراب، الذي يسببه للبيئة فلابد إذا من وقفة تطالبه بإصلاح ما أفسده وتحذره من التمادي والإتلاف والتخريب، وإيجاد المنطلقات والمبادئ الأساسية للرَّفَاهِ الإنساني، من خلال القيم البيئية التي يجب أن تتبلور حول احترام الإنسان للإنسان أينما كان وكيفما اعتمد امتداده، فضلا عن حماية الموارد البشرية وترشيدها وصيانتها. (الحلبوسي،2002،ص ص.23-24)

II-1-2-3- أهداف التربية البيئية:

لقد تطورت أهداف التربية البيئية مع تطور مفهوم التربية البيئية لتتماشى مع النظرة الجديدة اتجاهها، وقد حددت ندوة بلغراد الغرض العام للتربية البيئية على النحو التالي: " تطوير عالم سكانه أكثر إحساسا واهتماما بالبيئة والمشكلات ذات الصلة بها، ويملكون من المعارف والمهارات والاتجاهات والدوافع والالتزام بالعمل فرديا وجماعيا، ما يلزم لحل المشكلات القائمة وتجنب الجديد منها ".(وهبي والعجي،2003، ص.58)

وتهدف التربية البيئية إلى:

- إعطاء الإنسان القدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل الدائم بين مكوناتها البيولوجية والفزيائية والاجتماعية والطبيعية.
- إمداد الفرد بالوسائل والمفاهيم التي تمكنه من تفسير علاقة التكافل والتكامل التي تربط بين هذه المكونات المختلفة في الزمان والمكان بما يساعد على إيضاح الطريق السوي نحو استخدام مورد البيئة بمزيد من العقلانية والحيطة لتلبية الاحتياجات المادية والروحية للإنسان في حاضره ومستقبله، له ولأجياله من بعده.
- إيجاد وعي وطني بأهمية البيئة بالنسبة لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث تؤدي إلى إشراك السكان كافة، طوعا لا كرها وبطرق مسؤولة وفعالة في صياغة القرارات التي تمس نوعية البيئة بكافة مكوناتها.
- إيجاد وعي عن أهمية التكامل البيئي في العالم المعاصر. (إبراهيم ناصر،2004، ص.331)

ولتحقيق هذه الأهداف كما جاء في التوصية (2) من مؤتمر تبليسي الذي انعقد عام 1977 فإنه ينبغي للتربية البيئية:

- أن تنظر للبيئة نظرة تكاملية من مختلف الجوانب.
- أن تكون عملية دائمة، وفي جميع المراحل الدراسية.
- الاستعانة بالفروع العلمية المختلفة، للوصول إلى نظرة شمولية متوازية.

- أن تبحث القضايا البيئية الكبرى من وجهات نظر محلية ووطنية وإقليمية ودولية لتتكون عند الطلاب صورة عن الظروف البيئية في المناطق الجغرافية المختلفة.
- أن تركز على الأوضاع البيئية الحالية والمحتملة مع مراعاة الجانب التاريخي.
- أن تساعد التربية البيئية الطلاب على كشف أعراض أو أسباب المشكلات البيئية الحقيقية.

وتحاول التربية البيئية تحقيق أهدافها عن طريق مايلي:

- **المعرفة**: وذلك بتوفير المعلومات لفهم النظام البيئي ومكوناته وفهم البيئة المحيطة بالمتعلم والبيئات الأخرى وكل ما تحتويه من مواد ومشكلات بيئية.
- **المهارة**: وذلك بالقيام بأنشطة عقلانية بهدف اكتساب المهارات العملية كجمع النماذج، وتسجيل البيانات، وإجراء التجارب، واقتراح حلول للمشكلات تكون قابلة للتحقيق.
- يجب على التربية البيئية أن تطور المواقف والاتجاهات عند المتعلمين للحفاظ على البيئة وتحسينها. (وهبي والعجي، 2003، ص.59)

II-1-3- النشاط الدولي والعربي في مجال الثقافة البيئية:

II-1- 3-1- أهم المؤتمرات والندوات العالمية في مجال الثقافة البيئية:

ليست البيئة حديثة العهد، فلها جذورها القديمة التي تمتد عبر التاريخ في ثقافات وأديان الشعوب إلى العصر الحديث، إلا أنها اكتسبت أهمية كبرى عند العلماء والفلاسفة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نتيجة لتزايد الاهتمام بالبيئة وانبثاق الوعي بالمشكلات البيئية الكبرى لذلك ارتبطت بالثقافة البيئية.

ولعل المؤتمرات والندوات التي عقدت في العالم، والتي وضعت البيئة على المحك، وذلك بالتأكيد على نشر الثقافة البيئية من خلال التربية البيئية وعقد المزيد من المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية والمحلية، كتجسيد لهذه الثقافة وذلك للنهوض بالبيئة والمحافظة عليها وحمايتها.

وعلى هذا الأساس يعد عقد السبعينات بداية الاهتمام العالمي المكثف بمشكلات البيئة، فمنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه القضية تناقش باستمرار في المحافل الدولية، وفي أروقة الأمم المتحدة، وقد اجتمع في مدينة (منتون) الفرنسية حوالي 2200 عالم عام 1971، للبحث في مشاكل البيئة، ووجهوا رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة بيّنوا فيها موقفهم من البيئة ومشكلاتها المعاصرة، واعتمدت كوثيقة من وثائق الأمم المتحدة آنذاك.

وعقد مؤتمر روشيلكون بسويسرا (1971) لبحث موضوع التربية البيئية، والمناهج الدراسية وكيفية إدخال المفاهيم البيئية في المواد الدراسية المختلفة، وتحديد مفهوم التربية البيئية والأسس التي يقوم عليها إدخال هذا المفهوم في برامج التعليم وذلك لترسيخ الثقافة البيئية عند كل أفراد المجتمعات، وناشد المؤتمر بذل المزيد من المجهودات الدولية في هذا المجال.

وكان للمحاولات الفردية والجماعية أثر كبير في دفع الأمم المتحدة لعقد أول مؤتمر لها في استكهولم (السويد) للفترة 5 – 16 يونيو عام 1972، لبحث المخاطر البيئية نتيجة النشاطات الإنسانية، وكيفية العمل على صيانة البيئة وحمايتها من هذه المخاطر المدمرة.

فأصدر المؤتمر التوصية (96) التي دعت اليونسكو بخاصة ووكالات الأمم المتحدة بعامة إلى اتخاذ التدابير اللازمة لبرنامج جامع لعدة فروع علمية للتربية البيئية في المدرسة وخارجها، على أن يكون موجها للجميع، وكانت هذه التوصية الأساس والمنطلق والمبدأ

الهادي الذي استندت إليه اليونسكو في تحديد الأهداف الخمسة للبرنامج الدولي للتربية البيئية الذي ترعاه بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة (UNEP) الذي يأخذ من نيروبي مقرا له وهي:

- تشجيع تبادل الأفكار والمعلومات والخبرات المتصلة بالتربية البيئية بين الدول وأقاليم العالم المختلفة.
- تشجيع نشاطات البحوث المؤدية إلى فهم أفضل لأهداف التربية البيئية ومادتها وأساليبها، وتنسيق هذه النشاطات وتطويرها.
- تشجيع تطور مواد تعليمية ومناهج وبرامج في حقل التربية البيئية وتقويمها.
- تشجيع تدريس وإعادة تدريب القادة المسؤولين عن التربية البيئية مثل المخططين والباحثين والإداريين والتربويين.
- توفير المعونة الفنية للدول الأعضاء لتطوير برنامج التربية البيئية.

وصدر عن مؤتمر استكهولم الإعلان العالمي عن البيئة الإنسانية، وهو يتكون من 26 مبدأ أساسيا، أدى إلى اختلاف كبير في وجهات النظر في الدول النامية والمتقدمة، اتصفت بالطابع السياسي وكادت أن تعصف بهذا المؤتمر، وكانت الاختلافات ناجمة عن قضايا مثل استخدام الأسلحة النووية والقهر الاستعماري بكافة أنواعه والسيطرة الأجنبية، وضرورة إنهائها، واستنزاف ثروات وموارد الدول النامية من قبل الدول المتقدمة. وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الآراء نجد أن هناك جوانب إيجابية واضحة ظهرت في هذا المؤتمر نوجزها على النحو التالي:

- كان هناك اتفاق عام على أن الإنسان عامل فعال في البيئة وأنه يؤثر في كيانها سلبا أو إيجابا، وعليه أن يتعامل معها بحكمة ودراية.
- يتحتم إيجاد تعامل دولي لحماية البيئة وإنشاء الجمعيات والهيئات لكل دولة لإجراء الدراسات والبحوث من أجل حماية البيئة وتحسينها.
- إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة، لتنسيق وتدعيم الجهود الدولية والإقليمية في المجال البيئي.
- العمل على الاستمرار في عقد الندوات والحلقات عن البيئة، والنظر في مشكلاتها وطرح المزيد من الأفكار التي تساعد على تطوير البيئة وحمايتها.

وكان لمؤتمر استكهولم بما أبداه من اهتمامات وتوجهات، أثرٌ بالغٌ في اتجاه التفكير لمعالجة المشكلات البيئية ليست فقط للجوانب البيولوجية والفيزيائية، التي تشكل الأساس الطبيعي للبيئة البشرية، وإنما أيضا لأبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي تحدد ما يحتاج إليه الإنسان من توجيهات ووسائل فكرية وتقنية لفهم الموارد الطبيعية والثروات الوطنية واستخدامها على نحو أفضل ومناسب في تلبية احتياجات الإنسان.

ومن أهم التوصيات التي صدرت في مؤتمر استكهولم هي تأكيد الأهمية القصوى لحماية البيئة وتحسينها وضرورة إيجاد سياسة عالمية لها. وكذلك التخطيط لمسلك عالمي في هذا المجال وإيجاد مؤسسات متخصصة بقضية البيئة في نطاق الأمم المتحدة. (الحلبوسي، 2002، ص ص.112-113)

- مؤتمر بلغراد:

تم عقد مؤتمر بلغراد 1975 للفترة من 13 – 22 أكتوبر بدعوة من اليونسكو وبالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة، حدد غايات وأهداف وخصائص التربية البيئية والمنتفعين بها وهدفها وفق ما اتفق عليه في مؤتمر بلغراد، مع إعطاء الإنسان القدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة، نتيجة للتفاعل الدائم بين مكوناتها البيولوجية والفيزيائية

والاجتماعية والثقافية وكذلك سعت التربية البيئية إلى إيجاد وعي وطني بأهمية البيئة ومتطلبات التنمية وأخيرا إيجاد وعي لأهمية التكامل البيئي في العالم المعاصر.

و لتحديد هذه الأهداف يتطلب فلسفة تربوية بيئية تسعى إلى فهم العلاقات بين مختلف العوامل البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية، التي تتحكم في البيئة وتكاملها لإرساء القاعدة الأساسية العملية لتطوير مناهج للسلوك. ويمكن تحقيق ذلك من خلال إتاحة الفرصة في كافة المراحل التعليمية (النظامية وغير النظامية) وإدخال المفاهيم البيئية في برامج التعليم لجميع فئات العمر، ووضع أساس قيمي لاتخاذ قرارات مناسبة تجاه البيئة.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها مؤتمر بلغراد:

- الإنسان جزء لا يتجزأ من البيئة يؤثر ويتأثر بها وتقع على عاتقه مسؤولية إدراك مكونات البيئة وعلاقة عناصرها بعضها بالبعض الآخر والمحافظة عليها.
- أخذ الحيطة في استخدام موارد الأرض بما يكفل عيشة كريمة للإنسان وللأجيال من بعده.
- تسعى التربية البيئية إلى تعميق الوعي الوطني للإنسان بأهمية البيئة ومتطلبات التنمية.
- ضرورة إدخال التربية البيئية في التعليم النظامي وغير النظامي ولجميع الأعمار، وذلك لإكسابهم المعارف والمهارات والاتجاهات المساهمة في حل قضايا البيئة.
- تسعى التربية البيئية إلى حل المشكلات البيئية البشرية عن طريق مساعدة الأفراد لإدراك هذه المشكلات، واستخدام المعرفة لتفسير الظواهر واقتراح الحلول لمشكلاتها.
- تأخذ التربية البيئية بفكرة التنمية الشاملة المستدامة والمتاحة لجميع فئات الناس.
- التربية البيئية لا تهدف إلى تعديل سلوك الناس فحسب، وإنما لتعديل سلوك المسؤولين ممن تتأثر البيئة بقدراتهم. (قريد سمير، 2006، ص ص.62-63)

- مؤتمر تبليسي:

عقد مؤتمر تبليسي في أكتوبر عام 1977 في الاتحاد السوفياتي سابقا لبحث قضايا التربية البيئية، وقد وضع المجتمعون أفكارا واستراتيجيات لهذه الأخيرة، إذ قدمت ثلاث عشرة ورقة تنبه على ضرورة التربية البيئية وتنمية الثقافة والوعي والخلق البيئي، وأهداف وخصائص التربية البيئية والاهتمام بالبرامج التعليمية.

نوجز أهم المبادئ التي اعتمدها المؤتمر لتوجيه التربية البيئية:

- تدرس البيئة من وجوهها جميعا الطبيعية والتقنية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والأخلاقية والجمالية.
- تكون التربية البيئية عملية مستمرة مدى الحياة، تبدأ قبل سن المدرسة ثم تستمر خلال مرحلتي التعليم النظامي وغير النظامي.
- تركز التربية البيئية على المواقف الراهنة والمنتظرة مع مراعاة البعد التاريخي.
- تراعي التربية البيئية البعد البيئي في خطط التنمية.
- تساعد التربية البيئية على اكتشاف المشكلات البيئية وأسبابها الحقيقية.

ومن توصيات المؤتمر ضرورة العمل على إدخال التربية البيئية في مناهج الدراسة، وتشجيع البحوث التي تتناول التربية البيئية. ومما سبق يتضح أن مؤتمر تبليسي قد أكد دور التربية والتعليم في خلق وعي بيئي لدى كافة الأفراد وتكوين نظرة شاملة متوازنة للتربية البيئية وأن تكون هذه الأخيرة عملية مستمرة مدى الحياة. (الحلبوسي، 2002، ص ص.116-117)

ـ مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية:

كانت قمة الأرض التي عقدت في مدينة ريوديجانيرو في الفترة الممتدة من 3 إلى 14 جوان 1992، لحظة مهمة في تاريخ التعامل الإنساني الجماعي مع قضيتي البيئة والتنمية، فالقمة جاءت لتواكب القلق العالمي المتزايد حول نوعية الحياة ومصيرها على كوكب الأرض، التي أخذت تشهد تدهورا حادا وغير مسبوق في التاريخ، بحيث بلغ التدهور أحيانا وفي العديد من المناطق، درجات قصوى وأصبح أكبر بكثير من القدرة على الإصلاح وتجاوز كل ما هو معقول ومقبول، وربما قد دخل طور الانتحار الإنساني العام والشامل.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد بأن مؤتمر " قمة الأرض " حاول التوفيق بين البيئة والتنمية والإقرار بأنهما وجهان لعملة حياتية واحدة، وأن التنمية لابد أن تكون تنمية مستدامة تلبي الشروط البيئية بقدر تلبيتها للاحتياجات الإنسانية والحياتية، من خلال الاستخدام العقلاني للموارد الطبيعية، كما ركز المؤتمر على عدة قضايا اجتماعية وبيئية مثل: تنمية الموارد البشرية، وتحسين شروط الحياة، والعمل للفقراء في المناطق الريفية وأحزمة البؤس حول المدن وبخاصة من خلال إقامة برامج تنموية مشتركة للريف والمدينة، ووضع ترتيبات مؤسساتية للمجتمع الدولي لمتابعة الإجراءات، وفي هذا السياق يقول " موريس سترونغ " أمين عام اللجنة الإعدادية للمؤتمر بالبرازيل: " إن هدف المؤتمر هو وضع البيئة في مركز السياسة الاقتصادية لدى صانعي القرار، وإدماج الأبعاد البيئية في الحوار بشأن التنمية ووضع خطة عمل للسنوات الباقية من القرن الحالي وللقرن الواحد والعشرين "، ولهذا السبب أطلق على جدول أعمال المؤتمر بـ «الجدول21».

ومما هو ملا حظ في هذا الصدد، هو أن المؤتمر خرج بست نتائج أساسية:

ـ وضع معاهدات بشأن مسائل ذات أهمية كونية متصلة بالقطاعات البيئية كمعاهدة لتغيير المناخ، وأخرى للتنوع البيولوجي، وأخرى للغابات، وأخرى للتصحر ... الخ.

ـ إعلان ميثاق للأرض يحدد ويعلن مبادئ تلتزم المجتمعات والدول بها في العلاقات فيما بينها ومع البيئة، وتؤكد على تبني استراتيجيات تنمية قابلة للاسمرار.

ـ تحديد جدول عمل للقرن الواحد والعشرين لتطبيق ميثاق الأرض، وصياغة الإجراءات الواجب إتباعها مع تحديد الأهداف والأساليب التي تحقق للمجتمع الدولي التنمية القابلة للاستمرار.

ـ وضع آلية تمويل للأنشطة التنفيذية للمبادئ المعلنة خصوصا في الدول السائرة في طريق النمو، التي تفتقر إلى موارد مالية إضافية لدمج البعد البيئي في سياستها وممارستها الإنمائية.

ـ إقرار أصول إتاحة الثقافة البيئية للدول كافة، بغية تمكين الجميع من تحقيق الأهداف المنشودة لتنمية قابلة للاستمرار. ويفترض أن تستند هذه الأصول إلى ضرورة تقديم المعرفة الكاملة بتلك الثقافة مع احترام مسألة حقوق الملكية الفكرية.

ـ بحث مسألة المؤسسات التي ستشرف على عملية التنفيذ.

هذا وينبغي الإشارة فضلا عما سبق إلى أن المؤتمر تناول أهمية المشاركة الاجتماعية في عملية الحفاظ على البيئة، من خلال تعزيز دور المرأة والشباب وإشراك كل الفاعلين الاجتماعيين، والمنظمات غير الحكومية، والاتحادات العمالية، والجمعيات البيئية كطرف فاعل في تحقيق التنمية المستدامة.

وفي الواقع إذا كان مؤتمر أستوكهولم وضع مسألة البيئة على جدول الاهتمامات

الدولية، فإن مؤتمر الأرض كان معدّا لنقلها إلى جدول التنفيذ الإجرائي والعملي.(قريد سمير، 2006، ص ص . 69 – 70).

- مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة:

بين قمة الأرض الأولى المنعقدة في "ريو ديجانيرو" بالبرازيل عام 1992، وقمة الأرض الثانية في "جوهانسبورغ" في الفترة الممتدة من 26 أوت إلى 04 سبتمبر سنة 2002 بجنوب إفريقيا، عشر سنوات شهد العالم خلالها تطورات وواجه مشكلات أبرزها زيادة الفقر، واتساع الهوة بين دول الشمال والجنوب، والأضرار المتعددة التي لحقت بالبيئة والاستخدام المفرط للموارد الطبيعية وسوء توزيع هذه الموارد، ولذلك احتضنت مدينة « Santon » عددا كبيرا من المشاركين (6500 شخص) في قمة التنمية المستدامة، ممثلين للحكومات والسلطات المحلية والمنظمات الأهلية، جاؤوا جميعا من أجل إيجاد سبل جديدة لمواجهة المشكلات التي يعانيها العالم، بداية من الفقر والتلوث والتصحر وإزالة الغابات وانتهاء بإهدار الثروة السمكية ومصادر المياه والتغير المناخي (غسان 2002، ص ص . 6 – 7). كل هذه المشكلات التي لم تستطع قمة الأرض الأولى التي عقدت في "ريو ديجانيرو" في 1992 تجاوزها مثل ما أشار إلى ذلك رئيس جنوب إفريقيا « مبيكي » بقوله: « إنه على الرغم من الأهداف المحققة في هذه القمة من وقف الدمار البيئي والفقر وعدم المساواة، وتحقيق التعاون بين دول الشمال والجنوب، إلا أن النتيجة المأساوية لذلك هي البؤس الإنساني والتدهور البيئي الذي يمكن تجنبه بما في ذلك تناسي الفجوة بين الشمال والجنوب ». (غسان، 2002، ص . 10).

- المؤتمر الوزاري العربي الأول:

وانعقد هذا المؤتمر في الفترة من 13 – 15 سنة 1986 في تونس، والذي صدر عن الإعلان العربي للبيئة والتنمية، فتقرر اعتبار تشرين الأول – أكتوبر، يوما عربيا للبيئة تحتفل به الدول العربية جميعا وبصورة تحقق المزيد من الوعي القومي بمشكلات البيئة وارتباطها الوثيق ببرامج التنمية ودعا المؤتمر إلى:

- إدخال البعد البيئي في المناهج الدراسية في كل المراحل، وتدريب المعلمين في هذا النطاق.
- تعزيز التربية البيئية بشتى مستوياتها في التعليم النظامي وغير النظامي. (الحلبوسي، 2002 . ص . 126)

- مؤتمر التوازن البيئي والتنمية الحضارية المستديمة:

عقدت وزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية بمصر، المؤتمر العربي الإقليمي حول التوازن البيئي والتنمية الحضارية المستديمة عام 2000، لمناقشة الوضعية البيئية للمدن العربية، التي شهدت العديد من التحولات في جوانب الحياة المختلفة، حيث كان لهذه التحولات من ناحية آثار إيجابية مثل: تحسين البيئة الاجتماعية والثقافية والصحية، ومن ناحية أخرى آثار سلبية مثل: ارتفاع الكثافة السكانية وما يترتب عنها من تلوث للهواء وتراكم النفايات الصلبة، وانتشار السكنات العشوائية، ونقص الخدمات.

إلى جانب كل هذا، وضمن السياق نفسه، فإن المؤتمر ركز على تقوية التعاون العربي في مجال التنمية الحضرية والبيئية، وتسهيل تداولها لدراسة المشكلات البيئية التي

تعترض تحقيق بيئة مستدامة، ولذلك تضمنت فعاليات المؤتمر عددا من المحاور الرئيسية والمتمثلة فيما يلي:

أ- التخطيط العمراني وتقييم الأثر البيئي.

ب- دور السلطات المحلية والبلديات في التوازن الحضري البيئي.

ج- دور المنظمات الإقليمية العالمية في مجال التنمية والبيئة.

(قريد سمير، 2006، ص ص . 74-75)

وتجدر الإشارة إلى أن جل المؤتمرات والندوات العالمية والعربية التي اهتمت بمناقشة موضوع البيئة والمخاطر التي تحدق بها وكيفية الوصول إلى حلول لهذه المشكلات، قد ركزت بشكل كبير على قضية التربية البيئية باعتبارها مفتاح المعضلة البيئية ولم يكن هناك اهتمام أو تطرق إلى قضية الثقافة البيئية لأنه مصطلح بدأ التفكير به وتداوله في السنوات القليلة الأخيرة، حيث وجد العلماء والباحثون وصناع القرار في شتى الدول أن قضية الثقافة البيئية كمصطلح علمي واجتماعي، أوسع في مدلوله من التربية البيئية التي تعتبر عنصر من العناصر التي تكون الثقافة البيئية، وبعبارة أخرى فإن هذا المصطلح الأخير يعد أشمل وأعمق وأوسع من التربية البيئية، بدليل أنه إذا عدنا إلى كلا التعريفين في تحديد المصطلحات اتضح أن التربية البيئية هي عنصر من عناصر الثقافة البيئية، وعليه بدأ كل المهتمين بالبيئة باختلاف مشاربهم العلمية والثقافية والإيديولوجية التركيز على هذا المصطلح الأخير، لأنه بكل بساطة عملية تبدأ من المراحل الأولى لحياة الإنسان وتنتهي بموته، حيث تتناوله عملية التنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها المختلفة، وذلك في الإطار التنظيمي الرسمي وغير الرسمي.

II-1-3-3- بعض الاتفاقيات الدولية وتاريخ انضمام الجزائر لها:

- الاتفاقية من اجل إنشاء المنظمة الأورومتوسطية لحماية النباتات، والموقع عليها في لندن بتاريخ 1954/05/12 على مراحل، والتي انضمت إليها الجزائر في 1962/08/04.
- الاتفاقية الدولية للوقاية من تلوث مياه البحر بالمحروقات، الموقع عليها في لندن بتاريخ 1954/05/12 على مراحل، والتي انضمت إليها الجزائر في 1963/09/11.
- الاتفاقية المتعلقة بمنع إجراء تجارب الأسلحة النووية في الجو أو الفضاء الخارجي وتحت الماء الموقع عليها في موسكو بتاريخ 1963/08/05، والتي وقعت عليها الجزائر في 1963/08/14.
- الاتفاقية الدولية المتعلقة بالمسؤولية المدنية عن الأخطار الناتجة عن التلوث بالمحروقات في بروكسل بتاريخ 1969/11/29، والتي صادقت عليها الجزائر في 1972/06/07.
- المعاهدة الدولية المتضمنة إنشاء الصندوق الدولي للتعويضات عن التلوث بالمحروقات في بروكسل بتاريخ 1971/12/18، والتي صادقت عليها الجزائر في 1974/05/13.
- المعاهدة الدولية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي الإنساني المشترك في باريس بتاريخ 1972/11/16، والتي صادقت عليها الجزائر في 1974/06/24.

- المعاهدة الدولية لحماية البحر الأبيض المتوسط من التلوث في برشلونة بتاريخ 1976/02/16، والتي صادقت عليها الجزائر وعلى بروتوكولها الأول المتعلق بها في 1980/01/26.
- البروتوكول الثاني المتعلق بالتعاون في مكافحة تلوث البحر الأبيض المتوسط بالمحروقات والمواد الضارة الأخرى في الحالات الصعبة في برشلونة بتاريخ 1976/02/16، والتي صادقت عليها في 1981/01/17 .
- الاتفاقية الدولية المتعلقة بالمناطق الرطبة ذات الأهمية العالمية خاصة كمأوى للحياة الوحشية في رامسار بتاريخ 1971/02/02، والتي انضمت إليها الجزائر في 1982/12/11.
- الاتفاقية الإفريقية من أجل المحافظة على الطبيعة والثروات الطبيعية في الجزائر بتاريخ 1968/09/15، والتي صدقت عليها الجزائر في 1982/12/11.
- الاتفاقية الدولية المتعلقة بالتجارة الدولية في الحيوانات والنباتات الوحشية المهددة بالانقراض في واشنطن بتاريخ 1973/03/03، والتي انضمت إليها الجزائر في 1982/12/25.
- الاتفاقية المتعلقة بالحماية من تلوث السفن في لندن بتاريخ 1973/11/02، والتي انضمت إليها الجزائر في 1988/05/31.
- الاتفاقية المتعلقة بمنع استعمال تقنيات تغيير البيئة لأغراض عسكرية أو أي أغراض أخرى منافية في جنيف بتاريخ 1977/05/18، والتي انضمت إليها الجزائر في 1991/09/28.
- اتفاقية الأمم المتحدة، المتعلقة بقانون البحار في مونتيغوباي بتاريخ 1982/12/10، والتي صادقت عليها الجزائر في 1996/01/22.
- الاتفاقية الدولية المتعلقة بحماية طبقة الأوزون في فيينا بتاريخ 1985/09/22، والتي انضمت إليها الجزائر في 1992/09/23.
- الاتفاقية المتعلقة بالتبليغ السريع عن الحوادث النووية في فيينا بتاريخ 1986/09/26 التي وقعت عليها الجزائر في 1994/09/24.
- اتفاقية الامم المتحدة النموذجية حول تغيير المناخ في نيويورك بتاريخ 1992/05/09 والتي صادقت عليها الجزائر في 1993/06/22.
- الاتفاقية حول التنوع البيولوجي في ريو دي جانيرو بتاريخ 1992/06/05، والتي صادقت عليها الجزائر في 1995/06/06.
- الاتفاقية حول التصحر بباريس بتاريخ 1994/06/17، والتي صادقت عليها الجزائر في 1996/01/22.
- البروتوكول المتعلق بالوقاية من تلوث البحر الأبيض المتوسط من النفايات الخطرة أو إتلافها عند حركات النقل عبر الحدود المصادق عليها في أزمير بتركيا بتاريخ 1996/10/01، والذي وقعت عليه الجزائر في 1996/10/01.
- البروتوكول المعدل للاتفاقية الدولية لعام 1996/10/01.
- البروتوكول المعدل للاتفاقية الدولية لعام 1969، المتعلقة بالمسؤولية المدنية عن الأخطار الناتجة عن التلوث بالمحروقات في لندن بتاريخ 1992/11/27، والتي صادقت عليها الجزائر في 1998/04/18.

- البروتوكول المعدّل للاتفاقية الدولية لعام 1971 المتضمنة إنشاء صندوق دولي للتعويضات عن الأخطار الناتجة عن التلوث بالمحروقات في لندن بتاريخ 1992/11/27 والتي صادقت عليه الجزائر في 1998/04/18.
- الاتفاقية المتعلقة بمراقبة الحركة عبر الحدود للنفايات الخطيرة أو إتلافها في بال السويسرية بتاريخ 1989/03/23 والتي انضمت إليها الجزائر في 1998/05/16.

II-2- الثقافة البيئية في الدول المتطورة:

II-2-1- الثقافة البيئية في الولايات المتحدة الأمريكية:

قبل الحديث عن برامج التعليم البيئي في الولايات المتحدة الأمريكية، لا بد من الإشارة إلى أهم الإنجازات البيئية فيها والتي منها إحداث وزارة للبيئة مهمتها المحافظة على البيئة بالدرجة الأولى، كما صدر قانون عام 1969 يلزم الدوائر الاتحادية في الولايات لتقديم ملخص عن كل مشروع من المشاريع المقترحة، وأثره في البيئة، وذلك لمناقشته من قبل مجلس البيئة، وفي حال كان المشروع يشكل خطرا حقيقيا على البيئة فإن المشروع لا يتم تنفيذه.

كما تجري أبحاث متعلقة بالبيئة تعد بالآلاف، إذ يتم صرف أموال طائلة في سبيل المحافظة على البيئة. وقام مجلس البيئة في الولايات المتحدة الأمريكية، بطلب ميزانية ضخمة وذلك بين عامي 1971 – 1975 قدرها 105 مليار دولار، وذلك للعمل على تنظيف جزئي للهواء والماء ومعالجة الفضلات الصلبة، وقام المجلس باقتراح يتحمل الصناعيون بموجبه نسبة 42 % من هذا المبلغ. (مجموعة من المؤلفين، 1987، ص ص 29 – 30)

وفي عام 1970 تم تأسيس وكالة حماية البيئة التي تنسق بين البرامج المختلفة، لوضع خطة موحدة على مستوى الدولة، إضافة إلى الأبحاث والتوعية البيئية للمواطنين، والتعاون مع الدولة في مجال اختصاصها، وتختص وكالة حماية البيئة بالتشريعات المتعلقة بحماية البيئة حيث تم سن سبع قوانين فيدرالية أقرها الكونغرس وهي: قانون حماية الهواء، قانون تنظيم التخلص من النفايات الصلبة، وقانون تنظيم استعمال المبيدات، وقانون حماية الصحة العامة، وقانون الحماية من الضوضاء، وقانون حماية مياه الشرب، وقانون منع تلويث المياه. هذا وتبلغ ميزانية حماية البيئة الأمريكية نحو 3% من الدخل القومي، وعلى الرغم من كل هذه القوانين والأموال المخصصة لحماية البيئة فإن الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولة عن 25 % من الغازات الملوثة في العالم، علما أن عدد سكانها لا يشكل سوى نحو 4 % من عدد سكان العالم.

فيما يتعلق بالبرامج البيئية في الولايات المتحدة الأمريكية فهناك برامج على مستوى الولايات أو على المستوى القومي. فقد تكون البرامج البيئية مخططة من قبل الولاية نفسها أو في ولايات أخرى، وإما أن تكون برامج خططتها الهيئات القومية، ويتم الاستفادة منها على مستوى كل الولايات.

وفي كل ولاية يتم تحديد مسؤول حكومي يعمل ضابط اتصال فيما يتعلق بالتربية البيئية، ويتم التنسيق بين هؤلاء عبر الاجتماعات الدورية وتبادل الآراء بما يخدم تطوير التربية البيئية في الولايات المتحدة الأمريكية كلها.

ومن الأمثلة التي يمكن ضربها على مستوى الولايات هناك قانون في ولاية كاليفورنيا، يفوض وزارة التربية للولاية على تشجيع فرص التعليم بما يخص التربية

البيئية، وفي ولايات أخرى كفلوريدا وبنسلفانيا وتكساس ونيوجرسي، ينص قانون التربية البيئية على وضع برامج بيئية ومناهج للمدارس لتعزيز الوعي البيئي وحل المشكلات البيئية.

وفي ولاية وسكنسن يتوجب على المدرسين في مراحل التعليم العام الحصول على شهادات خاصة في مجال المحافظة على الموارد الطبيعية.

II-2-2- الثقافة البيئية في بريطانيا:

من المعروف أن بريطانيا من الدول الأولى التي ظهرت فيها الثورة الصناعية والتصنيع فتعرض الهواء والماء والتربة فيها للتلوث، وفي عام 1970، تم إنشاء وزارة للبيئة مهمتها حماية هذه الأخيرة وتحسينها ووضع إستراتيجية لإدارتها ... وهناك قوانين وإجراءات لحماية الماء والهواء والتغلب على الضوضاء، والتخلص من المخلفات الصلبة وإصلاح التربية وغير ذلك. يعد مجلس التربية البيئية البريطاني من أهم المجالس التي تهتم بقضايا البيئة في التعليم في بريطانيا، وعمل هذا المجلس مع هيئات ومجالس أخرى على إدخال التربية البيئية في معظم المواد الدراسية، ويتم الربط بين ما يتعلمه الفرد وبين محيطه الذي يعيش فيه، ليتقن أساليب المحافظة على البيئة الطبيعية ويعمل على تحسينها باستمرار.

وفي المدارس الإعدادية يقوم الطلاب بأنشطة تخدم المواد الدراسية، مثل كتابة موضوع بيئي أو دراسة بيئية محلية، أو اختبار بحث بيئي من المواد الدراسية كالجغرافيا أو العلوم أو التاريخ، وبذلك لا تعد التربية البيئية في المرحلة الإعدادية مادة مستقلة، ولكن تعد نشاطا وطريقة تهدف إلى اكتساب الاتجاهات والمهارات بصورة أكبر من الاهتمام بالجانب المعرفي ذاته.

ويرى مجلس المدارس البريطاني أن تراعي المدارس الثانوية عند تدريسها للقضايا البيئية الأسس التالية:

- استثمار التربية للمحافظة على البيئة، ودراسة مختلف مشكلات التلوث، والزيادة السكانية، وإدخال الوعي والثقافة البيئية.
- استخدام المواقف الحياتية في البيئة وسيطا يتعلم منه الطالب ما يصقل مواهبه وينمي فيه الابتكار وأسلوب حل المشكلات.
- التركيز على البيئة كقضية أساسية للبحث والاستقصاء.

وتراعي المناهج أعمار الطلبة، فكلما تقدم الطلبة في أعمارهم ركزوا على المشكلات البيئية وحلها والمسؤولية تجاهها، ويركز الطلبة في سن (11-13) على المبادئ العامة للدراسات البيئية، وبعد سن 13 يتم التركيز على دراسة النظريات والمبادئ العلمية لتفسير الظواهر البيئية، وكيفية استخدام هذه النظريات في هذا المجال، إضافة إلى ذلك تدريس العلاقة بين العلوم والتكنولوجيا والبيئة، وأثر ذلك في التنمية للمجتمعات في مختلف المجالات.

وهناك بعض الاختلافات في تدريس المواضيع البيئية بين مقاطعة وأخرى، ومثال ذلك المدارس الواقعة في شمال غرب انجلترا، تحدد الأهداف التربوية لتدريس البيئة لطلبة المرحلة الإعدادية والثانوية كما يلي:

- فهم الدورات الطبيعية في البيئة وإدراك الطالب أن البيئة عملية ديناميكية متكاملة.
- معرفة الموارد الطبيعية من حيث النوع والخواص والتصنيف وأثر هذه الموارد على حياة الإنسان.
- معرفة أثر الإنسان في البيئة من مختلف الجوانب كاستنزاف الموارد، والزيادة في الاستهلاك.

- معرفة الأضرار التي تلحق بالإنسان وصحته ومستقبله جراء التصرفات اللاعقلانية للإنسان.
- معرفة أن الإنسان بمقدوره الحفاظ على البيئة إذا كان تصرفه سليما وعلميا تجاهها (وهبي ودرويش العجي، 2003، ص ص.121-122)

II-3-2- الثقافة البيئية في أستراليا:

إن الثقافة البيئية في أستراليا وعلى غرار بقية دول العالم سواء المتقدم أو المتخلف، تركز أساسا في نشرها على الجانب التربوي والتعليمي، حيث يتم تدريس المواضيع البيئية في استراليا من المرحلة الابتدائية، حيث يتم التركيز على البيئة الطبيعية وطرق حل المشكلات بأسلوب علمي، ويتم دراسة الكائنات الحية والغذاء والنمو والتكاثر والمحافظة على البيئة.

وهناك تكامل بين العلوم والدراسات البيئية ضمن المناهج، والدراسات البيئية والاجتماعية، وفي المرحلة الثانوية الدنيا يتم تدريس مناهج تم تصميمها بواسطة مشروع التربية الاسترالية، إذ تم ربط المواضيع البيولوجية والاجتماعية، مع التركيز على دور الإنسان في البيئة، وفي المرحلة الثانوية العليا يتم تدريس المواد الدراسية بصورة تخصصية منفصلة عن بعضها، مثل الفيزياء والكيمياء، والتاريخ والجغرافيا والبيولوجيا. (وهبي ودرويش العجي، 2003، ص.129)

II-3- الثقافة البيئية في الدول النامية:

II-3-1- الثقافة البيئية في دول أمريكا اللاتينية:

تمثل نشر الثقافة البيئية والوعي البيئي في دول أمريكا اللاتينية في إدخال البرامج البيئية في المواد الدراسية في العديد من دولها مثل: كولمبيا – البرازيل – كوبا – فنزويلا وغيرها.

ففي كولمبيا على سبيل المثال، تم دمج المواضيع البيئية في المناهج الدراسية في المرحلة الابتدائية، كمواد العلوم والمواد الاجتماعية. وتم التركيز على برامج الصحة والتغذية، وبرامج التربية الريفية وحماية البيئة، وأدخلت المفاهيم البيئية في برامج تعليم الكبار.

ويتولى المعهد الوطني للموارد الطبيعية والبيئية بالاشتراك مع بعض الوزارات كالصحة والتربية والزراعة الاهتمام بالبيئة، ووضع البرامج البيئية لمختلف المراحل الدراسية في المدرسة والجامعة. وفي فنزويلا هناك تعاون بين وزارة التربية ووزارة البيئة في مجال إدخال البرامج البيئية في المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد إعداد المعلمين، حيث يتم تدريس مواضيع البيئة في مواد الجغرافيا والبيولوجيا.

II-3-2- الثقافة البيئية في إفريقيا:

كان للحلقة الدراسية للتربية البيئية التي عقدتها الأمم المتحدة، بدعوة من برنامج الأمم المتحدة للتعليم البيئي ومنظمة المناهج الأفريقية عام 1979 دور هام في إدخال البرامج البيئية في المدارس الأفريقية، وأهم ما صدر عن هذه الحلقة بعض المقترحات التي تتعلق بإدخال المفاهيم والمواضيع البيئية في المناهج الدراسية، وتعديل المناهج المطبقة في كل دولة، إضافة إلى كل ذلك إعداد برامج بيئية لطلبة الجامعات والمعاهد، وإعداد مدرسين للقيام بتدريس التربية البيئية في المؤسسات التعليمية والمدارس.

وكان لتأسيس معهد التربية العلمي لأفريقيا من قبل الحكومات الإفريقية، دور بارز في انتشار البرامج البيئية، ويعمل هذا المعهد على تعزيز وتنسيق التعاون بين الدول الأفريقية فيما يتعلق بالبرامج التربوية والبيئية، وتنفيذها بما يتلاءم مع البيئات الخاصة بكل دولة.

ومن أهداف المعهد في مجال العلوم البيئية وإعداد البرامج:

- نشر الثقافة البيئية.
- خلق وعي بيئي.
- إسهام المتعلمين في حل مشكلات البيئة.
- تنمية التعليم الذاتي وحب الابتكار وحل المشكلات بطرق علمية.
- تعزيز الثقة في قدرات المتعلم بما يخدم عملية التفاعل مع بيئته وحل مشكلاتها.
- تعزيز المشاركة الجماعية لمواجهة أخطار البيئة.

II-3- 3- الثقافة البيئية في بعض الدول العربية:

II-3-3-1- الثقافة البيئية في الكويت:

في الكويت تم إنشاء مجلس حماية البيئة في بداية الثمانينات من القرن الماضي، من مهامه رسم سياسة واضحة لحماية البيئة في الكويت مع مراعاة المقاييس العلمية والصحية الملائمة للإنسان والتوسع العمراني والصناعي واستغلال الموارد الطبيعية دون الإضرار بالبيئة، كما يقوم مجلس حماية البيئة في الكويت بالتعاون والتنسيق مع الجهات التي تعمل لحماية البيئة وإزالة أي تناقض أو ازدواج في اختصاصاتها، ومن الجهات التي يتم التنسيق معها نذكر معهد الكويت للأبحاث العلمية وإدارة النظافة والأغذية ببلدية الكويت وجمعية حماية البيئة والصحة بوزارة الصحة. (صباريني، 1976، ص.231)

وفي الكويت تم وضع عدد من القرارات البيئية في المرحلة الثانوية، منها الإنسان والبيئة لطلبة الصف الأول ثانوي، ومن مفردات هذا المقرر معنى البيئة، ومكوناتها والتوازن الطبيعي للبيئة، واستثمار البيئة، الموارد الطبيعية، وبعض مشكلات البيئة كالتلوث واستنزاف الموارد وغيرها. وهناك مقرر آخر مكمل للمقرر الآنف الذكر هو الإنسان والطاقة وأهم موضوعاته هي الطاقة وتحولاتها ودورها في تقدم الإنسان وموارد الطاقة بأنواعها وكيفية استثمارها.

وهناك مقرر ثالث يسمى ثقافة بيئية ويتم تدريسه للصف الثالث الثانوي الأدبي وأهم مفردات هذا المقرر، مكونات البيئة الحية وغير الحية وعلاقتها ببعضها، والتوازن البيئي، والدورات الطبيعية، والسلسلة الغذائية، واستثمار الموارد الطبيعية، وبعض مشكلات البيئة. (مجموعة من المؤلفين، 1987، ص ص.77-78)

II-3-3-2-الثقافة البيئية في سوريا:

لاقت البيئة اهتماما واسعا في سورية، حيث تم تأسيس وزارة الدولة لشؤون البيئة عام 1985، والتي تقوم بوضع الخطط والمشاريع البيئية وتدرس المشكلات المؤثرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، خاصة أن عملية التنمية في السابق أغفلت خططها الاعتبارات والضوابط البيئية بشكل عام.

وتقوم وزارة البيئة بالتعاون مع الوزارات الأخرى والمنظمات الإقليمية والدولية بوضع إستراتيجية متكاملة لتنمية الموارد البشرية والتنمية المستدامة، وذلك عن طريق تعزيز الوعي والثقافة البيئية، وغرس مبادئ التربية البيئية لحماية البيئة حاضرا ومستقبلا من أجل استمرار الحياة الطبيعية للأجيال القادمة. وتسعى وزارة البيئة إلى تعزيز وتطوير إدارة

البيئة والموارد في ظل التزايد السكاني والضغط على الموارد. وتعمل الوزارة المذكورة بالتعاون مع الوزارات والجهات المعنية لحماية الأحواض المائية لمنع تدهورها وحمايتها من التلوث. وبالتعاون مع المنظمات الدولية، كمنظمة الصحة العالمية والبيئة، تم تطوير مشروع القرى الصحية والبيئية في سورية، كما دخلت سورية باتفاقيات مكافحة التصحر، ومنع تداول وانتقال المواد الكيميائية الخطرة عبر الحدود، وغيرها من الاتفاقيات.

II-3-3-3-الثقافة البيئية في الجزائر:

يعود الاهتمام بقضايا البيئة في الجزائر إلى الثمانينات من القرن الماضي، ذلك أنه فور استعادتها الاستقلال اختارت الجزائر التنمية المخططة، التي مكنتها من إرساء قاعدة اقتصادية صلبة،حيث انتشرت المصانع في أرجاء البلاد، ورغم فخر كل جزائري بهذه القاعدة الاقتصادية إلا أن هناك ملاحظة لا بد من ذكرها وهي أنه بسبب تغليب الجانب السياسي على الجانب الاقتصادي، فإنه بالنسبة للأماكن التي أقيمت عليها القاعدة الصناعية، فقد غلبت في بعض الأحيان الكلفة الحالية المستقبلية، ذلك أن هناك مصانع أقيمت في مناطق تسببت ولا تزال تتسبب في كوارث طبيعية انعكست سلبا على البشر والبيئة.

ومثلما أشرنا لم يكن هناك اهتمام رسمي بمشكلات البيئة إلا في بداية الثمانينات، حيث تم في 5 مارس 1983 وضع قانون عام متعلق بالحث على حماية البيئة والمحميات التي أنشئت.

في أفريل 1985 ذكر في جلسة حكومية أن الوحدات الصناعية الملوثة للبيئة تنتمي إلى 13 فرعا صناعيا إنتاجيا نذكر منها:

-الإسمنت–السكر–البتروكيمياء–المناجم–الجلود–المواد الدسمة–الإلكترونيك ... الخ

وبناءًا على ما ذكرناه، كان لا بد من برنامج صودق عليه في نفس الجلسة المذكورة ويتمحور حول أربعة محاور وهي:

- إجراءات ذات صبغة عامة :
  - وضع شبكة وطنية لمراقبة مصادر التلوث والحراسة المستمرة لحالة البيئة.
  - إنشاء سلك للمفتشين والمراقبين للبيئة.
  - إنجاز ثلاثة مخابر جهوية لتحليل مكونات البيئة.
- إجراءات لتخفيض التلوث الصناعي:
  - تعيين الوحدات الصناعية التي يجب أن تجهز بالوسائل المضادة للتلوث.
  - وضع جهاز وطني لإزالة النفايات والمواد السامة والوحل المكون للرواسب.
  - وضع أجهزة تسيير للمناطق الصناعية.
- إجراءات تخفيض التلوث البحري:
  - استخدام وانجاز محطات تطهير مياه المراكز الحضرية والسياحية والساحلية.
  - وضع جهاز لمراقبة مياه الاستحمام.
  - تقوية القدرات الوطنية للتدخل ضد التلوث البحري الطارئ.
- إجراءات لتقليص التلوث الضار في الوسط الحضري:
  - استعمال غاز البترول المميع كوقود.
  - تحويل الأنشطة الملوثة إلى المناطق الصناعية.
  - لقد أنجز من هذا البرنامج القليل كما لم يكن الاهتمام بالبيئة في الثمانينات قويا أمام:

❖ استمرار المصانع الكيماوية في التخلص من نفاياتها بكيفيات مضرة بالبيئة.
❖تدهور في حالة الكثير من المحميات الطبيعية.
غير أن الاهتمام بالبيئة قد حقق قفزة نوعية في التسعينات للأسباب التالية:

- خلقت التعددية الحزبية في مجال السياسة فضاءات لتمكين المجتمع من التعبير والإشارة إلى أشكال ومخاطر التلوث البيئي، وظهور جمعيات حماية البيئة والدفاع عن الفضاء الأخضر في كثير من جهات الوطن.
- ظهور متاعب بيئوية حقيقية أصبحت تشكل خطر على حياة الإنسان: مصانع الاسمنت، المصانع الكيماوية...، التي تصب نفاياتها في البر والبحر والجو.

ولهذه الأسباب:

- أنشئت على مستوى وزارة الداخلية مديرية عامة للبيئة خصصت لها على سبيل المثال في سنة 1996 حوالي 0,23% من الإعتمادات المخصصة للداخلية.
- تم في جانفي 1996 إنشاء مفتشيات للبيئة على مستوى كل الولايات.
- في جوان 1997 تم تخصيص كتابة دولة للبيئة، وهذا أعطى دفعا لمسألة البيئة في الجزائر، توّج في ماي 1998 بإنشاء صندوق وطني لحماية البيئة في حساب لدى أمين الخزينة الرئيسي ويكون كاتب الدولة للبيئة آمر بالصرف له ويهتم هذا الصندوق بما يلي:
  - تمويل نشاطات مراقبة التلوث.
  - تمويل نشاطات حراسة البيئة.
  - تمويل الدراسات والأبحاث المحققة في مجال البيئة من طرف مؤسسات التعليم العالي ومكاتب الدراسات المحلية والأجنبية.
  - تمويل إعانات الجمعيات ذات المنفعة العامة في مجال البيئة.

كما أنشئ في بداية سنة 1997 مجلسا أعلى للبيئة يضم ممارسين ومهتمين وباحثين جامعيين، لإعطاء دفع ووضع الاستراتيجيات اللازمة في ميدان البيئة والمحافظة عليها. (أحمد حميد، 2003، ص.56)

إن اهتمام الجزائر بموضوع البيئة تجاوز الإطار الوطني لينصرف أكثر من ذلك إلى الانضمام إلى كل المجهودات الدولية الواعية بمخاطر التلوث وضرورة المحافظة على البيئة.

والجدير بالملاحظة هو أنه بالرغم من الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية في مجال حماية البيئة، إلا أننا لا نلاحظ أيّ تجاوب من طرف المواطن مع هذه البرامج، فسلوك هذا الأخير لم يتغير تجاه البيئة بمستوى يضاهي أو يوازي مجهودات الدولة المبذولة، وهذا يرجع ربما إلى عدم اهتمام الدولة بشكل كبير بنشر الثقافة البيئية وترسيخها داخل المجتمع الجزائري، ولا نجد في هذا المجال إلا محاولات ضئيلة ومحتشمة إذا ما قارنّاها بالخطر الكبير الذي يهدد البيئة، فنجد أن الدولة الجزائرية قد اهتمت بالبيئة في جانبها المادي، وذلك بوضع استراتيجيات للوقاية من حدوث كوارث طبيعية، أو محاولة التخفيف من مظاهر التلوث، وأهملت بشكل كبير الاهتمام بالجانب الروحي للبيئة، أي وضع برامج واستراتيجيات لنشر الثقافة البيئية، انطلاقا من الجانب العقدي والروحي والثقافي للبيئة، وذلك بمحاولة ترسيخ الفهم الصحيح لقيمة البيئة ماديا وروحيا، وفي جميع الميادين وعلى جميع الأصعدة والمستويات، محاولة منها إلى تغيير رؤية المواطن الجزائري إلى البيئة وجعله فردا صديقا لها، وهذا لا يكون إلا إذا استطاع أن يعي قيمها أي بتعبير آخر نحصل على مواطن مثقف بيئيا، وكتحصيل حاصل لذلك يمكن للفرد الجزائري حينها أن يغير من سلوكه تجاه البيئة من سلوك عدائي إلى سلوك راشد واعٍ ومتّزن، ومنه المشاركة طوعا في حماية البيئة، خاصة

إذا تعلق الأمر بالجانب العقدي باعتبار أن المجتمع الجزائري مجتمع مسلم، وذلك من خلال القيمة الكبيرة التي أولاها الإسلام للبيئة.

II-4- إستراتيجية الجزائر البيئية:

إن علاقة الجزائر أصيلة وقديمة مع قضية البيئة والدليل على هذا هو الممارسات والسلوكات التي نلاحظها في صحرائنا الشاسعة، فقد أسس أهلها نظم استعمال الماء وترشيد تقاسمه بالقسط عن طريق الفوقارة وعن طريق التنقيب قبل أن يكتشف الأوربيون هذه التقنيات، وحتى الهندسة المعمارية المحلية التي تقينا من الحرارة ومن البرد هي هندسة كان لنا فيها السبق على العالم منذ قرون، وكل ذلك يبين العلاقات القوية والعتيقة التي كانت موجودة ومازالت في مجال البيئة.

والإسلام في هذا الصدد يوصينا دائما بالحفاظ على الحي والحياة، حيث يخضع الكون الذي نعيش فيه إلى نظام رباني، لهذا فإن تخلي الإنسان عن استعمال ذكائه والتغافل عن معرفة قواعد الكون وعدم الانسياق والامتثال لمعايير الكون يجعل الإنسان ضحية غفلته وجهله وعرضة لأثرها.

لقد حدد العلماء أربع قيم منبثقة من الأصول الإسلامية هي بمثابة موجهات لسلوك الإنسان اتجاه البيئة، وهذه القيم هي:

a. قيم المحافظة:

وتختص بتوجيه سلوك الفرد نحو المحافظة على مكونات الحي والحياة بالغلاف الجوي، والثروات المائية والحيوانية والنباتية والمعدنية، والحفاظ على الصحة والهدوء.

b. قيم الاستغلال:

وتكون في الاعتدال في استهلاك الموارد بدون إفراط ولا تفريط ولا إسراف، وترشيد كل ذلك.

c. قيم التكيف والاعتقاد:

الابتعاد عن المعتقدات الخرافية كالتبرك بالشجر والتعاويذ والتمائم.

d. قيم الجمال:

جمال الصنعة وعظمة الصانع، وتهدف إلى توجيه سلوك الإنسان نحو تذوق جمال الكون.

لقد أنشئت في الجزائر وزارة تهتم بقضية البيئة والمحافظة على الحي والحياة، وانطلاقا من ذلك، فقد قامت الوزارة بتحضير إستراتيجية وتصور، والخروج بالعمل الظرفي والحملات المتتالية، وبعث تصور شامل كامل لقضية البيئة والمحافظة عليها.

ومن هذا المنطلق توجهنا أربعة توجهات في نطاق عملنا ووضع استراتيجيتنا وهي:

- **التوجه الأول**: التعرف على وضع البيئة في بلادنا.
- **التوجه الثاني**: وضع تصور انطلاقا من هذه المعاناة ومعرفة حقيقة وضع البيئة في بلادنا.
- **التوجه الثالث**: وضعت الوزارة أدوات وأقامت مؤسسات لتنفيذ في السياسة.
- **التوجه الرابع**: عملت الوزارة على ترشيد وإيناس الفرد الجزائري بقضية البيئة والتنمية المستدامة.

لقد اعتمدت الوزارة على معرفة البيئة، وفي هذا الإطار قامت الوزارة بمعية الخبراء بمسح شامل لقضية البيئة، وتعرفت على الإشكاليات العدة المطروحة في ميدان النفايات المنزلية والخاصة والنفايات الصناعية، والتلوث الصناعي، والأنظمة الإيكولوجية، والتنوع البيولوجي، وكل المعطيات التي لها صلة بوضع البيئة.

كانت الجزائر تتكبد تكلفة باهظة من جراء إهمال البيئة، والأضرار الناجمة عن ممارسات وسلوكات الإنسان، هذه الأضرار كانت نقدية واجتماعية أيضا تتمثل في الأمراض التي تنجر عن الاعتداء على البيئة التي بات يعرفها الجميع، ولقد تحملنا أيضا تكلفة تتكبدها الجزائر سنويا فنخسر ما يفوق 3,6 مليار دولار في السنة أي ما يعادل 7% من الدخل الخام الجزائري.

ومنذ أن بعثت الحكومة هذه السياسة البيئية، قمنا (وزارة البيئة) بتقليص هذه التكلفة بمليار دولار وهي قفزة نوعية حقيقية، للتقليل من الأضرار البيئية في بلادنا وضمان وسط صحي للمواطن الجزائري.

انطلاقا من هذه المعرفة العلمية وضعنا تصورا وإستراتيجية، والكل يعرف أن التصور والإستراتيجية والسياسات، تترجَم في إطار ما يسمى بالقوانين والتجميع وحضّرنا في هذا المجال 14 قانونا سيأتي صيفا في عدة قضايا مرتبطة بالبيئة.

لهذا وضعنا سياسة للحفاظ على البيئة بالنسبة لقضية الماء وصرف المياه، والكل يلاحظ يوميا القفزة النوعية الحقيقية بالنسبة لتوفير الماء في كل الأماكن وكل الأقاليم وكل المجالات، واللجوء إلى كل التكنولوجيات الحديثة في هذا الباب، وقمنا كذلك بالحفاظ على رأس المال الحقيقي، بوضع سياسة ناجعة من أجل ترشيد استعمال الماء في بلادنا، ومازالت الطريق طويلة أمامنا في قضية الترشيد.

ثم تطرقنا إلى قضية النفايات، ومنها النفايات المنزلية، وكلنا يعرف ما هي المشكلة الناجمة عنها، وهناك أيضا نفايات استشفائية وأخرى صناعية، وهي مضرة جدا، وهي الآن مكدسة بآلاف الأطنان بالقرب من المصانع والمكتبات والمجمعات العمرانية. أصبحت اليوم لدينا سياسة حقيقية لإزالتها واستئصالها، ولدينا أيضا إستراتيجية للتخفيف من الاعتداءات على الهواء، وتلوث المناخ، وإستراتيجية أيضا للتقليل من الضجيج وتوفير الهدوء.

فيما يخص الأنظمة البيئية، لدينا الآن أنظمة أساسية، وكل نظام لديه مشاكل معروفة، يستلزم حلولا لهذه المشاكل بصفة منتظمة، خاصة فيما يخص الساحل، فعلينا أن نحافظ عليه وعلى الشاطئ في قانون يمنع منعا باتا البناء في مسافة 100م أو 200م، وهي قوانين أعدت للحفاظ على ما يسمى بالمحميات الموجودة في القرب من هذا الساحل، إذن لدينا تصور ونظرة ومسح حقيقي للحفاظ على الشاطئ والساحل الجزائري لأنه تراث ورأس مال حقيقي بالنسبة للتنمية والاقتصاد والسياحة.

زيادة على هذا وضعنا إستراتيجية للمحافظة على السهول والهضاب العليا، للحفاظ على التراث، وهذه الثروة الحقيقية التي تأوي ملايين من الأشخاص، وكذلك الحفاظ على الجبال لأنها هي الخزان الحقيقي للثروات الغابية والمائية للذاكرة والحضارة والثقافة الجزائرية أيضا، واحتضنت الواحات أيضا الحضارة والثقافة والذاكرة الجزائرية، لذا يجب أن نحافظ على كل هذه المهارات المرتبطة بهذا البعد لنجسدها في محيطنا بمفهومها الواسع، وليس بالمفهوم الأولي أي الحفاظ المادي التقني والحفاظ على البعد الحضاري لقضية البيئة.

وهنا يكمن دور الإمام والمرشد الديني لمناصرة وتفسير هذه السياسة، لأن وضع إستراتيجية وسياسة وتصورات، وسن القوانين والتشريعات لا يكفي، فلا بد من الخروج إلى المؤسسات لتمرير هذه السياسة في المؤسسات، قصد وضع الصلة الحقيقية ما بين المواطن والإدارة، ولتمرير هذه السياسة على طريقة الجسور والقنوات، وضعنا أدوات جبائية لأننا نؤمن بالعقوبة، لكن نحن نمجد ونعطي الأولوية للتحفيز والترشيد عن طريق الجباية.

لذا وضعنا جباية إيكولوجية متكاملة 11 ضريبة تستطيع عن طريق تطبيقها في الواقع أن تحفز الملوث، فيصبح هو الدافع الايجابي في هذا الإطار، إضافة إلى أننا سَنَنَّا عدة ضرائب تحفز الذي يخزن النفايات الصناعية مثلا ليقلل هذا المخزون، وإن لم يقلل فسيدفع ضريبة على المخزون الذي هو بحوزته.

إن الإصلاح والإفساد في البيئة ينشأ في ذهن الناس، وبصفة أدق في ذهن الطفل، لأن هذه الذهنية هي التي ستتحول إلى سلوك في المرتبة الثانية، لذلك وجب علينا معالجة هذه الظاهرة من المنبع أي عند الطفل في المدرسة والشارع وفي المسجد بصفة خاصة، فَبَعْثُ مدرسة فاعلة يديرها معلم مربي، مدرسة مفتوحة على بيئتها ومحيطها في إطار المواطنة الناجحة، ومن أحسن المدارس على رأسها المسجد.

إن البيئة باتت موضوع اهتمام كافة الشعوب، وهذا ما نراه في المؤتمرات وعلى الشاشات ونطالعه في الصحف، وعليه فإن مسؤولية الأئمة عظيمة في هذا الشأن، حيث يُطلب منهم تخصيص حيز هامٍّ فيما يلقنونه من خطب ودروس في بيوت الله بخصوص موضوع البيئة، وهذا ما اتفقنا عليه مع السيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف.

في كل الأحوال لا يقبل بناء مستوى معيشتنا على رأس مال الطبيعة باستهلاك الموارد، ماء، تربة، تنوع حيوي لا يمكنه أن يتم بوتيرة أعلى من وتيرة تجدد الطبيعة، لا بد أن نخرج بمعادلة توازن بين الاستغلال وتجدد الطبيعة، ونعطي مهلة للحي والحياة والطبيعة أن تتجدد فتلكم خطوط حمراء يمنع تخطيها، وفي هذا الصدد أني أناشد كوزير للبيئة بتحثيث وتحضير الخطاب في المسجد، بإدراج البعد العلمي والاقتصادي والتكنولوجي والثقافي بصفة خاصة بالنسبة لقضية البيئة حتى نواكب مسيرة الوقت.

إن الاحتكاك اليومي للأئمة بالناس على مختلف أعمارهم واختلاف مستوياتهم العلمية، يجعل من هؤلاء الأئمة، ومن ثمة المساجد، أفضل أماكن التربية والتعليم والتوجيه والترشيد والتوعية، والحث على ضرورة احترام الخلق بمخلوقات الله من عباد ونبات وهواء وماء، ليكون الإنسان بحق خليفة الله في الأرض فلا يفسدها. (السيد الوزير شريف رحماني، 2008، ع. 2 . ص ص . 40-41)

II-5- التنشئة الاجتماعية والثقافية البيئية:

التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعي هي تفاعل اجتماعي في شكل قواعد للتربية والتعليم، يتلقاها الفرد في مراحل عمره المختلفة منذ الطفولة وحتى الشيخوخة، من خلال علاقته بالجماعات الأولية أو بعبارة أخرى من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة (الأسرة، المدرسة، دور العبادة...)، وتساعده تلك القواعد والخبرات اليومية التي يتلقاها من هذه المؤسسات، في تحقيق التوافق الاجتماعي مع البناء الثقافي المحيط به من خلال اكتساب المعايير الاجتماعية والاتجاهات والقيم السائدة حوله.

كما تساهم عملية التنشئة الاجتماعية في التوفيق بين دوافع الفرد ورغباته، ومطالب واهتمامات الآخرين المحيطين به، وبذلك يتحول الفرد من طفل متمركز

نحو ذاته ومعتمد على غيره، هدفه إشباع حاجاته الأولية، إلى فرد ناضج يتحمل المسؤولية الاجتماعية ويدركها، ويلتزم بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة، فيضبط انفعالاته ويتحكم في إشباع حاجاته وينشىء علاقات اجتماعية سليمة مع غيره، وللتنشئة الاجتماعية بهذا المعنى دورٌ أساسي في تحديد أنماط سلوك الإنسان خاصة ناحية البيئة، حيث يمكنه من خلال هذه التنشئة اكتساب ثقافة بيئة تمكنه من الفهم الصحيح للبيئة ومن ثم التعامل معها برفق وحمايتها والمحافظة عليها.

II-5-1- أهداف التنشئة الاجتماعية:

بغض النظر عن نوع المجتمع، بدويا كان أو حضريا، فإن الفرد فيه لا يستطيع أن يأخذ مكانته ما لم يتم تعليمه عناصر ثقافة مجتمعه، ويكتسب خبرة اجتماعية لكي يعيش بشكل سوي، من خلال تعلمه كيف يتفاعل مع الأفراد الذين يعيشون معه، أو كيفية التعامل مع البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، ولأجل تحقيق هذه المسائل الاجتماعية وضعت التنشئة الاجتماعية أهدافا لها في كافة مراحلها العمرية والمجتمعية والمهنية والأولية والثانوية والراجعة، لكي تحققها وتنجح في مسعاها، عندئذ تثبت وجودها في النسق الأسري والبناء الاجتماعي.

و منه يمكننا حصر أهداف التنشئة الاجتماعية فيما يلي:

- تحويل الكائن البيولوجي إلى إنسان أو شخص، أي تطبيع المولود الجديد بطبائع مجتمعه وثقافته، لكي يكتسب الصفات الإنسانية المتمثلة في عضويته الاجتماعية.
- نقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى آخر.
- الضبط الاجتماعي لتوجيه سلوك الأفراد وتصرفهم وفقا لوسائل الضبط العرفية والقانونية لتعزيز التنظيمات الاجتماعية السائدة في المجتمع مثل الدين، الأسرة، المدرسة لتحقيق الأمن الاجتماعي وتسيير انخراطه في الأنماط النسقية للبناء الاجتماعي.
- التماسك الاجتماعي وذلك عندما يتشرب الفرد قواعد ومعايير وقيم مجتمعه بواسطة التنشئة الأسرية، عندئذ يندفع للاشتراك بقاسم مشترك أكبر مع أبناء مجتمعه المتشربين بقواعد وقيم مجتمعه، وبذلك تتبلور مشاركة وجدانية تعاونية فيما بينهم وعندها يتحقق التماسك الاجتماعي.
- التوافق الاجتماعي الذي يتم من خلال تغير سلوك المنشأ ليكون متسقا مع العادات والتقاليد والالتزامات الاجتماعية، هذا التغير لا يقتصر فقط على مرحلة الطفولة فحسب بل يتعداه إلى مرحلة الصبا والشباب والنضج ليوافق المنشأ الحاجات الاجتماعية المتطورة ومستجدات العلائق الاجتماعية ومتطلبات الأدوار والمواقع المكانية وفقا لتوقعات المجتمع.
- تعليم الفرد الأدوار الاجتماعية.
- تلقين الفرد النظم الأساسية التي تبدأ من التدريب على الأعمال والعادات والنظم حتى يتحقق الامتثال لثقافة المجتمع.
- إكساب الفرد مهارات خاصة.
- تعليم ما يحتاج أن يعرفه الفرد لكي يتم تكامله وتوافقه مع المجتمع، وينمي قدراته ويجد إشباعات ذات معنى لحاجاته.
- غرس قيم ومعايير وأهداف الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد خاصة تلك القيم والمعايير والأهداف المتعارف عليها في تشكيل ثقافة المجتمع.
- تنمية الذات عبر سياق النمو الاجتماعي ومن خلال تفاعل المنشأ مع الآخرين في أدوارهم ومواقفهم.

- إكساب الاتساق السلوكي، حيث إنه عند التنشئة يكتسب الفرد تهذيب سلوكه وتنسيقه مع متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه.
- بلورة طموحات مقبولة، إذ يتعلم الفرد عبر التنشئة ما هو مفيد ونافع،
و ما يجب أن يقوم به من أجل كسب احترام الآخرين (معن خليل العمر، 2004، ص ص. 60-61)

II-5-2- خصائص التنشئة الاجتماعية ومظاهرها:

II-5-2-1-التنشئة الاجتماعية عملية نمو:

وهذا يبدو واضحا في نمو عمليات التنشئة الاجتماعية بنمو الطفل، فترى الطفل يتحول من كائن بيولوجي يتحكم في سلوكه ودوافعه حاجات فيزيولوجية، إلى فرد ناضج متحرر إلى حد مأمن هذه الدوافع، فيصبح متحكما في انفعالاته ونزواته، يتسم سلوكه بالاستقلال والاعتماد على النفس في تصريف أموره وحل مشكلاته، محاولا التوفيق بين نزعاته وبين مطالب البيئة.

II-5-2-2-التنشئة الاجتماعية عملية ديناميكية مستمرة:

فهي ديناميكية لأن بها حركة وتفاعلاً مستمرين، تفاعل بين الفرد والأفراد الآخرين والجماعات التي يتعامل معها الأفراد، وهي عملية مستمرة إذ لا توقف فيها، فهي سلسلة متصلة ومتتابعة من التغيرات، غير قاصرة على الطفولة ولكنها تستمر في مراحل أخرى، مثل مرحلة المراهقة والرشد والشيخوخة.

فالفرد لا تقتصر علاقاته على ما يكونه في طفولته، بل تمتد تجاربه وخبراته وتتنوع بنموه، فيزداد عدد الأفراد، والجماعات التي يتعامل معها، فتضاف إلى سلوكه نماذج وأنماط جديدة من السلوك.

II-5-2-3- التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي:

فالتنشئة الاجتماعية عملية تعلم يتاح للفرد فيها فرصة التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، خلال مواقف وأدوار متعددة، فيكسب الفرد الكثير من الخبرات والاتجاهات النفسية، ويرى نيوكمب (Newcomb) 1959، أن مصطلح التنشئة الاجتماعية يمكن أن يكون مرادفا للتعلم الاجتماعي ولكن تعلم المهارات الحركية كالجري والقفز، دون التفاعل والاحتكاك مع الآخرين لا يدخل ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية، في حين نجد التعليم نتيجة تفاعل الفرد مع أفراد بيئته الاجتماعية مثل: تعلم اللغة الدارجة يمكن اعتباره نتاجا للتنشئة الاجتماعية.

ويذكر « سيكورد وباكمان » (Secord , Backman)، أن المتخصصين في علم النفس الاجتماعي قد حددوا اهتماماتهم في التنشئة الاجتماعية في مظاهر أربعة:
- عملية التعلم الاجتماعي مثل التقليد والتقمص وتعلم الأدوار.
- عن طريق التعلم الاجتماعي ترسخ وتدعم الضوابط الداخلية، كالضمير ومفهوم الذات والأدوار الاجتماعية.
- نمو أنماط سلوكية متعددة مثل الاعتماد على الآخرين والعدوان والاندماج، وتكوين خطط مختلفة لتحقيق أهداف معينة والدفاع عنها.
- علاقة البناء الاجتماعي بهذه العمليات وبتأثيراتها. (دويدار، 1994، ص ص.86-87)

II-3-5- مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

II-3-5-1- الأسرة:

من المسلّمات التي تداولتها الكتب ومازالت، أن الفرد كائن اجتماعي لا يستطيع العيش أو الانعزال عن الأفراد الآخرين من بني جنسه ليعيش وحده، فهو كما قال ابن خلدون مدني بطبعه، فهو محتاج إلى من يرعاه منذ الصغر، كما أنه محتاج إلى من يوجهه في جميع مراحل حياته ليصبح عضوا فعالا في مجتمعه، ولعل هذا لا يأتي من فراغ وإنما من خلال وجود أسرة، هذا النظام الاجتماعي العريق الذي أثبت وجوده منذ الأزل، والذي يعد أول نظام في تاريخ البشرية، والذي يتجسد من خلال أبينا آدم وأمنا حواء، إضافة إلى مراحل التطور التي تعرضت إليها الأسرة شكلا ووظيفة، حتى وصلت إلى ما هي عليه.

لقد تطورت الأسرة تطورا كبيرا من الأوسع عندما كانت تقوم بجميع الوظائف إلى الأضيق إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، حيث إنها كانت قديما بمثابة نظام متكامل يتضمن تقريبا كل النظم والوظائف، من التعليم والعمل والتربية الدينية والحماية وتوفير الأمن ضد التهديدات والاعتداءات الخارجية، كل هذه الحاجات كانت توفر عن طريق الأسرة.

إلا أنه ومع التغير الاجتماعي ولا سيما الذي ارتبط بالتصنيع والتقدم التكنولوجي في العصور الحديثة، حدث وأن تغيرت أشكال الأسرة ووظائفها بعد الهجرة والنزوح، فلقد هاجرت جميع الأيدي العاملة بحثا عن العمل داخل المدن طلبا للعمل، وسعيا وراء توفير متطلبات العيش والحياة المادية، الأمر الذي حول الأسرة من وحدة إنتاجية في القرية إلى أسرة استهلاكية في المدينة، ولقد تفككت الأسرة المتحدة التي كانت مألوفة في القرية إلى أسرة نواة. فبعدما كانت الأسرة الممتدة أو المركبة أو الكبيرة، والتي مازالت موجودة حتى الآن في بعض المجتمعات ولا سيما في المجتمع الجزائري، والتي تتكون عادة من الأب والأم والأبناء والأجداد والأعمام وأبنائهم ... الخ، أما الآن فلقد تقلص حجمها وأصبحت أسرة نواة أو أسرة حديثة، هذا من حيث الشكل أما من حيث الوظيفة، ومع تعقد الحياة بالمدن والمجتمعات وظهور أنماط جديدة للحياة المعاصرة، انكمشت وظائف الأسرة، فبعد أن كانت تشمل النواحي الدينية والاقتصادية والتشريعية التربوية، أصبحت اليوم قاصرة على الناحية التربوية، بل أن هذه الوظيفة اقتصرت على رعاية الأطفال وتنشئتهم حتى سن معين، ثم تتولى الدولة بعد ذلك تربيتهم وتعليمهم وفقا لأهدافها ومثلها العليا.

وتعد الأسرة دون شك أهم مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لأنها المنهل الأول الذي ينهل منه الطفل منذ ولادته، فترات متعددة من عمره، ولذا تعددت وظائفها الرئيسية وذلك للحفاظ على الحياة الاجتماعية، ومن أهم هذه الوظائف: الوظيفة التكاثرية، وظيفة تعليم الأدوار الاجتماعية، الوظيفة العاطفية، والوظيفة التنشيئية وما تحويه من دور الأم في التنشئة، إضافة إلى دور الأب والإخوة، ولهذا كانت أهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية.(شرقي رحيمة.، 2005، ص ص . 97 – 98)

II-3-5-2- المدرسة:

تعد المدرسة المؤسسة والبيئة الاجتماعية الثانية للتنشئة الاجتماعية بعد الأسرة، وتعد ضرورة حتمية في الوقت الحاضر، وخاصة بعد تعقد الحياة فأصبح دور المدرسة أو المؤسسات التربوية متخصصة في نقل المعارف والعلوم، وبالتالي نقل الثقافة من

جيل إلى آخر بطريقة منظمة ومقصودة، لتحقق بذلك النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي للفرد، ولقد أصبحت وظيفة المدرسة توفير بيئة منتقاة تتكون من مجموعة من المعارف لتنشئة الأطفال على أنواع من السلوك المستقاة من ثقافة المجتمع ومعاييره، حتى لا تتعارض مع ما تقدمه الأسرة لأبنائها، فوظيفتها إذن مكملة لوظيفة الأسرة، ويمكننا أن نوجز أهم وظائف المدرسة فيما يلي:

- نقل التراث الثقافي.
- تحقيق التكامل الاجتماعي وذلك من خلال توفير بيئة تساعد على حياة متوازنة ومنسجمة، يعيش فيها جميع أفراد المجتمع، من أطفال وشباب ومهما كانت مستوياتهم الاجتماعية على العمل في سياق مشترك، وبذلك فهي تعمل على التنسيق بين مختلف المؤثرات التي يتلقاها الفرد، فقد يتعرض الفرد أو المراهق لبعض القيم التي يتشربها من الأسرة ويتعرض لأخرى مخالفة في جماعة الرفاق، ويستمد قيما أخرى من دور العبادة وبذلك فإن المراهق وغيره سوف يواجه مجموعة من التناقضات قد تؤدي به إلى صراع داخلي، وبذلك فواجب المدرسة أن تقوم بدورها في تحقيق ما يسمى بالتكامل الاجتماعي للقضاء على هذا التناقض.
- النمو الشخصي وذلك بزيادة النمو المعرفي والشخصي لدى المراهق سواء داخل البيئة المدرسية أو المجتمع، لا يتم هذا إلا عن طريق نقل ونشر العلوم المعرفية والعلمية في شتى المواد المدرسية، من خلال منهج منظم متضمن لاحتياجات التلميذ والمجتمع ككل، ودعم القيم السائدة في المجتمع بشكل مباشر وصريح في مناهج الدراسة.
- تنمية القدرات الإبداعية لدى الفرد بواسطة استثارة وتنشيط الخيال ومحاولة الكشف عن أسباب حدوث بعض الظواهر الفيزيائية .. الخ.
- فتح المجال أمام الطلبة لممارسة الديمقراطية في إطار العلاقات الإنسانية والاجتماعية، عن طريق المناقشات بين الطلاب في إطار تقبل الرأي الآخر وتنشيط الحركة الثقافية داخل المدرسة، وغيرها من الخطوات التي تنشئ الفرد على الوعي الديمقراطي، والذي يبدأ أولا من الأسرة، فالمدرسة، فالمجتمع، وبهذا نجد أن للمدرسة دورًا كبيرًا لا يستهان به في تنشئة الفرد والمراهق خصوصا.

II-5-3-3- المسجد:

لقد كانت الرسالات السماوية التي أنزلها الله – عز وجل – على رسله، تهدف إلى هداية بني البشر وإحداث تغيير على المستوى الفكري وبالتالي على المستوى السلوكي لإبعاد الفرد عن مواطن الرذيلة والانحلال، فالتغيير إذن هو أساس أي عمل جاد وخاصة العمل التربوي، لأنه يوجه مسار هذا الأخير بالتعليمات والأوامر الربانية الحقة، ولعل أول مؤسسة عملت على صقل العقول وتهذيب النفوس وتغيير المجتمعات هي " المسجد " كأول مؤسسة دينية تنشيئية بنيت بعد الهجرة، ولعل وظيفة المسجد أكبر من أن تحدد في أي إطار كان، فهي تساوي في حجمها ووظيفتها جميع المؤسسات التنشيئية الأساسية.

إن للمسجد عدة أهداف منها وقائية ومنها علاجية يتم الوصول إليها من خلال وظائفه والتي نذكر من أهمها:

- فالمسجد مصدر للخطب الدينية والدنيوية، فيه تغرس القيم في نفوس النشء، وذلك من خلال الالتقاء اليومي والمباشر للإمام بالمأموم، كما يلعب المسجد دورا هاما من خلال تلبية المتطلبات الروحية وعلى رأسها الصلاة، لأنه بمثابة شحنة روحية هائلة ودروس أخلاقية

عالية، وتوجيهات سامية تدفع الإنسان إلى الطريق الصحيح والسلوك الأفضل، إضافة إلى الدعاء وقراءة القرآن.

- كما يلعب المسجد دورا آخر من خلال تعليم النشء أمور العقيدة، ولاسيما المراهق الذي يعيش سنًا حرجة، حيث يحاول دائما أن يفهم حقيقة الدين.

- كما أصبح المسجد الآن مركزا لمحو الأمية وتعليم الكبار، الذين لم يسعفهم الحظ في التعليم، ومن خلاله يتم تكوين علاقات اجتماعية وإزالة الفوارق الجهوية والعرقية بين مختلف شرائح المجتمع.

- اكتساب الفرد الكثير من العواطف والعلاقات الصحيحة، التي تمكنه من إشباع حاجاته النفسية، وذلك من خلال الاحتكاك داخل المسجد في جميع الأوقات.

- عن طريق المسجد يمكن للفرد أو الطفل أن يحسن انتقاء الأقران والأصحاب، وفيه تتاح الفرصة لاكتساب الأخلاق الفاضلة.

فالمسجد إذن يعد وسطا بديلا عن كل الأوساط الاجتماعية الأخرى التي قد يتخذها الإنسان مجالا لقضاء أوقات الفراغ، وللإشباع النفسي والعاطفي وللقضاء على الملل والوحدة وكل مظاهر القلق والاضطراب، فهو بديل ملائم لمعالجة الفراغ القاتل، فهو مكان وقائي وعلاجي، لأنه يساعد الأسرة على تنشئة الطفل خاصة إذا كانت تفتقر إلى الجانب الديني.

II-5-3-4- جماعة الرفاق والأقران:

إن جماعة الأقران أو الأصحاب أو النظراء على اختلاف مسمياتها، تعد من الجماعات الأشد تأثيرا على المراهقين في معاييرهم وقيمهم، من خلال عملية التفاعل والتأثير المتبادل، فيستطيع المراهق وسط أقرانه أن يناقش أو يحاور ويتبادل وجهات النظر مع الآخرين، كما أنه يتحين الفرصة لإظهار نفسه وتأكيد ذاته، وتختلف الصداقة إذن حسب المرحلة العمرية في بعض الجوانب، ففي مرحلة المراهقة مثلا تتميز بكثرة أصدقائه ومشاركاته المختلفة في الجماعات والنوادي، ولعل أول ما توفره الجماعة للمراهق هو التحسين الفردي للحالة المعنوية، بتوفير جو من المرح مع بعضهم البعض مع الاستقلال والحرية، أكثر مما يتلقاها المراهق في أسرته.

وتكسب جماعة الرفاق أفرادها مجموعة الخبرات التي لم يتعلمها المراهق لا داخل أسرته ولا في المدرسة، لا سيما أن جماعة الأقران تنشئ الفرد والمراهق على تكوين علاقات اجتماعية داخل جماعته وخارجها، وإعلاء كلمة الحق وسطها وإن كان لوحده دون رفاق، إن الواقع المحسوس هو أن كل فرد هو في ذات الوقت كائن مستقل وعضو في جماعة، ولا تكاد توجد لحظة واحدة، لا فكرة ولا عمل يمكن أن يزاوله الفرد بإحدى كفتيه دون الآخر وإن بدا في ظاهر الأمر أن هذا مستطاع.

وكما أن للصداقة دورا إيجابيا في تنشئة الفرد فإن لها دورا عكسيا أيضا، والمتمثل في جر المراهق نحو مهاوي الرذيلة والانحلال، وعليه فإن جماعة الرفاق سلاح ذو حدين، حد يكون إيجابيا فيساعد المراهق على اكتساب الأخلاق والفضائل، أما الحد الثاني فيؤدي به إلى الهلاك والفساد والضياع.

II-5-3-5- وسائل الإعلام:

لقد شهد القرن الأخير ثورة تكنولوجية واسعة في مجال الاتصال الجماهيري، حيث برز الإعلام فيه بقوة، وأصبحت وسائل الاتصال كالسينما والمسرح والتلفاز والجرائد والصحف والمجلات . . .، ومع تنوعها تشد انتباه القارئ والمشاهد والمستمع إليها بطريقة قد لا تجعل الفرد يشعر بها، فالإعلام بكافة وسائله هو أفضل وسائل الاتصال بالناس، فهو علم يخاطب عقولهم لذلك فإن تأثيره يكون أقوى وأعمق، إذا ما عرفنا كيف نستخدم أسلوبه بطريقة فعالة، والمقصود بالإعلام هو تلك العملية التي يترتب عنها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي ترتكز على الصدق والصراحة ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية والارتقاء بمستوى الرأي.

ولئن كانت وسائل الإعلام التي تشكل جسرا أو معبرا هاما ووسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية من حيث نقلها للأفكار والقيم والثقافة والاتجاهات السائدة في المجتمع، فهي الأخرى سلاح ذو حدين كما يقال، فإذا كانت هذه الوسائل تلعب دورا إيجابيا وسلبيا بالنسبة للكبار الناضجين، فما بال الصغار والمراهقين، الذين مازالوا على حافة الطريق ولم ينضجوا النضج الكافي والتام.

وعليه فإن وسائل الإعلام تلعب دورا فعالا في إصلاح المجتمع، لاسيما إذا أحسن توجيه برامجها وانتقائها وإعدادها الإعداد المناسب، فهي توسع معارف المراهق وتصقل عقله وتقوي خياله وتوحد أواصر العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة عندما يجتمعون أمام الشاشة مثلا، كما تساعد المراهق على تجاوز مرحلته بكل يسر، وتسد بعض الثغرات التي لم تستطع الأسرة سدها أو حتى لم تنتبه إليها، ومنه فإن وسائل الإعلام تعد من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة في عصرنا الحالي. (شرقي رحيمة، 2005، ص ص.106-108)

II-5-4- عملية التنشئة في مجال الثقافة البيئية:

لا حاجة اليوم لأن تكون منخرطا في منظمة بيئية أو في حزب الخضر لكي تصنف من حماة البيئة، يكفي أن تعيش حياتك عادية، ولكن بنبرة قوية من الحس المسؤول لكي تفوز باللقب المشرف، هذا ما يقال اليوم لأي فرد من أي مجتمع في العالم، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية المجسدة في مؤسساتها المختلفة، ومساعيها في نشر الثقافة البيئية، بعد أن اعتاد كل فرد فخاخ الثقافة الاستهلاكية التي ضربت بجذورها في عمق المجتمعات. وها هو المواطن يجد نفسه مطالبا بأن يكون مستهلكا مسؤولا تحت تأثير التنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها التي أوكلت مهمة نشر الثقافة البيئية، فبدأت مواضيع البيئة تدمج في البرامج التربوية المختلفة بما يسمى بالتربية البيئية، داخل المدارس والثانويات والجامعات، ومن خلال مسائل الإعلام، وأماكن العبادة، والجمعيات، وانعقاد المؤتمرات والندوات على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي، ولعل الجزائر ليست بعيدة عن مسرح هذه الأحداث وهذه الانتفاضة العالمية حول موضوع البيئة، وكيفية النهوض بها وحمايتها من خلال نشر ثقافتها في المجتمع، والتركيز عليها كموضوع مهم في مجال التنشئة الاجتماعية.

لقد أصبح نشاط مؤسسات التنشئة الاجتماعية يتخطى مهمة التوعية والإرشاد لتكوين فرد فعال قادر على الاندماج في المجتمع بسهولة ويساهم في بنائه، بل تعدى ذلك إلى ما يسمى " بالثقافة البيئية "، المتمثلة في قيم جديدة تهدف إلى إعادة تشكيل الأنماط الاستهلاكية للأشخاص، بما يتناسب وحماية البيئة، وفي مواجهة ما يسميه باحث علم الاجتماع والعضو

البارز في حزب الخضر الفرنسي «ألان ليبتز»، "بالمجتمع الاستهلاكي الموجه ".(وهبي والعجمي،2003، ص. 58)

ويمكننا أن نوجز أساليب عملية التنشئة الاجتماعية في مجال ترسيخ الثقافة البيئية في النقاط التالية:

- إن للدراسات الميدانية أهمية كبيرة في عملية نشر وترسيخ الثقافة البيئية، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، والتي تتبنى وتشرف على هذه الدراسات الميدانية، حيث إن الأفراد يتعاملون فيها مباشرة مع البيئة، كما أن هذه العملية تصلح لكل المراحل التعليمية، حتى المراحل التي تأتي من بعد ذلك بالنسبة للراشدين، حيث تنمي هذه العملية مهارة العمل الجماعي للأفراد كما تسهل عليهم فهم وإدراك التفاعل بين الإنسان وبيئته، وتعد الزيارات الميدانية أسلوبا يركز على مهارات الاستكشاف والملاحظة والقياس والتحليل والتركيب واتخاذ القرارات، كما أنها تنمي الوعي البيئي.
- ينبغي التفكير في اصطناع مواقف تعليمية والتي يمكن أن تؤدي إلى بعض المواقف الطبيعية، مع ذكر بعض الأنشطة التربوية التي يكمن أن يمارسها الطالب داخل المدرسة في مجال الثقافة البيئية.
- استخدام مثيرات أو لوحات توضيحية لإثارة الانتباه والتعمق في الموضوع.
- التدريب على حل المشكلات البيئية وطريقة التفكير بالنسبة للأفراد.
- التركيز على القصص خاصة بالنسبة للطلبة المتمدرسين لإثارة عنصر التشويق لديهم وشد انتباههم.
- القيام بالتجارب العلمية.
- اللعب والمحاكاة وتمثيل الأدوار بالنسبة للأطفال داخل الأسرة أو في الروضة خاصة.
- الحث على المشاركة في الأنشطة البيئية بالنسبة للأفراد باختلاف أعمارهم، كحملات التشجير والتنظيف.
- التحسيس بالمشاكل والكوارث البيئية كتآكل طبقة الأوزون والاحتباس الحراري خاصة من طرف وسائل الإعلام.

كما يمكن لعملية التنشئة الاجتماعية في مختلف مراحلها أن تتناول سمات الثقافة البيئية كوسيلة لترسيخها والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- تأخذ عملية التنشئة الاجتماعية بالحسبان البيئة من جوانبها الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتشريعية والأخلاقية والثقافية، ومحاولة تفهم هذه الجوانب وطرق صيانتها وحسن استغلالها.
- خلال عملية التنشئة يجب الاهتمام بالأوضاع الحالية والمستقبلية للبيئة والتركيز على تعاون جميع أفراد المجتمع على حل المشكلات البيئية ومنع وقوعها.
- إظهار أهمية العلم والتكنولوجيا في تطوير علاقة الإنسان بالبيئة، وإدراك ما يحدث جراء اختلال العلاقات البيئية على حياة الإنسان.
- إظهار التفاعل بين العوامل الاجتماعية والحضارية والقوى الطبيعية.
- محاولة تشكيل وعي بيئي متكامل مرتبط بالمهارات والخبرات التي تجعل تصرفات الفرد إيجابية في تعامله مع البيئة.
- فهم موقع الإنسان في إطاره البيئي والإلمام بعناصر العلاقات المتبادلة والتي تؤثر في ارتباط الإنسان بالبيئة (وهبي ودرويش العجي، 2003،ص.60)

الخلاصة:

من خلال ما تعرضنا إليه في هذا الفصل، يمكننا أن نخلص إلى أن الثقافة البيئية تعتبر أهم وسيلة يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى الغاية المرجوة والمتمثلة في الفهم الصحيح للبيئة وعناصرها، ومن ثمة المحافظة عليها وحمايتها، لأنه كما تقول الحكمة إن فاقد الشيء لا يعطيه، أي إنه يجب أن تفهم جيدا ما معنى البيئة وماهيتها وعلاقتها بالإنسان ومنه يمكننا أن نصل إلى حقيقة مفادها أن هذه البيئة هي الحياة فإذا تدهورت أو اختل توازنها فإن أول متضرر هو الإنسان، مع إنه هو المتسبب الأول والأخير في حدوث هذه المشكلات البيئية.

وعليه فمن خلال المؤتمرات والندوات والحلقات الدولية والإقليمية والمحلية الخاصة بموضوع البيئة، والتي كانت كتحصيل حاصل للمشكلات التي بدأت تعاني منها البيئة كالتلوث والاحتباس الحراري وتآكل الأوزون، حيث شارك في هذه المؤتمرات علماء وباحثون ورجال أعمال ورجال السياسة، وأقروا أن أنجع وسيلة للمحافظة على البيئة وحمايتها هي نشر وترسيخ الثقافة البيئية لدى الأفراد في المجتمع، بمعنى آخر أن قضية البيئة والفهم الخاطئ لها، جاء نتيجة النظرة المادية لها من جهة وأنانية الإنسان من جهة أخرى، فراح هذا الأخير يستنزف مواردها ويستغلها استغلالا همجيا لإشباع حاجاته التي لا تنتهي حتى وصلنا إلى هذه الحالة التي لا نحسد عليها وأن الإنسان وضع حياته في الميزان مقابل أنانيته، وعليه بدأ العلماء يؤكدون على ضرورة النظر إلى الجانب المعنوي أو الثقافي والجمالي للبيئة الذي رأوا أنه الوسيلة الوحيدة والأخيرة والفعالة للنهوض بالبيئة، فنادوا بالثقافة البيئية من خلال المؤتمرات السالفة الذكر وذلك على غرار التربية البيئية. ولعل أحسن طريقة لترسيخ ونشر الثقافية البيئية كما يرى المختصون تأتي من خلال التنشئة الاجتماعية والتي تبدأ من المراحل الأولى لتربية الطفل وتستمر معه مدى الحياة، وتتولى هذه المهمة مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة بدءا بالأسرة، فالمدرسة ودور العبادة والجمعيات والنوادي ووسائل الإعلام . . . الخ وذلك لتكوين المهارات والاتجاهات والقيم لدى الأفراد استنادا إلى مفهوم الثقافة البيئية، فتتكون لديهم النظرة الصحيحة والفهم السليم للبيئة، ومن ثمة الوصول إلى نتيجة مفادها إنسان سوي يعني بيئة سليمة وجميلة.

الفصل الثالث
المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئية

تمهيد
III-1- الحضارة الإنسانية وعلاقاتها بالبيئة عبر التاريخ
III-2- المدارس الكبرى لدراسة البيئة
III-3- الاتجاهات النظرية في علم اجتماع البيئة
خلاصة

تمهيد:

إن المداخل السوسيولوجية لدراسة البيئة، ليست فقط عبارة عن دراسات لأنشطة الإنسان أو سيطرة على العمران وبناء الحضارات الإنسانية، بل يتعدى ذلك إلى دراسة النظم الاجتماعية التي تعطي للمكان خصائصه وتضفي عليه طابعه الخاص، وبالتالي فهذه النظم هي التي توجه الإنسان للتكيف مع الطبيعة، وبتعبير آخر هي دراسة للعلاقات المتبادلة بين الإنسان والطبيعة.

لقد أوجد الإنسان المؤسسات والنظم الاجتماعية التي تيسر له اكتمال التكيف مع الطبيعة وإشباع حاجاته الأساسية، وترتب على هذا أنه قطع الأشجار ليزرع مكانه المحاصيل الغذائية، واستصلح الأراضي، وبنى السدود والمستنقعات، واستغل الموارد المعدنية من باطن الأرض، وأقام عليها الصناعات المختلفة، إضافة إلى ذلك فقد أنشأ الإنسان المؤسسات الاجتماعية التي تساعده على التكيف وإشباع الحاجات، وهناك أقام النظم الاقتصادية والسياسية والتربوية والأسرية، علاوة على التكنولوجيا والصناعة وما صاحبها من مشروعات التنمية الصناعية التي تبدو آثارها ونتائجها واضحة للعيان. إن هذه المؤسسات والنظم أدت إلى آثار ملحوظة أخّلت بالتوازن في النظام البيئي، فأصبحت حياة الإنسان مهددة بالخطر.

وهنا يهتم المدخل السوسيولوجي بتفاعل الإنسان ونظمه الاجتماعية المختلفة مع البيئة، وآثارها ونتائج هذا التفاعل عليها، حيث يهتم بتأثير الإنسان على البيئة وسيطرته عليها في تشييد مسكنه، وإنتاج غذائه وكسائه، وإشباع حاجاته الإنسانية من زواج وترفيه وتديّن، كذلك يهتم المدخل بمدى تأثير البيئة على النشاط الاقتصادي والاجتماعي للإنسان، أي دراسة علاقات التأثير المتبادلة بين الإنسان والبيئة والصراع منذ الأزل.

III-1- الحضارة الإنسانية وعلاقتها بالبيئة عبر التاريخ:

حتى نهيئ سياقا لِسردٍ تاريخي بشري مرتبط بالبيئة، ولكي نغرس في الأذهان فكرة أن الطبيعة والبشر أقاما فيما بينهما علاقات تفاعل متبادلة، سنقوم بمحاولة عرض فكرة عامة عن العشرة آلاف سنة الأخيرة، من حيث العلاقات البيئية للمجتمعات البشرية، وسيتناول ذلك بالضرورة ما أحدثه الإنسان وتكنولوجياته من تأثير في البيئة، وما فرضته عليهم العوامل البيئية من قيود، لكي يتحقق ذلك يقتضي الأمر تقسيم تلك الحقبة إلى فترات هي كالآتي:

أ- القنص وجمع الغذاء وأوائل الزراعة:

مارس جميع البشر هذا النوع الأول من الاقتصاد إلى أن عرفوا كيف يدجنون النباتات والحيوانات، واستقر هذا النمط لأول مرة سنة 7500 ق.م في جنوب غربي آسيا، وإن بقيت حتى اليوم أعداد تتناقص تدريجيا من القناصين الجماعين. وبوجه عام أدخل القناصون على البيئة تعديلات أقل مما أدخله أصحاب الثقافات اللاحقة، وتكيفوا عن كثب للسمات التي وجدوها عليها.

ب- الحضارات النهرية:

هذه هي الاقتصادات الكبرى التي نهضت على الري، على ضفاف نهر النيل، وفي بلاد ما بين النهرين على سبيل المثال، تكتنفها من حوالي سنة 4000 ق.م حياة البدو الرعاة في المناطق الجبلية والأقاليم الأكثر جفافا، واستمرت حتى حوالي القرن الأول الميلادي، وحاولت تلك الحضارات من خلال التكنولوجيا أن تتحرر من بعض القيود التي يفرضها فصل بدون أمطار.

ج- الإمبراطوريات الزراعية:

ابتداءً من سنة 500 ق.م وحتى تاريخ ظهور الثورة الصناعية حوالي سنة 1800م وجدت في عدد من مناطق العالم التي يغلب عليها الحضر إمبراطوريات سياسية أحيانا وتجارية أحيانا أخرى، ويمكن القول أن كلا منهما كانت له بقعة مركزية تمارس نفوذا هائلا، وبقاع محيطية كان ما يحدث فيها من تغيرات -أيا كان نوعها- متفرقا في الزمان والمكان، وأخذ عدد كبير منها بالتكنولوجيا لتذليل الحواجز البيئية التي تحول دون المزيد من الإنتاج وعلى سبيل المثال: تخزين المياه، زراعة المدرجات، التربية الانتقائية للمواشي.

د- العنصر الصناعي الأطلنطي:

منذ حوالي سنة 1800م وحتى الوقت الحاضر، كان حزام من المدن يمتد من شيكاغو إلى بيروت، فضلا عن بعض المدن على شواطئ آسيا حتى طوكيو، بشكل مركزا لنمط حياة اقتصادية يقوم في معظمه على الطاقة المستمدة من أنواع الوقود الأحفوري، وكانت هذه الفترة التي بلغ فيها تأثير النوع البشري على بيئته أقصاه، ووجدت في هذه المدن أمثلة كثيرة لمجتمعات عزلت نفسها عن بيئتها الطبيعية، بتكييف الهواء مثلا أو بالسلاسل الغذائية الطويلة القائمة على الصناعة.

ه- العنصر الصناعي الهادي – العالمي:

حدث منذ الستينات من القرن الماضي تحول إلى حوض المحيط الهادي باعتباره المركز الرئيسي للاقتصاد الصناعي، وإن كانت قد حدثت في الوقت نفسه عولمة حقيقية للاتصالات يسرت نشوء اقتصاد عالمي متكافل، مثلا في مجال العمليات المالية والشركات المتعددة الجنسيات، واقترن ذلك بتحول في الوعي نحو نظرة عالمية من دلائلها، عودة

الاهتمام بتنويع أساليب الحياة تبعا للخصائص البيئية المحلية.(سيمونز، 1993، ص ص . 15-16)

III-2- المدارس الكبرى لدراسة البيئة:

منذ ظهر الإنسان على سطح الأرض وهو يحاول جاهدا أن يستغل موارد بيئته بطريقة أو بأخرى لإشباع حاجاته المتنامية والمتزايدة، فهو إذن في صراع دائم مع بيئته، وقد اختلفت هذه العلاقة على المدى التاريخي لحياة الإنسان، واستحوذت على اهتمام الكثير من العلماء باختلاف تخصصاتهم، خاصة منهم الفلاسفة وعلماء البيولوجيا والأحياء وعلماء الجغرافيا الاجتماعية وعلم النفس وعلم الاجتماع الذي كان له صيت في تناول موضوع البيئة بداية من العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي وحتى يومنا هذا، وبطبيعة الحال إجماع الرأي في مثل هذه القضية غير وارد. ولقد ظهرت عبر العصور بامتداد الفكر الإنساني منذ بدايته في العصور الأولى حتى يومنا هذا، ثلاث مدارس أو اجتهادات فكرية حاولت تفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية والعلاقة الارتباطية التأثيرية بينهما، ولعل العلم الذي نال القسط الوافر في تفسير هذه العلاقة هو الجغرافيا الاجتماعية، وخاصة وأنه في تلك العصور لم يظهر بعد علم الاجتماع كعلم قائم بذاته باعتباره الاختصاص الذي نود من خلاله تناول موضوع البيئة، وسوف نعرض فيما يأتي هذه المدارس الثلاث:

III-2-1- المدرسة الحتمية(DETERMINISM):

أ- الحتمية القديمة:

لقد كان للإغريق فضل كبير في وضع الحجر الأساس في كثير من العلوم وكانوا السباقين إلى التنظير وتناول الموضوعات بالدراسات والتمحيص، ولهذا فإنهم لم يهملوا أحوال البلاد الاجتماعية، ولا يبدو أنهم كانوا إذا تولتهم الدهشة من وجود بعض المفارقات الاجتماعية، واستعصى عليهم تفسير ظاهرة بشرية ما، كانوا يرجعون سبب ذلك إلى ظروف البيئة الجغرافية، فظهر من بين الإغريق أوائل البيئيين أمثال: هيبوقراط وأفلاطون وأرسطو وجالينوس الطبيب وبوليت المؤرخ وبطليموس الجغرافي وغيرهم من كُتَّاب الإغريق ومفكريهم وفلاسفتهم وعلمائهم.

وقد كتب هيبوقراط (420 ق.م) كتابا بعنوان «الجو والماء والأقاليم» وبين فيه المفارقات التي لاحظها بين سكان الأقاليم الجبلية المعرضين للأمطار والرياح العاتية، والذين يتصفون بطول القامة والشجاعة ودماثة الخلق، وبين سكان الأقاليم السهلة المكشوفة الجافة، والذين يتصفون بنحافة الأجسام والشقرة، وفيهم طبيعة السيادة والإمارة، وواضح مما أورده هذا الكتاب عدم الارتباط بين البيئة الجبلية أو السهلة وبين سكانها.

أما أرسطو (284-322 ق.م) في كتابه «السياسة»، فقد لاحظ نوعا من الارتباط بين المناخ وبين طبائع الشعوب. وقد ظلت فكرة أثر المناخ في الطبائع والعادات البشرية عالقة بأذهان كثير من المفكرين ردحا طويلا من الزمن، إلى أن محصها العلم الحديث. ومن أمثلة ما جاء في كتاب السياسة ما يلي: «سكان الأقطار الأوروبية شجعان ولكن يعوزهم التفكير السليم والمقدرة الآلية، ونتيجة لهذا فهُم أكثر حرية من غيرهم، ولكن يعوزهم التنظيم السياسي، كما أنهم يستطيعون حكم جيرانهم، أما سكان آسيا فهم حكماء مَهَرَة ولكن يعوزهم الحماس، ولذلك فهم يرضون بحياة الذل والاستعباد»، كما هي في الكتاب الخامس من «القوانين» لأفلاطون.

وقد حاول اسطرابون (91-64 ق.م) أن يشرح في كتابه أثر تضاريس الأرض، المناخ والعلاقات المكانية في إيطاليا في ظهور مدينة روما وعظمتها.

لقد ظلت كتابات أرسطو وغيره من الفلاسفة والمفكرين الإغريق، والرحالة الجغرافيين مفردة في التاريخ، لم يتبعها كاتب آخر من الأمم الأخرى حتى القرن الرابع عشر الميلادي، عندما ظهرت مقدمة ابن خلدون الشهيرة، التي تعد أول بحث منظم ساعد كثيرا فيما بعد على ظهور وتطور علم الاجتماع وفلسفة التاريخ والجغرافيا الاجتماعية، حيث تحدث ابن خلدون في الفصل الأول من المقدمة عن "علم العمران البشري"، وفيه مقدمات، منها المقدمة الثانية في قسط العمران من الأرض، وللإشارة إلى بعض ما فيه من الأشجار والأنهار والأقاليم، ثم تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمرانا من الربع الجنوبي، وقد كان في تقسيمه للأرض إلى أقاليم طبيعية طبقا للمناخ، مكررا لما وصل إلى العرب من جغرافية الإغريق وأقسامهم الإقليمية ولكنه انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أثر المناخ في طبائع الشعوب وأخلاق البشر، حيث جاء في المقدمة الرابعة أن خلق السودان على العموم الخفة والطيش، وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص، متصفين بالحمق، ولما كان هؤلاء السودان يسكنون في الإقليم واستولى الحَرُّ على أمزجتهم وأصل تكوينهم، كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم أشد حرا، وأكثر تفشيا، فتكون أسرع فرحا وسرورا، وأكثر انبساطا، ويجيء الطيش على هذا الأثر، وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلال والجبال الباردة.

وطرق ابن خلدون أيضا موضوع نشأة المدن والأمصار، وما يجب مراعاته في أوضاع المدن، وما يحدث إذا غفل عن تلك المراعاة، أي ضرورة حمايتها بالأسوار، وتوخي الأماكن الطبيعية لذلك، وضرورة بعدها عن المستنقعات أو المياه الراكدة الفاسدة، وما يراعى في البلدان الساحلية التي على البحر.

وما من شك أن هذه المقدمة كانت فريدة من نوعها في التفكير الاجتماعي والسياسي في العصور الوسطى.

ثم ظهرت في أوروبا كتابات بودان (Bodin) في القرن السادس عشر، وقد أراد أن يبرهن في كتابه «الجمهورية»، على أن شكل الجمهورية ينبغي أن يتطابق مع صفات البشر المختلفة المتنوعة، ومن هنا بدأ يفصل في وسائل معرفة طبائع البشر، وكتب أن أهل الأقاليم المعتدلة المناخ على جانب أقوى من حيث الأخلاق من أهل الجنوب وكتب أن أهل الشمال وإن كانوا أقل مهارة في الصناعة، إلا أنهم أذكى عقلا من أهل الجنوب، وأنهم في قسوتهم كالوحوش الضارية، ولكنهم أنقى فؤادا وأسلم طوبة، بينما أهل الجنوب مثل الثعالب يصرفون كيدهم لشفاء ما في صدورهم من غل وانتقام، واستطرد في ضرب العديد من الأمثلة التي لا تقوم إلا على ملاحظته هو شخصيا في وقت معين بالذات، حيث يرى أن أهل المنطقة المعتدلة هم فقط القادرون على الجدل المنطقي، لأنه أمر أصعب من أن يصبر عليه أهل الشمال، وأعمق من أن يفهمه أهل الجنوب الذين يريدون أن يروا علامة من السماء أو معجزة إلهية حتى يقتنعوا.

تعتبر مؤلفات مونتيسكييه (Montesquieu) أهم ما كتب بعد مقدمة ابن خلدون حتى القرن الثامن عشر، وقد جمع هذه الكتابات في كتابه «روح القوانين»، وفيه اعتبر الإنسان كائنا فردا أو وحدة طبيعية تقابله قوتان كبيرتان هما الأرض أو التربة والمناخ، أدخلهما مونتيسكييه في اعتباره دون أن يدرسهما أو يحلل آثارهما، وعذره في هذا أنه

لم يكن عالما اجتماعيا، ولكن عجلته في البحث وجرأته تظهر فيما أفرده في الكتاب الثامن عشر عن أثر التربة في النظم القضائية للإنسان، فأتت دراسة سطحية مختصرة، من قبيل إلهام الفلاسفة، وليس من قبيل إلهام العلماء، فكان يكفي أن يطلق عبارة غامضة مثل «طبيعة الأرض» دون أن يحللها، أو يستعين بالمختصين في تحليلها، والأرض في نظره إما أن تكون خصبة أو مجدبة، ويطلق بعد ذلك إحدى أحكامه السطحية، كأن تكون الأرض الجذبة ذات حكومة شعبية، أما الخصبة فتنشأ حكومة ارستقراطية، دون أن يبين كيف تم ذلك، أو ما هي العلاقة بين درجة خصوبة التربة أو جذبها، وبين شكل حكومتها.

أما عن المناخ فإن مونتيسكييه قد أفرد له مساحة أوفر وأولاه عناية أكبر، فلقد كان تقليدا متبعا أن نرجع إليه قدرا أوفى من تأثير الطبيعة على الإنسان، وقد حاول بنفس الطريقة أن يبين العلاقة بين المناخ وبين القانون بصفة عامة، ثم بينه وبين قوانين الاستعباد المدني أو الدكتاتورية، ونظام الرق، وأخيرا الاستعباد السياسي، وكان للمناخ في كتبه الأربعة التي أفردها له معنى واحد وهو الحرارة، فالمناخ إما حار أو بارد أو معتدل، وهي مفاهيم سطحية بالنسبة للأقاليم الطبيعية، وينتهي بعد ذلك إلى ملاحظات عامة خاطئة، فآسيا في نظره لا تشمل منطقة معتدلة بمعنى الكلمة بل تتلاصق فيها الأقاليم الشديدة الحرارة بالأقاليم الباردة، وعلى العكس أوربا، حيث المنطقة المعتدلة تحتل مساحة كبيرة من القارة، وحيث تشمل جميع أنواع المناخ، وأما إفريقيا فهي تشبه في مناخها جنوب آسيا ولذلك فهي مثلها تتخبط في أغلال الاستعباد، وإذا غضضنا الطرف عن أخطائه العلمية فيما يختص بالمناخ، وأعذرنا له أن العمل لم يكن قد تقدم بعد، فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن أخطائه الاستنتاجية مثل علاقة البرودة بالشجاعة، أو أثر المناخ الحار في ركود عادات الشعوب الشرقية، وتعقد معتقداتها، فهذه أخطاء ظلت عالقة بالأذهان، حتى القرن العشرين، إذ لاءم البيئيون الحديثون بين ما تحت أيديهم من معلومات علمية عن المناخ، وبين ما ورثوه من أمثال آراء مونتيسكييه، فجاءت استنتاجاتهم سطحية، وكان لهذا خطره على التفكير البيئي السليم.

ولقد كان غرض الكُتَّاب والمفكرين والعلماء بلا شك فهم الطبيعة البشرية ولكنهم لم يبدؤوا من دراسة الأرض أو البيئة الجغرافية بل كانوا يلجؤون إليها تفسير ما يغمض عليهم ويعجزون عن تبريره من الطباع البشرية أو نظم الحكم المختلفة، أي كانوا يقصدون التبرير لا التعليل ومن هنا جاء خطؤهم، فلقد نظروا إلى المجتمعات الإنسانية والبيئة الجغرافية وربطوا بينهما بعلاقات سببية دون سابق فحص أو دراسة أو تمحيص.

وقد ظل هذا شأن المفكرين والفلاسفة والمؤرخين إلى أن ظهرت نظرية داروين في القرن التاسع عشر، عندئذ وجد هؤلاء المجتهدون في كتاب«أصل الأنواع» عام 1859م، و«تطور الإنسان» عام 1879، ضالتهم المنشودة، نظرية علمية تفسر تطور الكائنات الحية كلها تفسيرا طبيعيا، وتوضح أن العلاقة بين الكائن الحي والبيئة هي علاقة ملاءَمة وتكيف، فعلى الكائنات الحية جميعا أن تتلائم مع البيئة وتتكيف مع ضرورياتها، وأن هذه الملاءمة عملية مادية حتمية، لا يملك الكائن الحي إزاءها شيئا، بل أن البيئة تختار الأفراد الذين تتلاءم صفاتهم مع ظروفها اختيارا طبيعيا وتترك غيرهم للفناء، وأن البقاء للأصلح، فالبيئة بالنسبة لداروين قوة عارمة طاغية.

وكان لهذه النظرية أثر كبير في المدارس الفكرية جميعا، فسرعان ما تبناها سبنسر في الأخلاق، وهيجل في الاجتماع، وتين في الأدب، وسرعان ما تبنتها المدرسة الجغرافية

الناشئة في ألمانيا، ولا يزال لهذه النظرية الأثر الأكبر في التفكير الجغرافي حتى الآن. (غلاب، 1997، ص ص. 15-17)

ب- الحتمية الحديثة:

في خِضَمِّ الثورة التي أحدثتها النظرية الداروينية في مجال العلم، كان العالم والرحالة فريديريك راتزل يضع أساس علم جديد هو «الجغرافيا البشرية» عندما نشر مجلدين بهذا العنوان عامي 1882، 1891م، وفيهما درس راتزل حياة البشر في مجالات نشاطاتهم المختلفة، وفي مجتمعاتهم المتباينة، دراسة متسقة قائمة على المنطق على ضوء علاقة الإنسان بالبيئة الجغرافية، وأعقب ذلك بكتاب «الجغرافيا السياسية»، وفيه وجه اهتمامه إلى حياة المجتمعات السياسية، ودرس الدولة على ضوء علاقتها بالبيئة وأساسها الطبيعي الفيزيوغرافي أي الأرض التي تشغلها، بمعنى آخر دراسة الدولة كما هي واقعة في المكان.

وقد عاصر هذه المدرسة الجغرافية الألمانية فيلسوف ألماني كان من أشد المتحمسين لداروين ونظرية التطور، هو أرنست هيجل الذي وضع أسس علم جديد هو 'علم البيئة' وموضوعه دراسة تعاون الكائنات العضوية التي تعيش في بيئة واحدة جميعا، وتلاؤمها مع هذه البيئة. وقد أخضع نظرياته لما كان يعتقده من فلسفة مادية، فالإنسان في نظره لم يكن سوى أحد الكائنات العضوية التي يجب دراستها وهو لا يختلف عن الكائنات العضوية الأخرى التي تحيط به في مقدار خضوعه لظروف البيئة.

ونشأ في نفس الوقت اتجاه جديد في معالجة المشاكل الاجتماعية ودراستها، وهو أيضا من أثر الفلسفة المادية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، عصر انتصار العلم هذا الاتجاه هو الاستعانة بالإحصاء لإعطاء صورة موضوعية للمشاكل الاجتماعية، وقد دلت هذه الدراسة الإحصائية على خضوع السلوك الاجتماعي لقوانين تكاد تشبه القوانين الطبيعية في حتميتها، فظاهرة الانتحار، أو ظاهرة البطالة مثلا تخضع لظروف اقتصادية وقوانين ثابتة لا يملك لها دفعا، إذ هي فوق طاقته، وليس الإنسان حرًّا كما كان يظن الناس من قبل، بل هو أسير ظروف قاهرة، يخضع سلوكه لقوانين طبيعية واقتصادية، وهكذا بدأ الناس يعالجون المشاكل الاجتماعية بأسلوب العالم الوضعي.

وقد نقل هذه الفلسفة المادية الوضعية إلى انجلترا المؤرخ الانجليزي بكل (Buckle) وتتجلى مظاهرها في كتابه «تاريخ المدينة في انجلترا»، ونشر الجزء الأول عام 1857م، والثاني عام 1861م، وكان غرض بَكل رفع مستوى كتابة التاريخ إلى مرتبة العلوم.

ويرى بَكل أن هناك علاقة وثيقة بين الإنسان والعالم الخارجي، هي علاقة الاتصال الدائم، فلا بد إذن وأن تكون هناك علاقة بين النشاط البشري في أوجهه المختلفة وبين القوانين الطبيعية، ثم استطرد يبين تلك العوامل الطبيعية التي تؤثر في هذا النوع البشري وهي المناخ والطعام والتربة والمظهر العام للإقليم، ويقصد بذلك الشكل العام للتضاريس والموقع الجغرافي، وأن هذا جميعه لا بد وأن يؤثر في تكون آراء الشعوب وعاداتها المختلفة، إضافة إلى ذلك بين أثر التربة والمناخ في الاستغلال الاقتصادي للإقليم، أو بمعنى آخر في مصادر ثروته، بل وأكثر من ذلك فالمناخ يؤثر أيضا في قيمة العمل والإنتاج، فالحرارة الشديدة تصيب العامل بالكلل والملل، بينما الحرارة المنخفضة تثير فيه النشاط والحيوية.

وقد عقد مقارنات عديدة بين مختلف الأقطار في أوربا وخارجها، وربط فيها بين لاظواهر الطبيعية، كالتربة والمناخ، وبين لاظواهر الاقتصادية، كتوزيع الثروة ومستوى

الأجور، والظاهرات الاجتماعية والسياسية المترتبة على ذلك، فمثلا في الهند أدت خصوبة التربة والمناخ الحار إلى تنشيط النمو، وطول فصل الإنبات، ومما أدى إلى كثافة السكان، وهذا بدوره أدى إلى زيادة نسبة العرض مقارنة مع الطلب بالنسبة لسوق العمل، فانخفاض الأجور، ومن نتائج ذلك عدم المساواة في توزيع الثروة، فظهرت طبقة كبار الملاك وطبقة الأجراء، وهذا بدوره أدى إلى عدم تكافؤ القوة السياسية بين الطبقات وبين الأفراد، وبالتالي عدم تكافؤ المكانة الاجتماعية فالرقيق والاستعباد في الهند كان نتيجة للظروف الطبيعية التي لم يكن منها بد وهكذا انتشرت المادية وفلسفة تطور، فأقبل الناس مطمئنين على الكتابة والتأليف عن الإنسان أو عن شعب من الشعوب مطبقين نظرية التطور، راضية أنفسهم كل الرضا على هذا التوفيق، وكان من نتائج هذه المدرسة في فرنسا مدرسة فريديريك لبليه (Frederic le play) (1806-1882م)، التي جعلت شعارها: المكان، العمل، السكان (Milieu-Travail-Peuple)، ووضعت لنفسها منهجا جماديا حتميا يسير على النحو التالي: المكان (البيئة) يؤثر في نوع العمل، وهذا الأخير يؤثر في النظام الاجتماعي أي في السكان، ولما كانت المعادلة لا تحقق إلا في المجتمعات البدائية والبسيطة والزراعية فقد عدلت فيما يختص بالمجتمعات الحديثة كما يلي: المجتمع يؤثر في العمل، وهذا الأخير يؤثر في السكان، أي أن الظروف الاجتماعية وهي من صنع الإنسان قد حلت محل الظروف الطبيعية بالنسبة للمجتمعات الراقية أو المعقدة، وهنا نلمح نوعا من المرونة في التفكير والمنهج جعلت لبليه يعدل من حتميته، ويقدر الظروف البشرية الأخرى أي جعلته يميل إلى جانب المدرسة الإمكانية التي تطور إليها منهج الجغرافيا الاجتماعية والجغرافيا البشرية باعتبارهما العلمين الأكثر اهتماما بتفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة في ذلك الوقت، كما سنرى فيما بعد.

وبالرغم من تطور مدرسة لبليه نحو الإمكانية في بريطانيا، فإنها أثرت في أحد أقطاب المدرسة الحتمية الفرنسية، وهو أدمون ديمولان (Demolins)، هذا الأخير الذي تساءل في مطلع كتابه عن السبب الذي أوجد هذا العدد الكبير من الطرز الاجتماعية التي ينقسم إليها سكان العالم، ولم يقتنع أن يكون السبب في اختلاف العناصر والسلالات، بل رأى أن السبب هو اختلاف الطرق التي سلكتها الشعوب في هجرتها، وهي التي شكلت السلالات، والنظام الاجتماعي السائد لدى شعب من الشعوب، ويقصد الطرق الطبيعية التي سلكتها الشعوب في هجراتها التاريخية.

وليس الطريق أمرا قليل الأهمية، فطريق حشائش الاستبس الآسيوية، أو طريق سيبيريا أو التندرا، أو طرق البراري الأمريكية، أو طرق الغابات الاستوائية، هي التي شكلت قبائل التتار والمغول، أو اللاب والإسكيمو والهنود الحمر، أو الزنوج، ودروب الصحراء في بلاد العرب هي التي كونت صفات الأشوريين وهكذا.

إن أي طريق من الطرق يطبع الشعب الذي يسلكه بطابع قوي لا مفر منه، واختلاف الطرق وتنوعها هو الذي يفسر اختلاف الشعوب بعضها عن بعض، وهو الذي يمنح هذه الشعوب عبقرياتها المختلفة، فلو قدر للنوع البشري أن يبدأ حياته من جديد على سطح هذه الأرض لعاد التاريخ سيرته الأولى بجميع مظاهره الكبرى، ولم يحدث تغيير إلا في التفاصيل الثانوية، مادام سطح الأرض لم يتغير.

ثم بدأ ديمولان بعد هذه المقدمة في تفصيل نظريته، بل والانتهاء إلى قوانين حتمية صارمة لا تقبل جدلا، فدرس الرعاة في السهوب، درس المناخ شبه الجاف في وسط آسيا الذي يؤدي إلى ظهور غطاء نباتي معين، هي الحشائش المعتدلة، وانتهى من ذلك إلى

تحديد نوع الحرفة السائدة، وهي الرعي، ومعنى هذا اعتماد المجتمع اعتمادا كاملا على الحيوان، وأهم هذه الحيوانات في سهوب وسط آسيا هي الخيل، فبيئة السهوب هي أحسن بيئة تناسبها، والاستبس مهيأة خاصة لها، ثم الخيل هي التي هيأت الاستبس للإنسان، هذا قانون.

الإنسان لا يخلق بحريته الطراز الاجتماعي، كما أنه لا يخلق بحريته الاستبس، ولكن كان لا بد من هذا الطريق الطبيعي (الاستبس) لخلق هذا الطراز الاجتماعي (الطراز الرعوي).

ويبدو أن ديمولان قد قابلته صعوبة فيما يختص بالشعب الصيني، كيف نستطيع أن نجد طريقا كفيلة بتدريب شعب على الزراعة والصناعة والتجارة، في مضمار محدود وبشكل مركز، ولكنه لم يلبث أن يلهم حلا لهذه المشكلة فقال أنه طريق التبت، وكأنما بذلك قد أقنع القارئ المتشكك.

ديمولان من أشد الحتميين تطرفا وجرأة دون أي تردد أو احتراس، بل هو متحمس لحتميته، يضع الفروض ويبرهنها خطوة خطوة، وينتهي إلى قوانينه التي يتبناها، وأخيرا انتهى إلى نتيجته النهائية وهي أن البيئة تشكل المجتمع.

تعتبر إلين سمبل (Ellen sempel) أهم تلامذة راتزل، وقد أعادت كتابة الجغرافيا البشرية بشكل أكثر تنظيما وتبويبا عام 1911، ويكفي أن نقرأ أول صفحة في كتابها «الإنسان نتاج سطح الأرض»، لنفهم فلسفتها واتجاهها الفكري.

لقد عرضت سمبل صورة منقحة لنظريات الحتمية، وعقدت مقارنات بين مختلف الشعوب من طراز معين، ومن مختلف السلالات، في جميع مراحل المدينة ماداموا يخضعون لظروف جغرافية واحدة، فإن كان هناك اختلاف فمرجعه إلى اختلاف السلالة، وإن كان ثمة اتفاق فهو راجع إلى البيئة.

وتؤكد سمبل ثبات أثر العوامل الجغرافية، اللّهم إلا في الحالات العارضة، فالجزر أو الصحاري أو الاستبس تخلق ظروفا اقتصادية وبشرية وتاريخية متشابهة مادامت الظروف الجغرافية واحدة، بل إنها لدى الحديث عن البيئات الجغرافية المختلفة، لا تجد ما يمنعها من مقارنة ظروف انجلترا واليابان ونيوزيلندة ما قبل التاريخ.

وتقسم سمبل العوامل الجغرافية من حيث تأثيرها على الإنسان إلى ثلاثة أقسام:عوامل جغرافية ذات تأثير مباشر على الإنسان، مثل المناخ وأثره على لون الجلد والصفات الجسمية عامة، وملاءمة الإنسان لظروفه، وعوامل جغرافية ذات تأثير غير مباشر مثل الموقع الجغرافي، وعامل القرب من مراكز الحضارة وعامل العزلة الجغرافية فهذه كلها تؤدي في النهاية إما إلى التقدم الحضاري أو التخلف فالجهل، وعوامل جغرافية تؤثر في النمو الاقتصادي والاجتماعي للإنسان، أي أثر البيئة الطبيعية في مقومات الإنتاج الزراعي، ومن ثمة في درجة غناه أو فقره، وفي التنظيم الاجتماعي نفسه في النهاية.

وتمتاز سمبل في كل ما كتبته بأنها أضافت إلى عاملي البيئة والسلالة، عاملا ثالثا وهو عامل الزمن، فهي تستسقي من التاريخ القديم والحديث، شواهد عديدة على ما تحاول أن تبرهن عليه، ولا ريب أن هذه الثورة من المعلومات التاريخية قد أكسبت كتاباتها حيوية زاخرة، فما هو حقيقة جغرافية اليوم، يصبح حقيقة تاريخية غدا.

غير أنها لم توفق عندما ذكرتنا بآراء هيبوقراط في الفصل الأخير من كتابها الذي تحدثت فيه عن أثر المناخ، فقد أشارت إلى أثر المناخ في أخلاق الشعوب وأمزجتها، حيث إن الشعوب الشمالية في أوربا نشيطة، جادّة، تحكم العقل

لا العاطفة، أكثر حرصا واتزانا في سلوكها، بينما الجنوبيون وسكان البحر المتوسط مرحون، مستهترون، عاطفيون، خياليون، وتستمر في عقد المقارنات بين الألمان الشماليين والجنوبيين الذين اختلطوا بالألبيين، وأثر مناخ جنوب إفريقيا في أخلاق سكانها وطباعهم ومجهودهم الذهني والجسمي، وهذه كتابات بعيدة عن الروح العلمية الموضوعية.

والملاحظ من خلال تعرضنا إلى الحتمية البيئية، نجد أن القديمة منها بدءًا بدراسات الإغريق وابن خلدون وموتيسكييه هي حتمية جغرافية تعتمد أساسا على أثر التضاريس والمناخ في طبائع البشر، أما الحتمية الحديثة بداية من نظرية داروين وسبنسر فكانت حتمية بيولوجية اعتمدت على الفلسفة التطورية المادية ومبدأ الانتقاء والبقاء للأصلح، إضافة إلى الحتمية الجغرافية اختص بها علماء الجغرافيا البشرية أمثال راتزل وديمولان وسمبل خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وخلاصة القول إن أصحاب الحتمية البيئية سواء الجغرافية أو البيولوجية، قد غالوا غلوّا شديدا في نظريتهم، وأخضعوا الإنسان جسما وعقلا وروحا لمؤثرات البيئة الطبيعية، وعالجوا هذه المؤثرات معالجة عامة وكلية، ومثل هذه الكتابات تهيئ عقولنا لتقبل القواعد العامة المعقولة،وتلوح لنا بسراب من القوانين المحددة التي لا تقوى أمام النقد طويلا، إنها تحاول أن تسلم عقولنا إلى سبات عميق، وكأن الإنسان آلة مسخرة في يد لا ترحم، تسيرها كيف ما شاءت، وعليه ومن هنا بدأت بوادر ظهور كتابات ورأى وتفسيرات لمفكرين يبينون زيف وخطأ المدرسة الحتمية البيئية، والتي لاقت فيما بعد نقدا كبيرا من طرف العلماء الذين شكلوا اتجاها بيئيا مناقضا لهذه المدرسة سميت بالمدرسة الإمكانية أو الاختيارية. (غلاب، 1997، ص ص . 26-28)

III-2-2- المدرسة الإمكانية أو الاختيارية (POSSIBILISM):

في الوقت نفسه الذي نشر فيه راتزل كتاب الجغرافيا البشرية، كانت الحولية الاجتماعية تنشر مقالات متتابعة للأستاذ دوركايم، يضع فيها أسس علم المورفولوجيا الاجتماعية، الذي يبحث في الأسس المادية لتكوين المجتمعات، والذي يدرس أثر الظروف الطبيعية في المجتمعات ولا سيما البدائية منها، وكانت حجة مدرسة دوركايم الاجتماعية أن علم الاجتماع هو الجدير بدراسة المجتمعات البشرية وليست الجغرافيا، وأن الجغرافيا الاجتماعية علم طموح، تحاول أن تفسر تكوين المجتمعات البشرية كلها من أبسطها إلى أشدها تعقيدا، وأن المرء إذا استمع إلى الجغرافيين لخُيِّل إليه أن جميع العلوم الاجتماعية طوع أمرهم، بينما الحقيقة في رأي هذه المدرسة ليست كذلك فالمجتمعات لا توزع توزيعا مكانيا فحسب، وأن الجغرافيين يرتكبون خطأ فادحا بإهمال علم الاجتماع بنظرياته وطرق بحثه، ويضربون لذلك مثلا من نتائج دراسات علماء الأنثروبولوجيا الألمان والانجليز، فهناك جماعات بدائية لا يربط بعضها بالبعض الآخر أي رباط جغرافي بالمعنى المفهوم، بل إنها أكثر ارتباطا بالممارسات المتصلة بعقائدهم والبعيدة كل البعد عن علاقات الجغرافيا المكانية.

فقبائل الآرونتا التي تسكن وسط أستراليا تخضع لنظامين متباينين، فهي مقسمة جغرافيا مكانيا، لكل قبيلة وطنها المعروف، كما أنها تتداخل وتقسم تقسيما طوطميا، بحيث لا يمكن تمييز الجماعات الطوطمية بعضها عن البعض الآخر جغرافيا، وفوق ذلك فالتقسيم الطوطمي أهم لدى الآرونتا من التقسيم الجغرافي.

غير أن المجتمعات البشرية تمر باستمرار من الحالة الطوطمية غير الإقليمية، إلى الحالة الإقليمية، فعند الهنود الحُمر في أريزونا ونيومكسيكو يتحد التقسيم الجغرافي والتقسيم

الطوطمي، بل إن بعض قبائل الآرونتا بالقرب من خليج كاربانتاريا، تنقسم إلى أقسام جغرافية طوطمية في الوقت نفسه.

وإن كان دوركايم قد لفت الأنظار إلى ضرورة دراسة المجتمعات البشرية على أساس اجتماعي، فإنه مما لا ريب فيه أنه لا يمكن فهم المجتمعات البشرية دون الأساس الجغرافي الذي تعيش عليه. إن علم المورفولوجيا الاجتماعية يوجه اهتمامه إلى المجتمع من حيث تكوينه، عدد سكانه وعلاقاتهم بالبيئة، ولكنه يهتم أولا بالمجتمع ويكون منهج دراسته اجتماعيا، أما الجغرافيا البشرية أو الاجتماعية فهي تهتم أولا بالمكان أي البيئة وعلاقة الإنسان أو المجتمع بهذه البيئة.

إلى جانب المورفولوجيا الاجتماعية، نشأت في هذا الوقت أيضا مدرسة جغرافية جديدة في فرنسا، لا تسلم بحتمية البيئة، ولا بطغيانها القاسي على الإنسان والمجتمع، ولكنها تعترف بالحرية الإنسانية، وتعطي للظروف البشرية والاجتماعية أهميتها في الاستجابة للظروف البيئية، وتعرف هذه المدرسة بالمدرسة الإمكانية.

مؤسس هذه المدرسة هو فيدال دي لا بلاش (Paul vidal de la blache) الذي وجه اهتمامه إلى الجغرافيا، بعد ما أعد نفسه ليكون مؤرخا عام 1927. وقد بدأ بدراسة آثار همبولدت ورترو راتزل وهم رواد جغرافيون ذوو نزعة حتمية، ثم بدأ في إصدار مجموعات حوليات جغرافية منذ عام 1891م، وأشرف على تكوين جيل من الجغرافيين الفرنسيين في مدرسة المعلمين العليا ثم جامعة السوربون.

وتمتاز المدرسة الفرنسية بمساهمة ملحوظة في علم الجغرافيا الحديث، وذلك بالقيام بدراسة مفصلة لأقاليم صغيرة محدودة، مثل 'سهل بيكارد' لألبرت ديمانجون، و'الفلاندر' لراؤول بلانشارد، و'بريتانيا السفلى' لكاميل فالوا إلى آخر هذه الدراسات الإقليمية، وتمتاز هذه الدراسات بأنها كانت محاولات لاستقصاء مميزات جزء أو إقليم جغرافي معين، كما أنها جميعا قد خلت من الأسلوب الخطابي والإلهام الذي ظل عالقا بكتابات ديمولان وراتزل وسمبل، بل حلت محلها الدقة العلمية والأسلوب الحذر الناقد واستخدام نتائج العلوم الطبيعية والابتعاد عن التعليقات السريعة أو التورط في آراء عامة وشاملة عن المناخ والأرض والإنسان، لقد اقتنعوا بالمثابرة في التحليل والعمل المتواصل، فتأسس علم جديد يبحث في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، في الماضي والحاضر، وأشرف فيدال دي لا بلاش بنفسه في وضع خطة الجغرافيا العالمية، التي ظلت تصدر بعد أن مات منذ 1920 حتى 1948 في 23 مجلد ضخم، وتعد أشمل وأدق عمل من نوعه في أي لغة من اللغات.

إن الإنسان في نظر المدرسة الإمكانية عبارة عن عامل جغرافي لا أقل من ذلك، إنه يساهم في كل مكان بنصيب كبير في تعديل سطح الأرض وتغييره، والإنسان ليس مجرد مخلوق سلبي خاضع لمؤثرات البيئة، ولكنه قوة إيجابية فعالة في تهيئة البيئة لمطالبه أيضا، إنه لا يوجد قُطر لم تمتد إليه يد الإنسان بالتعديل والتغيير، ولا تكاد توجد بقعة أرض لم تحتل آثار نشاطه، إنه يَعمل في الأرض فردا وعضوا في جماعة، ولا يوجد مصدر من مصادر الطاقة لا يستطيع الإنسان أن يستغله طبقا لأرادته.

وقد أُسيء استعمال فكرة تأثير عوامل البيئة الطبيعية في محاولة تفسير صفات الشعوب وميولها الذهنية، فقد كان من السهل أن يرجع أي باحث تعذر عليه تفسيره إلى أثر تلك العوامل، ولا غرابة في أن تؤثر مظاهر البيئة الطبيعية في خيال الشاعر أو الفنان، ولكن الإنسان أيضا يحمل معه صفاته الذهنية التي اكتسبها في بيئته الأصلية، وينقلها مهاجرا من وطنه مع قبيلته أو بمفرده، كما أن الناس يختلف بعضهم عن بعض اختلافًا لا نهاية

لـه، من حيث الطباع والميول النفسي، ومن ثمة كانت البيئة الواحدة موطنا لعناصر شتى من السكان، ويختلف بعضهم عن بعض في الذوق والمزاج والطباع.

إن عناصر البيئة عديدة متنوعة وإمكانياتها لا حصر لها والإنسان هو الذي يختار من هذه العناصر ما يناسبه ويستغله كيف شاء حسب طاقته الذهنية ومقدرته العقلية ومهارته اليدوية والآلية، وإن قوى الابتكار والمنطق والتفكير يمتاز بها الإنسان أرفع من أن يكون حيوانا سلبيا خاضعا لظروف طبيعية قاهرة، فإلى الإنسان وحده يرجع أمر اختيار إحدى إمكانيات البيئة أو بعضها في وقت دون آخر، حسب ما أوتي من مهارة، وما وصل إليه من مستوى حضاري وثقافي، فليس النهر مثلا بمُجبِر الإنسان على استعماله في الملاحة أو الري، كما أن العقبات الطبيعية لا تمنع الإنسان التفكير في التغلب عليها، فأقام الجسور وشق الأنفاق الجبلية وأقام مشاريع الري وحوَّل السهوب إلى حقول قمح، وضبط مجاري الأنهار ونظم فيضاناتها واستنبت أنواعا جديدة من النباتات المفيدة له لتلائم أجواء قاسية ما كان لها أن تنمو فيها.

ليس هناك تحكم من جانب واحد، فلا البيئة تستأثر بالتأثير في الإنسان ولا الإنسان ينفرد بالتأثير فيها، بل إن هناك تبادل تأثير قطبين متقابلين هما البيئة والإنسان، والأمثلة على ذلك عديدة فمصر ليست هبة النيل فحسب كما قال المفكر هيرودوت، بل هي هبة النيل من جهة، ونتيجة مجهود سكان ضفاف النيل من جهة أخرى، أولئك الذين هذبوا مجراه وأقاموا جسوره، وبذلك أمنوا شر فيضاناته ونظموا دورته الزراعية، بل أبعد من ذلك إنهم نظموا توزيع مائة من القنوات، أضف إلى هذا أن المصري منذ عهد محمد علي قد حوّل الاقتصاد الزراعي التقليدي الذي يرجع إلى آلاف السنين من شتوية (قمح وبقول)، إلى زراعة صيفية تعتمد على الري وحده وعلى توزيعه بحساب موقوت مضبوط.

وإذا اتجهنا إلى الصين واليابان، نجد الأولى قد ظلت حتى وقت قريب من حياتها التقليدية القديمة كزُرّاع أرز، على الرغم من وجود ثروات كبيرة من الفحم تحت حقول الأرز التي تغمرها المياه، بينما اليابان اتجهت اتجاها أوربيا صناعيا منذ منتصف القرن التاسع عشر بالرغم من أنها تستورد الفحم من الخارج.

إن الأمثلة عديدة خلال فترات التاريخ، وكلها تشير إلى مبدأ واحد، وهو أن المجتمعات الإنسانية لأسباب عديدة كلها تاريخية إنسانية تختار إحدى إمكانيات البيئة أو بعضها في وقت ما، وتختار غيرها أو تضيف إليها في وقت آخر، فالبطاطا مثلا عماد الغذاء في أوربا وعماد الثروة الزراعية في إيرلندة لم تعرف إلا بعد اكتشاف العالم الجديد، وكذلك المطاط والتبغ والذرة الأمريكية بالرغم من أنها تحتل في البلاد التي تزرعها في الوقت الحاضر وفي الإنتاج العالمي وفي الحياة الصناعية والاقتصادية والاجتماعية مكانة مرموقة كلها كانت غير معروفة إلى أن تم اكتشاف أمريكا.

إنَّ مبدأ الاختيار لا يخضع إلا لمؤثرات اجتماعية يلخصها مبدأ انتشار الحضارة، فالإنسان اجتماعي لا يعيش منفردا ولا معنى لتجريده عن المجتمع ولا ينبغي لنا أن نتحدث عن الإنسان، بل أن نتحدث عن المجتمعات الإنسانية التي يؤثر بعضها في البعض الآخر بطريقة التقليد أو القهر والإجبار على اتباع أسلوب معين من الحياة، ولهذا تنتقل المؤثرات الحضارية التي تفتح آفاق الاختيار من عناصر البيئة، فانتشار الزراعة، أو انتشار استعمال المدن يدفع بالمجتمعات إلى اختيار إمكانيات الزراعة أو المعدن من بيئتها واستغلالها، وتعلم فن جديد في أي ناحية من نواحي الاستغلال الاقتصادي للبيئة يوجه الأنظار إلى البحث عن إمكانيات هذا الفن في البيئة.

كما أن هذا الاختيار يخضع للذوق الاجتماعي العام، الذي لا يكتسبه الفرد إلا من المجتمع فمثلا تحريم الخمر في الإسلام أبعد المسلمين عن استغلال الكروم في صناعة الخمور في

جزء كبير من حوض البحر المتوسط، وتحريم أكل الخنزير لم يشجع صناعة تربية هذا الحيوان في العالم الإسلامي، وتقديس البقر عند الهندوس، حرم الهند من استغلال مورد حيواني ضخم، واعتناق شطر كبير من القبائل المغولية للديانة البوذية، وانتشار الرهبنة البوذية بينهم، قلل من تكاثرهم، ومن ثمة قلل من خطر زحفهم وانقضاضهم على البلاد الزراعية المجاورة في وسط آسيا.

إن المجتمع يتدخل بما يفرضه من تقاليد ومعتقدات وأساليب حياة بين الإنسان والبيئة، وهذه جميعا تحول اختيار الإنسان لإمكانيات البيئة وتؤثر في هذا الاختيار، ولذلك فإن 'لوسيان فيفر' يرى أنه على الجغرافي أن يدرس العلاقة بين المجتمعات البشرية في فترات مختلفة، في مختلف الأقاليم في العالم، وبين ظروف البيئة الجغرافية بقدر ما يسعه توفر مادة البحث. وهكذا يصبح جغرافيا، اجتماعيا، إنسانيا وتاريخيا، وقد أفاض الأستاذ لوسيان فيفر في كتابه «المقدمة الجغرافية للتاريخ»، في شرح أسلوب البحث الجغرافي، مستقلا ومتميزا عن أسلوب البحث الاجتماعي، ولكنه كان يدرك الحقيقة إدراكا كاملا بحيث يجعله لا يبخس الفرد حقه من التقدير، وبحيث يقدر مجهوده ومثابرته، يفضل ما وهب من عقل وقوة تفكير، وبفضل ما أوتي من نشاط تلقائي وذكاء خلاق وقوة إرادة، ثم يبين أن هذا العقل هو الذي جعله حكما في قوة اختيار الإمكانيات التي يهتدي إليها، ويتأثر بمؤثرات اجتماعية عديدة خلال التاريخ، فلا بد إذن من دراسة التطور التاريخ لكي نفهم لماذا اختار إمكانيات معينة دون أخرى.

وينفي لوسيان فيفر أن تكون ثمة ضرورات في البيئة الجغرافية، بل إنه يرى أنه لا توجد سوى إمكانيات، والإنسان سيد الإمكانيات، وهو الحكم في اختيارها، غير أن هذه الإمكانيات مهما غالينا في تقدير حرية الإنسان، لا بد وأنها محدودة بحدود المناخ والغطاء النباتي وبحدود ما يشتمل عليه باطن الأرض من ثروات، وإذا تركنا الثروات المعدنية جانبا، فإننا نجد أن العامل الهام الذي يحدد إمكانيات البيئة هو المناخ، وما يترتب عنه من حياة نباتية، فالإنسان لن يستطيع أن يزرع المطاط في المنطقة القطبية، أو يزرع الكروم في شمال أوربا، كما أن الصحراء ستظل صحراء ولن تقوم بها زراعة إلا حول العيون والآبار أو حيث يتوفر ماء الري، وسيظل طول فصل الإنبات هو الذي يحدد نطاق القمح في كندا، وستظل مشكلة الماء تواجه مراعي ماري ودارلنج في استراليا هذه دون شك ظروف طبيعية قاهرة، تحدد الإطار العام الذي يتحرك الإنسان داخله في حرية، وتحدد مجال الإمكانيات التي يختار منها الإنسان حسب مقدراته ومطالبه.

هذه المسألة الأخيرة هي التي تكون أساس القدرية أو الحتمية الحديثة، التي يمثلها في أمريكا الأستاذ 'جريفث تايلور' وإن كان أساتذة الجغرافيا الاجتماعية في كل مكان أمثال: 'روكسبي' و'فلير' في انجلترا، 'إيزاياه بومان' و'كارل ساور' في أمريكا قد أيدوا بقوة المدرسة الاختيارية، والواقع أن البيئيين الآن قد انتهوا في هذه المسألة إلى سبيل وسط، إنهم يسلمون بحرية الإنسان في اختيار إمكانيات البيئة، ويسلمون أيضا بأن هذه الإمكانيات محدودة بظروف البيئة الجغرافية، فكأنها تنطوي على إمكانيات عديدة في حدود معينة، لا يفهم منها إلا حدود المناخ والنبات، إذ أن حدود الموارد الطبيعية الأخرى لم تكن من الأشياء البديهية بالنسبة للإنسان في أوائل مراحل حضارته.

إن الحدود التي تضعها الطبيعة على إمكانيات المكان، ومجال اختياره، تختلف من مكان إلى مكان على سطح الأرض، ومن فترة تاريخية إلى أخرى، ففي بعض الأقاليم مثل الصحاري الحارة والباردة،نجد أن مجال اختيار الإنسان ضيق أشد الضيق، بينما في الأقاليم الدافئة والمعتدلة، وفي فترات تقدم العلم والصناعة، نجد أن الإمكانيات أكثر عدد ووفرة، ومهما اكتسب الإنسان من خبرات ومهارات فهو لن يستطيع أن يحرر نفسه تماما من هيمنة الطبيعة.

إن المجتمعات لتسلك إزاء قوى الطبيعة، كما لو كان بينهما عقد اتفاق، على الإنسان أن يفهم إمكانيات البيئة، وأن يتلاءم معها أو يجعل ظروفها تلائم رغباته، وينبغي أن تكون عملية الملاءمة وتكييف وسائله مع مقتضيات ظروف البيئة في المكان مضبوطة ضبطا محكما في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، ولا يتأتى ذلك إلا بإتباع الطرق العلمية الصحيحة في البحث عن إمكانيات البيئة، ويجب أن تبتعد هذه الأبحاث العلمية عن الطموح والمغالاة، وإلا ضاعت جهود الإنسان كلها بضربة واحدة من ضربات الطبيعة.

المدرسة الإمكانية لا تنكر أثر الظروف الطبيعية في الإنسان، ولكنها في الوقت نفسه ترفض أن تكون العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة حتمية، بحيث إذا توفرت ظروف طبيعية معها، أنتجت تأثيرا معينا في الإنسان، بل إن هذه المدرسة تؤكد حرية اختيار الإنسان من إمكانيات عديدة من الممكن أن يختار منها ما يشاء، وتؤكد استجابة الإنسان لظروف البيئة وليس خضوعه لها، وأثر الظروف الإنسانية أي الثقافة بصفة عامة (الطباع والعادات والتقاليد والتاريخ ودرجة التقدم الحضاري والمهارات والقدرات العقلية والآلية ...) في توجيه هذا الاختيار.(عبد المقصود، 1981، ص ص. 11-12)

III-3- الاتجاهات النظرية في علم اجتماع البيئة:

إن القرن العشرين كان حافلا بالاهتمام بقضايا البيئة، ومحاولة تفسير تلك العلاقة بين الإنسان والبيئة التي أرَّقت العلماء في شتى مجالات العلوم، خاصة في علم الاجتماع، حيث إنه وبحلول القرن العشرين وبالضبط في العشرينيات منه إلى غاية الستينيات لاقى اعتبار الإيكولوجيا فرعا من فروع علم الاجتماع قبولا واسعا لدى عدد كبير من علماء الاجتماع، وقد برز من خلال إنشاء قسم للإيكولوجيا البشرية يتبع المنظمة الأمريكية لعلم الاجتماع، والذي سيطر على علم الاجتماع الحضري آنذاك، حيث قام روبرت بارك وزملاؤه في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية بدراسات حول الإيكولوجيا الحضرية، وكان بارك على معرفة جيدة بأعمال داروين وأتباعه من أصحاب النزعة الطبيعية، الأمر الذي جعله يعتمد على استبصاراتهم فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الأنواع النباتية والحيوانية، لقد كانت الايكولوجيا البيولوجية بصفة أساسية هي المصدر الذي استعار منه بارك المبادئ التي طبقها على السكان والمجتمعات البشرية، وقد لاحظ أن الايكولوجيا البشرية تختلف في عدة جوانب هامة عن ايكولوجيا النبات والحيوان، وذلك في أن البشر لا يعتمدون مباشرة على البيئة الطبيعية، ذلك لأنهم قد تحرروا عن طريق تقسيم العمل، وأن التكنولوجيا قد سمحت للبشر أن يعيدوا خلق بيئتهم وعالمهم عوضا أن يكونوا مكبلين به، إضافة إلى أن بناء المجتمعات البشرية أكثر من مجرد نتاج محكوم بالعوامل البيولوجية بل إنه محكوم بعوامل ثقافية، وعلى الأخص البنى المؤسسية المتأصلة في العادات والتقاليد، فالمجتمع الإنساني ينهض على مستويين بيولوجي وثقافي، ويعطي بارك أولوية لتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية بدلا من المحددات البيئية، وعليه فإن بارك يقلل من أهمية الحدود المفروضة من قبل الطبيعة لأنه بمقدور الإنسان أن يسيطر عليها. (صالح فيلالي، 2006، ص. 108)

لقد تم استخدام الايكولوجيا البشرية كمدخل أساسي من مداخل النظرية السوسيولوجية في كثير من المقالات وأوراق العمل التي عنيت بتحديد مجالات الدراسة في ميدان علم الاجتماع، أو تعيين نطاق النظرية السوسيولوجية ومداخلها المختلفة، وقد احتوى التراث السوسيولوجي المعاصر وقوائم مشروعات البحوث، على الايكولوجيا البشرية كمجال خصب من مجالات البحث المتاحة أمام دَارسِي علم الاجتماع.

ويؤكد أصحاب التصور السابق ضرورة أن يهتم الباحث السوسيوايكولوجي بدراسة العلاقات البشرية المتبادلة، كمحور ارتكاز في كل الدراسات الايكولوجية، فالايكولوجي في نظر

بارك يعنى بدراسة المجتمع المحلي وليس بدراسة الفرد في ذاته، كما أنه لا يهتم بعلاقة الإنسان بالأرض بقدر اهتمامه بعلاقته بغيره من بني جنسه، ولقد ترددت فكرة أن الايكولوجيا ترتكز على دراسة العلاقات البشرية المتبادلة، في أجزاء عديدة من جوانب التراث السوسيولوجي، ذلك أن محاولات وصف الايكولوجيا البشرية أنها دراسة للمجتمع المحلي كما هو الحال عند 'كيلا ليهان' و'هيللر'، أو على أنها بحث في المناطق الطبيعية كما ذهب 'ماكيرجي'، أو على أنها تحليل المفهوم الايكولوجي للوضع أو المكانة عند 'ماكينزي'، كانت كلها محاولات ضمنت التأكيد على العلاقات البشرية، سواء داخل التنظيم المعيشي وداخل الشبكة المعقدة للنظم الموزعة توزيعا مكانيا، كما أن تأكيد بعض الباحثين على مفاهيم المنافسة، والتفاعل الايكولوجي، والتفاعل، كمفاهيم أساسية في الدراسة الايكولوجية، يحمل بين طياته تأكيدا، واضحا وصريحا على العلاقات البشرية المتبادلة، هذا إلى جانب أن عددا من علماء الاجتماع قد أعلن صراحة أن الايكولوجيا البشرية تعنى في المقام الأول بدراسة أشكال العلاقات الزمانية والمكانية التي تنجم عن تأثيرات البيئة، والكائنات والنظم الإنسانية التي ترتبط فيما بينها ارتباطا متبادلا، وبتأثير البيئة على التجمعات الإنسانية ونتيجة لما تقدم يذهب البعض إلى حد القول بأنه إذا كان علم الاجتماع هو في الأساس دراسة لعمليات التفاعل الأساسية لأشكال العلاقات الإنسانية المتبادلة، وإذا كانت الايكولوجيا البشرية تعنى بدراسة هذا النوع من العلاقات والعمليات، فإنه من المنطقي اعتبارها فرعا متخصصا داخل الإطار الأوسع لعلم الاجتماع. (السيد عبد العاطي، 1984، ص ص . 109-110)

يبدو أن الصراع بين المدرستين الحتمية والإمكانية سيظل صراعا أبديا مقرونا بديمومة علم الجغرافيا البشرية والايكولوجيا البشرية وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، باعتبار أن هذه العلوم هي التي تبنت قضايا البيئة محاولة تفسير العلاقة الموجودة بين الإنسان والبيئة، وذلك بداية بعلم الجغرافيا ثم ظهور علم الايكولوجيا البشرية التي خاض فيها علماء الاجتماع خاصة الجديدة منها والذي يعد روبرت بارك هو مؤسسها حديثا كما سبق الذكر، وبحلول العقد الثاني وتزامنا مع ظهور الايكولوجيا البشرية الجديدة على يد بارك، دخل علماء الاجتماع بقوة لدَحض مبدأ "دعه يعمل" التطوري والتأكيد من جهة أخرى على التخطيط والإصلاح الاجتماعي والتحسيس، وذلك لتحسين ظروف المجتمع، رافضين بذلك النظريات الاجتماعية القائلة بالحتمية الجغرافية والبيولوجية، خاصة بعد تأكيدهم على أن علم النفس هو الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع بدلا من الفيزياء والبيولوجيا، ويتجلى ذلك من خلال تأكيد التفاعلين الرمزيين على أن جوهر الموقف يكمن كلية في المعنى الذي يضفيه عليه الفاعلون الاجتماعيون المشاركون فيه، وعلى رأسهم 'ميد' و'كولي' و'توماس'، أي أن هذا المعنى يتشكل اجتماعيا، وأن الخصائص البيئية الفيزيقية تحضى بقيمة ومعنى فقط إذا ما اعتبرها الفاعلون الاجتماعيون ذات أهمية.

في سنة 1989 قام فرانز بواس مؤسس الانثروبولوجيا الثقافية الأمريكية بالرد على التيار المتصاعد الداعي إلى النزعة العنصرية لتحسين النسل، والمظاهر الأخرى للحتمية البيولوجية الحديثة رافضا بذلك كل النظريات المنوِّهة بهذا الاتجاه، ومؤكدا من جهة أخرى على الدور السياسي للثقافة في التطور الفردي والاجتماعي على حد سواء، وقد أيده في ذلك أنثروبولوجيون آخرون من أشهرهم 'مارغريت ميد' و'روث باندیکت'، وأكد جميعهم على أن الثقافة تعتبر محورا أساسيا وذات تأثير ملموس على كافة جوانب المجتمع الإنساني، وتؤكد كل هذه الآراء من طرف الأنثروبولوجيين على زيف الحتمية البيئية، وإرساء قواعد المدرسة الإمكانية من خلال تأييدهم لعلماء الاجتماع وفي حدود اختصاصهم من جانب الثقافة بصفة خاصة.

ولعل المقالات التي ظهرت في السبعينيات من القرن الماضي لأكبر دليل على دخول علماء الاجتماع في معترك الصراع بين المدرسة الحتمية والإمكانية، مؤكدين بذلك حسب العالمين المختصين في علم الاجتماع الريفي 'ويليام كاتون' و'رايلي دانلاب'، أن أغلبية علماء الاجتماع يشتركون مع بعضهم البعض في تصور أساسي للمجتمع الإنساني يخلو من المبادئ والحدود الايكولوجية التي تحكم الكائنات الأخرى في علاقتها بالبيئة، وذلك من خلال تأييدهم للإمكانية اللامتناهية للتقدم والنمو من جهة والسيطرة على البيئة من جهة أخرى عن طريق العلم والتكنولوجيا.

وخلال عقدين من الزمن (1955-1975) سيطرت نظرية التحديث التي تؤكد على زيف الحتمية الجغرافية والبيولوجية مفسحة المجال المطلق أمام المدرسة الإمكانية، حيث يرى أصحاب هذه النظرية أن أسباب فشل المجتمعات النامية راجع إلى سقوطهم في قيود الماضي وإصابتهم بقصور فكري، فأصبحوا غير قادرين على تجاوز الطرق التقليدية في التفكير، وبالمقابل فالمجتمعات المتطورة وصلت إلى هذا النجاح الباهر عن طريق تحررها الفكري، الذي قادها إلى الوصول إلى ذروة التقدم العلمي والتكنولوجي، الذي أوصلها إلى هذا المقام الرفيع من الرقي الحضاري المبني على اقتصاد حر وقوي دون قيود، فأهمل علماء الاجتماع بالمقابل البيئة الطبيعية كلية واعتبروها آخر شيء يمكن أن يوضع على طاولات المناقشة، لأنهم وبكل بساطة يستطيعون التغلب عليها بقوة الإرادة والعزيمة والإبداع، وحتى الماركسيين رأوا أن الاهتمام بقضايا البيئة ما هو إلا صرف نظر عن الصراع الطبقي، وذهبوا في تحليلاتهم أكثر إلى التركيز على العلاقات الطبقية وعلاقات القوة الكامنة وراء هذه الأزمة، عوضا عن العوامل المرتبطة مباشرة بالبيئة ذاتها، وأصبحت النظرية الماركسية مهيمنة على بعض المجالات المهمة للنظريات الاجتماعية الأوروبية فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أدى ذلك إلى المزيد من استبعاد قضايا البيئة من مجال علم الاجتماع.

بدأ علماء الاجتماع الاهتمام بقضايا البيئة بطريقة معمقة ومكثفة، بحلول السبعينيات من القرن الماضي، عن طريق جمعيات علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، مُنَوِّهِين بذلك إلى ظهور علم الاجتماع البيئي، وبالمقابل في أوربا قامت حركة الخضر السياسية بمعالجة عدة موضوعات تتعلق بالنزعة البيئية، وقد كانت هولندا السباقة في أوربا بتهيئة الأرضية لظهور علم اجتماع البيئة، وذلك بالتراكم المبكر لتراث علمي في هذا الاختصاص، دَارَ أساسا حول القضايا المتعلقة بالزراعة وتقويم المخاطر البيئية، أما في بريطانيا فقد بدأ اهتمام السوسيولوجيين بقضايا البيئة فقط عندما أنشأ مجلس البحوث الاجتماعية والاقتصادية برنامج التغيير البيئي العالمي، الذي أعطى دفعا قويا للاهتمام بالبيئة من منظور سوسيولوجي، حيث نظم هذا المجلس عددا من المؤتمرات وجماعات البحث وحلقات المناقشة.

في عام 1979 أشار كل من 'كاتون' و'دانلاب' في مقالٍ منشور إلى أن علم اجتماع البيئة هو في جوهره يمثل الايكولوجيا البشرية الجديدة، التي ترتكز أساسا على التفاعل بين الفئة الفيزيقية والتنظيم الاجتماعي والسلوك، وفي عام 1987 أورد باتل خمسة مجالات رئيسية في علم اجتماع البيئة: الايكولوجيا البشرية الجديدة –الاتجاهات والقيم والسلوكات البيئية- الحركات البيئية- المخاطر التكنولوجية وتقويم المخاطر- الاقتصاد السياسي للبيئة والسياسة البيئية، وفي عام 1992 كان هناك اتحاد بين مجموعة البيئة والمجتمع مع مجموعة الايكولوجيا الاجتماعية لتشكيل اللجنة البحثية الرابعة والعشرين في إطار الجمعية الدولية العلمية لعلم الاجتماع حول البيئة والمجتمع، والتي بلغ عدد أعضائها آنذاك ما يزيد عن 200 عضو منهم العديد من المختصين في علم اجتماع البيئة، وفي عام 1993 انعقد المؤتمر الدولي المئوي للمعهد الدولي لعلم الاجتماع بباريس وكرّس عدة جلسات لموضوع المخاطر البيئية والكوارث، أما في عام 1994 بمدينة

بيلفيلد الألمانية وفي المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع، نظمت اللجنة السابعة عشر جلسة خاصة نوقشت فيها 114 ورقة بحثية تدور حول موضوعات مرتبطة بالبيئة والمجتمع.(JOHN. A-HANNIGAN, 1995, P.13)

الخلاصة:

إن علاقة الإنسان بالبيئة علاقة أبدية مادامت الحياة على وجه الأرض، ولعل الإنسان منذ فجر التاريخ حاول مرارا تفسير هذه العلاقة معتقدا أنها تفضي أولا وأخيرا إلى صراع أبدي قائم على التحدي، يحاول كل طرف التغلب على الآخر، وهذا هو الطرح الأول الذي جاءت به المدرسة الحتمية، والتي أقرت بقوة الطبيعة وهيمنتها على الإنسان، وأن هذا الأخير ليس أمامه أي خيار سوى الرضوخ إلى الطبيعة وقوتها، وقد سيطرت هذه الفلسفة على الفكر الإنساني بامتداد العصور وتعاقبها منذ القديم بدءا بالإغريق إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أين ظهرت المدرسة الإمكانية التي تعتمد في فلسفتها على إعطاء الإنسان الحرية المطلقة في اختيار إمكانيات الطبيعة، وقد بدأت بوادر ظهور هذه المدرسة منذ إقرار إيميل دوركايم على ضرورة دراسة المجتمعات البشرية على أسس اجتماعية وليست جغرافية، ثم تطورت الفكرة إلى أن جاء 'دي لا بلاش' مؤسس المدرسة الإمكانية ووضع طرحه الذي سبق ذكره، واحتدم الصراع بين المدرستين أو بالأحرى بين الفلسفتين، وللإشارة فإن طرح المدرسة الإمكانية كان أكثر اعتدالا فقد تمكن علماء هذه المدرسة من التوفيق بين الإنسان والبيئة، واستطاعوا تغيير نظرة الصراع بينهما، إلى علاقة تكامل وارتباط تأثيري متبادل بينهما، وقد اتضحت الصورة أكثر حينما دخل علماء الاجتماع في هذا السجال خاصة في القرن العشرين، حيث استطاعوا إضفاء نوع من المرونة في طرحِهم السوسيولوجي لتفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة، وقد زاد اهتمام علماء الاجتماع أكثر بقضايا البيئة بالموازاة مع تنامي المشكلات البيئية التي تفاقمت خاصة في العقود الأخيرة، من خلال الرجوع إلى أسباب الدمار البيئي إضافة إلى تنامي الوعي البيئي والحركات البيئية وهذا على المستوى العالمي.

الفصل الرابع

البعد الإسلامي لنشر الثقافة البيئية من خلال المسجد

تمهيد

IV-1- لغة البيئة في التراث العربي والإسلامي

IV-2- التصور الثقافي لحقيقة البيئة

IV -3- المسجد

IV -4- المسجد والثقافة البيئية

IV -5-نشاط نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة بخصوص قضايا البيئة

الخلاصة

تمهيد :

تعد التنشئة الاجتماعية الإسلامية من أكثر أنواع التنشئات قوة وتأثيرا على سلوك المنشأ وأنشطهم ديمومة واستمرارا عبر مراحله العمرية، لأنها لا تتوقف عند واحدة منها ولا تقتصر على مكان واحد (منزل-مسجد-مدرسة)، بل تشمل جميع المراحل العمرية ومعظم الأماكن التي ينشأ فيها المنشأ، في ذات الوقت هي من أقوى الضوابط الاجتماعية للسلوك الإنساني: روحية المشبع ووجدانية المنبت وإنسانية المنال.

ولعل المسجد هو أهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، لما له من مكانة مرموقة لدى الشعوب المسلمة، حيث إنه بيت الله في أرضه ومكان لإعلان العبودية له ومقر لعباده المتقين، فيه يتربى المؤمنون، ومن محرابه يتزودون بالإيمان، ومن فوق منبره يُذكّرون ويُنصحون ويُدعوْن إلى الخير، وفي ساحته يتلقون العلم ومعرفة الحلال والحرام، وبين جدرانه يحسون بنعمة الأخوة والألفة والوئام والتكافل الاجتماعي، فَتَزْكُوا نفوسهم، وتطيب قلوبهم وتُملئ رحمة وحنانا على بعضهم وعطفا على فقيرهم ومعوزهم، وتتفاعل أشخاصهم فتنطلق متعاونَةً فيما بينها على البر والتقوى في كل أمر من شأنه الصلاح، ويحقق للمجتمع الفلاح وللأمة النفع والخير والنجاح. ففي المسجد يتدارس المؤمنون شؤون حياتهم، ومنها ينطلقون لجهاد عدوهم، ومن ساحته ينتشرون لعمارة الدنيا على مقتضى أمر ربهم، فيجمعون أمور الدنيا ومتطلباتها، والآخرة وما يقرب إلى نعيمها، وهكذا أصبحت المساجد بهذه المعاني الراقية ركيزة اجتماع ومنهل ثقافة، ومكان عبادة ومقر قيادة وإدارة وسياسة.

ومنه يمكننا أن نعتبر المسجد أهم مؤسسة تنشئة اجتماعية في المجتمعات الإسلامية، يمكنها أن تقوم بدور نشر الثقافة البيئية، خاصة وأن قضية البيئة قد عالجها الإسلام ببعديها الروحي والمادي، في حين أن كل المعالجات لقضية البيئة لم تعتمد إلا على البعد المادي، وهذا ما جعل الحلول والبرامج المسطرة في هذا المجال لا تحقق أهدافها، وذلك لإهمالها للجانب الثقافي للبيئة، وعليه فإننا سنتعرض في هذا الفصل إلى المسجد كمؤسسة اجتماعية إسلامية ودوره في نشر الثقافة البيئية.

IV-1- لغة البيئة في التراث العربي الإسلامي :

IV-1-1- علماء العرب والمسلمين والبيئة الطبيعة:

اهتم علماء العرب والمسلمين بموضوع البيئة، وبحثوا مجالاتها وعالجوا مشكلاتها، وأوردوا آرائهم بتفصيل وخصوصية تستحق الدراسة والتحليل، وكان لهم دور لا يمكن تجاهله في وضع أسس العلوم البيئية.

فلقد درس الأصمعي (830 م) بعض أصناف الحيوانات البرية والبحرية، الأليفة والمتوحشة، وكان جل تركيزه على دراسة بيولوجية الخيل والإبل بشكل واسع، كما درس الجراد فتحدث عن أطواره وسلوكه، ومن مؤلفاته كتاب «خلق الفرس»، كتاب «الخيل»، كتاب «الإبل»، كتاب «الوحوش»، كتاب «النبات والشجر».

و يعد أبو عثمان (الجاحظ) (869 م) أول من تحدث عن أسس المكافحة الحيوية، حيث ذكر في كتابه «الحيوان»: "فعلمت أن الصواب في جمع الذباب مع البعوض، فإن الذباب يفنيه"، وبهذا تحدث عن مشاهدات بيئية صادقة للحيوانات، وعن تصرف سلوك ونمو الحيوانات، وعن علاقات الحيوانات فيما بينها، وفي كتابه ملاحظات قيمة عن التطور وأثر البيئة في غرائز الحيوانات، وكان أول من أخضع الحيوان للتجارب، إذ كان يجعلها في زجاجة ليراقب سلوكها أو يشرحها أو يجرب أثرا لخمر فيها.

و لكلامه مفهوم بيئي مهم في السيطرة على الكائنات الحية الضارة بدلا من استعمال المبيدات، وهو ما تقول به البحوث الحديثة، إضافة إلى ذلك كان الجاحظ يلاحق الحيوان في ولادته، فيتحدث عن نشأته وموطنه وكيفية تربيته لصغاره وإطعامهم، كما حاول أن يستوضح أثر الحر والبرد والشمس والظل في الحيوانات المختلفة، وعن علاقة ذلك أيضا بالحيوان، وهذا ما يقوم به علماء البيئة الآن. (محاسنة، 1994، ص.13)

و كان " المجريطي " (1008 م) أول من وضع كتابا أبرز في عنوانه كلمة البيئة، وذلك من خلال كتابه في «الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية».

و لعله أول من تحدث عما يعرف اليوم بمراتب الهيمنة لدى الحيوانات، حيث أشار إلى أن للحيوانات رئيسا ومرؤوسا فيقول: « إن الحيوانات فيها التفاضل، موجود كوجوده في بني آدم، وفيها رؤساء وقادة في كل جنس من أجناسها ».

و تناول "ابن مسكويه" (1030 م) في كتابه «الفوز الأصغر» تقسيم الكائنات الحية إلى مراتب من ناحية قبول حركة النفس، أي حركة القوة، وتكلم في كتابه «تهذيب الأخلاق» عن تسلسل الكائنات الحية من ناحية قوة الفهم والإدراك، وتحدث عن الحيوانات والنباتات وارتباطها ببيئتها وتكيفها نحو ما يحيط بها من ظروف بيئية.

و في موسوعة الشفاء «كتاب الحيوان» تحدث "ابن سينا" (1036 م) عن الحيوان والنبات، ألمّ ببيئتها، وتحدث عن تصنيفها وتشريحها، ودرس الحيوانات المائية والبرمائية، وعني بالحيوانات المائية بشكل كبير، وقسمها إلى لُجيّة وشطيّة، وقسم الشطيّة إلى طينية وصخرية، وكان أول من تحدث في علم البيئة القديمة «بيئة المتحجرات»، حيث استخدم الأحافير البحرية استخداما صحيحا، للدلالة على أن أجزاءً من الأرض كان يغمرها البحر في أقدم العصور، وتطرق إلى بيئة بعض النباتات الطبية، وركز على مواطن النبات من حيث نوعية التربة التي تنمو فيها مالحة كانت أم حُلوة.

و قد اهتم " أبو زكريا ابن العوام" الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي بدراسة الزراعة والنبات اهتماما بالغا، وتحدث عن اختيار الأراضي والأسمدة والمياه وتربية الماشية

وعلاجها، ودراسة تربة الأرض والوقوف على معدنها، وبيان منافعها للأرض والشجر وإنشاء البساتين.

كما كان ابن البيطار (1248 م) - وهو عالم أندلسي، وعلم من الإعلام في علم النبات-، قد درس النبات في منابته، والأرض التي تنتجه، والعوامل البيئية المختلفة التي تؤثر فيه، مؤسسا بذلك لما يقوم به علماء اليوم في تصنيف النبت، وكتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

و قد اهتم " زكريا ابن احمد القزويني " (1283 م) في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» بتأثير البيئة في الحيوانات، ثم تناول العلاقات الجيدة والعدائية بين الحيوانات أو ما يعرف بالتدخلات الحيوية الآن فيقول في حيوان الببر: "حيوان هندي أوفى من الأسد، بينه وبين الأسد معاداة، فإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر "، وعن البيئة الحيوانية يقول القزويني في كتابه «أثر البلاد وأخبار العباد»، في مجال الطيور: « والصقر والبازي والعقاب لا تفرخ إلا على رؤوس الجبال الشامخة، والنعامة والقطا لا يفرخان إلا في الفلوات، والبطوط وطيور الماء لا تفرخ إلا في شطوط الأنهار...»، وللقزويني دراسات بيئية أخرى. (دويدري، 2004، ص ص. 321-322)

يعد كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للعالم العربي "كمال الديني الدميري" (1405م) جامعا لأسماء حيوانات البر والبحر والجو (حوالي 900 نوع من الحيوانات)، وقد تطرق فيه إلى الكشف عن مكان كل حيوان في الشجرة الحيوانية، كما انه درس بيئة الحيوان وطباعه وغذائه، بطريقة علمية اعتمدت على المشاهدة والتجربة، ويخصص الدميري فصلا كاملا على النحل وفوائده، ويتحدث عن بيئة الأزهار التي يرعاها ويرشفها.

و من المؤلم حقا أن علم المشاركة والتكافل (Symbiotic Biology) بين الأحياء ينسب إلى الفيلسوف الألماني " جيته" لأنه تعرض في مؤلفه (فاوست) لعلم التكافل بين نوعين مختلفين من الحيوانات، في حين أن الدميري أول من تكلم عن علم المشاركة أو التكافل بين الأحياء، فقد جاء في كتابه «حياة الحيوان الكبرى» عند الكلام عن الضب فقال: « إن بينه وبين العقارب مودة، لذلك يؤويها في جحره لتلسع المفترس إذا ادخل يده ليأخذه »، والثابت أن العقارب تختفي في جحور الضب. (حسن، 1997، ص. 19)

IV-1-2- علماء العرب والمسلمين والبيئة البشرية:

لقد أوضح العلماء المسلمون والعرب التأثير المتبادل بين الظاهرات البيئية مثال: "صاعد الأندلسي" (1070 م)، حيث أورد في كتابه «تأثير البيئة الطبيعية في الأمم»، وقدرة السكان على تحصيل المعرفة واكتساب العلم، ويربط بين التفوق العلمي والتقدم الفكري من جهة، وبين العوامل البيئية من جهة أخرى، ما يسمى في العصر الحديث بالبيئة الثقافية، ولقد أرجع سبب عدم اهتمام الأمم الموجودة في بلاد الشمال (الروس) بالعلوم في عصره إلى التأثيرات البيئية وأوضح تأثير البيئة المناخية في الإنسان، وأن سكان المناطق الشمالية عظمت أبدانهم بسبب الشحوم التي تراكمت فيها، وابيضت وجوههم، على النقيض من أهل السودان الذين اسودت أبدانهم.

كما ميز علماء المسلمين بين بيئتين: الحضارية والريفية، فالمدينة بمعناها الواسع تعني المقر الواسع، وقد سميت يثرب مدينة الرسول –صلى الله عليه وسلم –، ويقال تمدين أي: عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأساليب الحضارة.

و بين "ابن خلدون" (1406 م) أثر البيئة في معايش الناس وأنماط حياتهم ونفسياتهم، وكذلك " المقدسي "، وأورد ابن خلدون في مقدمته: « إن البناء واختطاط المنازل

إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة،... وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها، وأيضا فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص، فتحتاج إلى كثرة الأيدي وكثرة التعاون» (ابن خلدون، 1981، ص. 295)

IV-2-التصور الثقافي لحقيقة البيئة:

IV-2-1- الحقيقة الروحية للبيئة:

IV-2-1-1- البعد العقدي في البيئة:

البيئة باعتبارها جزءًا من الكون الأكبر ليست قائمة بذاتها، لا في وجودها ابتداءً، ولا في مسيرتها الوجدية بعد ذلك، إنما هي أثر معلول لوجود آخر يختلف عنها اختلافا كليا في كل شيء، وهو وجود غيبي أنشأها أول مرة، ثم هو يرعاها ويدبر أمرها طيلة وجودها بعد ذلك، قال تعالى: **(الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر)** (سورة يونس:3).

و إذا كان الوجود البيئي وجودا ظاهرا محسوسا، والوجود الغيبي خفيا غير محسوس، إلا أن هذا الوجود الغيبي له ظهور بيّن في البيئة المحسوسة نفسها، بل هو في كل عنصر من عناصرها وفي كل هيئة من هيئاتها، ولكنه ظهور غير محسوس وإنما هو مضمن فيها و هي أثر له في الخلق والتدبير، بحيث يتجلى ذلك الأثر فيها تجليا تصبح به شهادة على ذلك الوجود الغيبي، تصبح به هي ذاتها شهادة قائمة على ذلك الوجود ناطقة به.

و لما تكون البيئة شاهدة على الوجود الغيبي في كل مظاهرها، فان الناظر فيها ابتغاء معرفة حقيقتها سوف يقف في كل صغيرة وكبيرة منها على تلك الشهادة بالوجود الغيبي، وحينئذ فإنه لا مناص من أن يأخذ بعين الاعتبار في تقدير تلك الحقيقة عنصر الشهادة هذا لينتهي إلى أن هذه البيئة ليست حقيقتها منحصرة في ذاتها المادية، وإنما هي شاملة أيضا لمعنى الشهادة فيها على وجود آخر غيبي، فيكون إذن في حقيقة البيئة بعدان أساسيان: بعد مادي ظاهر يدرك بالحواس، وبعد روحي يتعلق بالمعتقد الغيبي ويدرك بقوى النفس، وهما بعدان متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر في تصور تلك الحقيقة، حتى إذا رأى الرأي عنصرا من عناصر البيئة أو التعامل معه بضرب من السلوك لا يره أو يتعامل معه إلا على أساس أنه كائن ذو بعدين مادي محسوس وروحي عقدي.

و قد جاء القرآن الكريم والحديث الشريف يبدآن القول ويعيدان في هذا البعد العقدي للبيئة، حتى إنه يكاد لا يرد فيهما ذكر لها في جملتها أو في تفاصيلها إلا كان المعنى العقدي حاضرا فيه بوجه أو بآخر من وجود الحضور، مما يبين أن العنصر أو الجانب العقدي في حقيقة البيئة كما تقررها التعاليم الإسلامية، هو جانب أساسي فيها مثل الجانب المادي، وليس مجرد معنًى عارضًا من معانيها، ونذكر في ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: **(إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون)** (سورة الجاثية: 3-5)، فهذه المشاهد البيئة إنما عرضت في كمّها وكيفها عرضا يجمع في تقرير حقيقتها بين ظاهرها المادي وبين بعدها العقدي المتمثل في شهادتها على وجود الله تعالى ووحدانيته، ويكاد يَطَّرِدُ هذا الأمر في كل ما ذكر من مشاهد البيئة في القرآن الكريم والحديث الشريف، وعلى كثرة المقامات في ذلك وتنوعها ترجع معاني الشهادة العقدية للبيئة إلى معنيين أساسيين: الشهادة بوجود الله وصفاته، والشهادة بوجود الحياة الأخرى. (النجار، 1999، ص ص.86-87)

IV-2-1-2- البعد الجمالي في البيئة:

إن حقيقة البيئة لا تنحصر فقط قي بعدها المادي المحسوس، ولا في بعدها العقدي متمثلا فيما يتضمن من الدلالة على الغيب، وإنما تتضمن أيضا بعدا جماليا كعنصر من عناصر حقيقتها الروحية، فقد حرص القرآن الكريم حرصا شديدا في عرضه لحقيقة البيئة بمختلف مكوناتها على أن يبرز العنصر الجمالي فيها، قاصدا إظهار ما كُوِّنت منه المادة البيئية في كمها وكفها من معنى الجمال، بحيث تكون صورتها الحاصلة في الذهن متضمنة لذلك المعنى في واقعها الموضوعي، كما هي متضمنة للمعنى المادي من ذرات وأشكال وأثقال، وكما هي متضمنة أيضا للمعنى الغيبي مثلما بيناه آنفا، فإن البيئة في هذا التصوير القرآني حقيقة مركبة من جملة عناصر يحتل الجمال مركزا أساسيا فيها.

و يلفت الانتباه في التقرير القرآني لعنصر الجمال في البيئة ثلاثة أمور أساسية، كان القرآن الكريم يحرص على إبرازها قرينة للصورة الجمالية البيئية، فيما يوحي بأن هذه الأمور سيكون لها الأثر البالغ في تعامل الإنسان مع البيئة تعاملا سلوكيا، وهو ما يبدو أنه كان الغرض القرآني الأساسي في إبراز هذا المعنى الجمالي في البيئة والتوجيه إليه، وهذه الأمور الثلاثة الملازمة لجمال البيئة في التصوير القرآني هي: الواقعية، المتعة الروحية، العبرة العقدية، قال تعالى: (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه)** (سورة فاطر: 27-28)، وقال: (**وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة)** (سورة النمل: 60)، وقال: (**ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيّناها للناظرين)** (سورة الحجر: 30).

IV-2-1-3- أثر البعد الروحي في السلوك البيئي:

تقدم القول سابقا إن التعامل السلوكي مع موضوع ما من المواضيع يكون محكوما إلى حد كبير بالتصور النظري لذلك الموضوع، وهذا الأمر يصدق من بين ما يصدق على التعامل السلوكي مع البيئة، فالتصور النظري لحقيقة البيئة في أبعادها المختلفة هو الموجه الأكبر للتصور السلوكي إزاءها، فكيفما يكون ذلك التصور للبيئة يكون السلوك العلمي فيها، إنْ بالتلطف معها على سبيل المثال والحفاظ عليها إذا كانت صورتها في الذهن تحمل معنى القربى، وإنْ بالغلظة معها والعبث فيها إذا كانت تلك الصورة تحمل معنى المغالبة والعداء.

و أي شيء من الأشياء التي يتصورها الإنسان حينما يكون تصوره لحقيقتها يتضمن جانبا روحيا، فإن سلوكه العملي إزاءه يكون موجها توجيها خاصا يختلف اختلافا كبيرا عن السلوك الناشئ عن تصور خالٍ من ذلك العنصر الروحي، وهو ما يبدو جليا على سبيل المثال في تلك المظاهر العملية من الاحترام والتكريم التي تعامل بها الأماكن التي تحمل ذكريات تاريخية أو دينية، والأشياء التي ترمز إلى معانٍ من الصداقة والمحبة، فإنها لو لم تكن سوى أماكن وأشياء عادية خالية من تلك الأبعاد الروحية من الذكرى والمحبة ما كانت تعامل سلوكيا إلا كما تعامل كل الأماكن والأشياء العادية المتمحضة للبعد المادي الصرف.

و بناءً على ذلك فإنه حينما تكون حقيقة البيئة تتضمن معنًى روحيا وراء معناها المادي على النحو الذي بيناه آنفا، فإنها لمّا تصبح تصورا في الأذهان على سبيل الالتزام الديني أو المذهبي، سيكون لها الأثر البالغ في توجيه السلوك العملي إزاءها بفعل ذلك الجانب الروحي، إذ سيكون ذلك السلوك مبنيا على اعتبارات تتجاوز الاعتبارات المادية القائمة على مجرد الانتفاع الحسي بمرافق البيئة لإشباع الشهوات والغرائز الطبيعية إلى اعتبارات أخرى

تقوم على التواصل بين الإنسان والبيئة، فيه فسحة للانتفاع الروحي بما يقتضيه ذلك من تعامل يتصف باللين واللطف والمودة والقربى وغيرها من المعاني التي يقتضيها التواصل الروحي ولا يكون فيها للتواصل المادي الصرف مكان.

و البعد الروحي لحقيقة البيئة كما بيناه، عنصرٌ من عناصر التصور الإسلامي للبيئة، متمثلا في الدلالة العقدية لمشاهد البيئة وفي معنى الجمال المتضمنة إياه سيكون له التأثير البالغ في مجمل السلوك البيئي لمن يحمله تصورا دينيا على نحو ما وضعناه، وهو أمر يمكن استنتاجه منطقيا من الملازمة بين الصورة النظرية للتصور العقدي في هذا الخصوص وبين مقتضياتها العملية في السلوك، وذلك بالإضافة إلى تبيين مصداقه من شهادة التاريخ في تجربة الحضارة الإسلامية الناشئة بعامل التصور العقدي الإسلامي الشامل الذي يعد جزءًا منه التصور البيئي ببعده الروحي، كما يمكن أيضا تأكيده استئناسا بالمقارنة بآثار سلوكية بيئية ناشئة من تصورات مخالفة في خصوص العنصر الروحي بعدا من أبعاد حقيقة البيئة.

و إذا كانت هذه الآثار السلوكية البيئية التي يقتضيها التصور الروحي للبيئة آثارٌ متعددة المظاهر، فإنه من أهم تلك المظاهر فيها يعود بالسبب المباشر أو غير المباشر إلى البعد العقدي والبعد الجمالي من حقيقة البيئة ما يتمثل في آثار أساسية ثلاثة تلتقي في معنى عام من السلوك الانتفاعي بالبيئة، ولكنه انتفاع ذو طبيعة روحية يخالف الانتفاع ذو الطبيعة المادية في أشكال التصرف وفي آثاره، وهذه المظاهر الثلاثة من الانتفاع هي: عبرة عقدية مما في حقيقة البيئة من البعد العقدي، ورشد معرفي بما في هذا البعد من بعد جمالي، ومتاع روحي. (النجار، 1999، ص ص. 109-110)

IV-2-2- الحقيقة المادية للبيئة:

IV-2-2-1- واقعية المادة البيئية:

قد يظهر في بادئ الأمر أن تناول قضية المادة البيئية بين الوجود الواقعي والوجود الذهني هو أمر غير ذي موضوع، إذ شهادة الحس المباشر تحسم الأمر في إثبات وجود واقعي على وجه اليقين كما تشهد به الحواس، إلا أن الواقع الفلسفي الثقافي للمذاهب والأديان يجري على خلاف ذلك، فقد كانت هذه القضية محل بحث، كما كانت محل اختلاف بين أقوال يثبت بعضها الوجود الواقعي للمادة البيئية، ولا يثبت لها بعض آخر إلا وجودا ذهنيا، وذلك على تدرج بين الطرفين تقترب فيه الأقوال من أحدهما بقدر ما تبتعد عن الآخر.

و التصور الإسلامي يقوم في خصوص هذا الأمر على إثبات وجود واقعي كامل للمادة البيئية كما تشهد بها الحواس، دون أن يكون أي شيء منها مجرد خيال ذهني أو مجرد صدى لخواطر النفس كما هو الأمر في بعض الثقافات الأخرى، وعلى أساس هذا التصور الواقعي تبنى المعرفة عموما والمعرفة البيئية خصوصا، وعلى أساسه أيضا يوجه السلوك في التعامل الواقعي مع البيئة المادية، وقد أصبح هذا المنحى في التصور الثقافي الإسلامي أمرا ثابتا غير خاضع للجدل كما سجل ذلك الإمام "نجم الدين عمر النسفي" (ت 537 هـ) في عبارته الشهيرة التي أصبحت تعد خلاصة للثقافة الإسلامية في هذا الشأن، تمييزا لها من غيرها من الثقافات، وردا على المخالف من الفلسفات إذ قال ردا على التصورات المخالفة: "حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق، خلافا للسفسطائية ". (النسفي، 1335 هـ، ص.20)

و هذا التصور الإسلامي الواقعي لمادة البيئة إنما هو مستمد من البيان القرآني لحقيقة العالم المادي عموما وحقيقة البيئة التي يعيش فيها الإنسان خصوصا، فهذا البيان لئن لم يكن

بيانا فلسفيا يبرهن على واقعية الوجود المادي على سبيل التنظير شأن المذاهب الفلسفية، إذ ذلك لا تقتضيه الطبيعة الإرشادية للقرآن الكريم، بما هو كتاب هداية الكتاب برهان فلسفي، إلا أن مجمل الهدي القرآني في تصويره لحقيقة الوجود المادي للبيئة يتأكد منه على وجه القطع أن ذلك الوجود في المقصد القرآني هو وجود واقعي صرف، سواء في بعده الكمي المتمثل في ذات المادة أو في بعده الكيفي المتمثل في أوضاعها وعلاقاتها.(النجار، 1999، ص ص. 125-126)

IV-2-2-2- القيمة المادية للبيئة:

إن التصور الإنساني للبيئة فيما تتصف به من السمو والرفعة أو الدونية والخسَّة، ومن الخيرية أو الشَّرِّ يكون له دون شك الأثر الكبير في التعامل السلوكي معها سلبا وإيجابا، ولذلك فإنه يكون من المهم أخذ هذا العنصر بعين الاعتبار في تحليل المشكلة البيئية والبحث عن أسبابها وطرق علاجها، ويكون بالتالي من المهم بيان هذه القضية في التصور الإسلامي للبيئة مقارنة بما في التصور الثقافي الغربي المسؤول كما بينا سابقا عن الأزمة الراهنة للبيئة.

إن المتأمل في نصوص القرآن والحديث، وكذلك المتأمل في التراث الذي أنتجته الحضارة الإسلامية، يتبين أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تتصف من بين ما تتصف برفعة القيمة وعلو الشأن سواء في ذات مادتها أو في تراتيبها وأنظمتها، وذلك مهما يكن من أن الإنسان نفسه أرفع منها قيمة وأعلى شأنا، باعتبار أنها بجميع مكوناتها إنما وجدت من أجله في سبيل تحقيق مهمة وجوده، ومجمل العناصر المكونة لهذه الصورة التي تتصف فيها البيئة برفعة المقام تعود إلى معنيين أساسيين هما: الخيرة الذاتية للبيئة، وكفاية البيئة في تحقيق سعادة الإنسان. (النجار، 1999، ص. 135)

IV-2-2-3- أثر الحقيقة المادية في السلوك البيئي:

كما تبين آنفا أن للتصور الروحي للبيئة أثرًا بالغ الأهمية في التصرف السلوكي إزاءها من وجهي السلب والإيجاب، فإنه يتبين أيضا أن للتصور المادي لحقيقتها أثرا مشابها في ذلك التصرف من الوجهين بحسب ما يكون عليه ذلك التصور، إذ التصرف البيئي كما أسلفنا يتحدد بقدر كبير بمجمل الحاصل في الذهن من الصورة الثقافية للبيئة بعنصريها الروحي والمادي.

و لما كان التصور الإسلامي لمادة البيئة قائما بيّنًا على أن هذه المادة لها وجود واقعي حقيقي، سواء باعتبارها كمّا عامّا، أو باعتبارها أفرادا وأنواعا، أو باعتبارها كيفيات من العلاقات والأنظمة، فإن التعامل معها سيكون تعاملا مع وجود واقعي كما يبدو عليه في تفاصيله وجزئياته لا مع شيء موهوم أو مع شيء موجود كليا أو جزئيا في صورة العقل فحسب كما هو الأمر في العديد من الثقافات الأخرى.

و هذا التعامل مع البيئة باعتبارها وجودا واقعيا يثمر أول ما يثمر اليقين بإمكان المعرفة لحقيقتها المادية في مادة تكوينها وفي سننها وقوانينها التي تجري عليها، وبذلك ينتفي الشك في إمكان هذه المعرفة والريب في البلوغ إليها على وجه اليقين، وقد قامت الثقافة الإسلامية بناءًا على هذا التصور على منزع وثوقي يقيني بمعرفة حقيقة الطبيعة في حين كان الشك منزعا فلسفيا قويا في الثقافة الغربية نبتت جذوره في الفلسفة اليونانية، وامتدت إلى الفلسفة الحديثة كما يتبين في الشك الديكارتي الذي أثر في مجمل الفلسفة الحديثة حتى انتهى الأمر إلى أن يفترض " ألبير كامو" ضمنيا شأن جميع أسلافه منذ " بيكون" و" غاليليو": " أن الحواس والعقل يتأثران بطريقة التأثير

نفسها في المادة، ويلزم من ذلك بالضرورة أننا لا نستطيع أن نعرف إلا إدراكاتنا لا طبيعة الأشياء بذاتها لأن جميع الأفكار مصوغة على طريقة البشر . . . إن الفلسفة المعاصرة تتصف بيأس فكري كلي، هو التخلي عن أمل في معرفة العالم " (أقروس وستانسيو، 1989، ص.106)

و في حين يفضي الوثوق بإمكان المعرفة للبيئة الطبيعية باعتبارها واقعا حقيقيا إلى علاقة تواؤم وتواصل بين العقل المدرك وبين الطبيعة التي يمكن إدراكها، وبالتالي إلى علاقة تواصل وانسجام بين الإنسان والبيئة، كما كان ذلك أثرا بيّنا في الحضارة الإسلامية، فإنه على العكس من ذلك يفضي الريب في إمكان معرفة حقيقة الطبيعة والشك في إمكان الوصول إليها إلى ضرب من الانفصال بين العقل والعالم لما يرسخ ذلك الشك من تناقض بينهما، وهو ما انتهى إلى انفصال بين الإنسان والبيئة ينتج عنه شعور بالغربة إزاءها، ثم يتخذ ذلك مظهر الصراع بين الطرفين مع ما ينتجه ذلك الصراع من آثار مدمرة في البيئة.

و قد كان هذا المعنى ملحظا ذكيا لـ "آل غور" حينما قال معقبا على الأثر البيئي لفلسفة ديكارت: " إن النهج الديكارتي إزاء قصة الإنسان يسمح لنا بالاعتقاد بأننا منفصلون عن كوكب الأرض، مخولون بأن ننظر إليها على أنها مجرد تجمع من الموارد الطبيعية غير الحية التي يمكننا استغلالها بالطريقة التي تروقنا، وقد أفضى بنا المفهوم المغلوط الأساسي إلى أزمتنا الراهنة ". (آل غور، 1994، ص.221)، وحينما قال أيضا معقب على ذات الموضوع: " منذ أعاد ديكارت دعائم الفكرة الأفلاطونية التي تفصل بين العقل والعالم، وأطلق الشرارة الأولى للثورة العلمية، فإن الحضارة الإنسانية أخذت تختبر نوعا من مبدأ "هايزنبرق" - وفحواه أن عملية ملاحظة الطبيعية في حد ذاتها يمكن أن تغير من طبيعة هذه الظواهر، وذلك ما يندرج في ضرب من التصورية التي ترى العقل أصل الوجود الطبيعي – ولكن على نطاق واسع جدا، إذ أن لجوء الشخص إلى عزل نفسه فكريا عن العالم لكي يتمكن من الملاحظة يؤدي في حد ذاته إلى تغيير العالم الذي تجري ملاحظته، لأنه ببساطة لم يعد الارتباط بينه وبين الشخص القائم بالملاحظة كما كان في السابق "، إنها إذن فلسفة ديكارت الشكية وتداعياتها فيما بعدها هي التي أحدثت الانفصال بين العقل والطبيعة، وكانت بالتالي من أسباب التصرف الحضاري المفضي إلى الأزمة الطبيعية.

و على نفس الشاكلة فإن التعامل مع المادة البيئية حينما يكون على أساس تصور تكون فيه متصفة برفعة القيمة وعلو الشأن: خيرية في أصل وجودها وفي تفاصيل أفرادها وأنظمتها، وكفاية غير محدودة لإعادة الحياة، وغائية في سيرورتها ذات أنساق موزونة، يكون تعاملا يتوخى فيها الرفق في الاستثمار والمحافظة على كينونتها كما هي على غائيتها ونظامها، والعمل على تنمية مواردها وتوليد طاقاتها الكامنة بما يضمن استمراريتها في العطاء، فحينما يتصور الإنسان أن في شيء ما من الأشياء خيرا دائما له، وحينما يكون ذلك الخير مرتبطا بنظام وغائية، فإن ذلك من شأنه منطقيا أن يجعل التصرف الإنساني إزاءه محافظا رفيقا، وذلك كان شأن الحضارة الإسلامية في سلوكها البيئي. (النجار، 1999، ص ص. 143-144)

IV-3- المسجد:

IV-3-1- مكانة المسجد في الإسلام:

IV-3-1-1- مكانته الربانية:

يستمد المسجد في الإسلام مكانته السامية وشرفه العظيم من صلته بالإسلام، وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية باعتباره وسيطا، وكونه رمزا وشعيرة من شعائر الإسلام. أمر الله عباده ببنائه ورفع عماده، كما أمرهم أن يحققوا عمارته الحقيقية بعبادته فيه، وقد جعل من أهم وظائفه ذكره وإقامة الصلاة فيه وهي أهم دعائم الإسلام بعد الشهادتين: قال تعالى: **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة وبيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليَجْزِيَهُمُ الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)** (سورة النور، الآية:36-38).

ويستمد المسجد مكانته أيضا من كونه مضافا إلى الله عز وجل المعبود باعتباره بيته الذي وضعه لعباده لإخلاص العبودية له فيه، بما اختص الله عز وجل به نفسه من أنواع العبادات القولية والفعلية والعقدية، ولقد مثل ذلك أول بيت وضعه في الأرض ببكة ليكون مقرا ومنتجها لهذه العبادة ومثابة للناس وأمنا لهم وإماما لكل مساجد الدنيا واتجاهها إليه إلى يوم القيامة، قال تعالى: **(إن أول بيت وُضع للناس للّذي ببكة مباركا وهدًى للعالمين)** (سورة آل عمران، الآية: 96)، وقال أيضا: **(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)** (سورة البقرة، الآية:125)، وقال أيضا: **(وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود)** (سورة الحج، الآية:26).

تلك مكانته من حيث صلته بالإسلام وكونه رمز الصلة بين العبد وربه، بأشرف عبادة وأفضلها، وكونه مضافا إلى المعبود الإله المطلق المقدس الله ذو الجلال والإكرام والمضاف يشرف بشرف المضاف إليه. ولهذه المكانة التي سما بها المسجد في الإسلام عما سواه من وسائط العبادة كان عُمَّارُه ماديا ومعنويا هم صفوة خلق الله عز وجل من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من عباده المؤمنين.

فقد كان باني الكعبة أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، وباني المسجد الأقصى سيدنا سليمان-عليه السلام-، وذلك بعد بناء الكعبة بأربعين سنة، وباني مسجد المدينة المنورة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، هذه المساجد الثلاثة هي التي اختصت بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم -: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا** »، متفق عليه.

ولمكانته العظيمة وعد الله لبانيه ولو كان البناء صغيرا قاصدًا به وجه الله، بأن يبني له بيتا في الجنة، كما في حديث الصحيحين عن عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- وأرضاه عند قول الناس فيه حين جدد بناء مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال : إنكم أكثرتم وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : « **من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة**» (جامع الأصول 186/11)، ولشأن المساجد العظيم عند الله عز وجل جعلها مقرا لتردد ملائكته وشهودهم لمجالس الذكر والعلم فيها وشهادتهم للمتعبدين فيها، ومأوى لعباده المتقين كما شهدت بذلك الأحاديث والآثار.

تلك هي مكانة المسجد الربانية لصلته بالإسلام وكونه رمز العبودية الخالصة لله عز وجل ولإضافته إلى الله المعبود عز وجل، وكون بُناته هم خيار خلق الله عز وجل وأفضلهم، ومن هنا تأتي مكانته الاجتماعية ومقامه في مجتمع المسلمين.

IV-3-1-2- مكانته الاجتماعية:

ومن مكانة المسجد العظيمة بما حواه من معاني الصلة بين العبد وربه، بما فيه من أنواع العبادات المحضة له عز وجل، وغيرها من العبادات المأمورة بها تأتي مكانة المسجد الاجتماعية ومقامه في مجتمع المسلمين باعتباره مركز التجمع ونقطة الانطلاق لكثير من أعمال الحياة الاجتماعية.(الوشلي، 1990، ص ص.13-14)

فهو مصدر توجيه المجتمع إيمانا ماديا، وهو مؤسسة للعلم تعلما وتعليما، وهو ندوته الأدبية تسلية وترويحا وشحذا للهمم ورفعا للمعنويات.

والمسجد مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم يجتمعون فيه في اليوم خمس مرات وهو محل تشاورهم وتناصحهم ومنبع تعاونهم على الخيرات، وقد ارتبط بوظيفة الصلاة وصفوفها، والتي هي من أولى وظائفه وأهمها، مُثلٌ اجتماعية هي لب الإسلام يتدرب عليها المسلمون في اليوم خمس مرات، والتي في مقدمتها النظـام والقدوة، ومعالجة الأنانية، وإزالة الفوارق الطبقية، وكيفية التلاحم في البناء للمجتمع المسلم، من خلال رص الصفوف وانتظامها ببعض، حتى يشكلوا البناء المرصوص الذي أحب الله عز وجل به عباده كما في قوله تعالى:(**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** (سورة الصف، الآية:4)، وغير ذلك من المعاني الاجتماعية الكريمة الشريفة النظيفة.

ولذلك كان المسجد يحتل مكانة عظيمة عند المسلمين وفي مجتمع الإسلام، كيف لا وهو يمثل حقيقةً إحدى ركائزه التي لا يقوم بدونها من أول الأمر الذي أقيم فيه مجتمع الدين الحنيف، ملة أبينا إبراهيم –عليـه السـلام- الذي سمّانـا المسلمين من قبل، ونلاحظ أنه لما تكونت أول أسرة مسلمة اللبنة الأولى لمجتمع الإسلام الحنيف بإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وأهلهما، أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم ببناء الكعبة الشريفة في مكة المكرمة حتى لا ينفك المسلم عن المسجد الحرام. (الوشلي، 1990، ص ص.17-18)

IV-3-2- المؤسسات الاجتماعية المسجدية:

إذا كان علماء الاجتماع يحرصون على أن يقيموا لامؤسسات، من خلالها ينشرون أفكارهم، ويطبقون أنظمتهم وبرامجهم الاجتماعية التي وضعوها للمجتمع الذي وُكِّلَ إليهم إدارته من أجل بنائه وإعداده وإصلاحه، ويبذلون خدمات اجتماعية مختلفة رجاء أن يحققوا لهذا المجتمع شيئا من الراحة والأمن والاستقرار، فإن المسجد وهو أحد ركائز المجتمع الإسلامي، قد حوى في أنشطته كثيرا من أمور الاجتماع الهامة ما يجد فيه المسلمون كفاية وغناء عن ما يقدم لهم من قبل أعدائهم وما يقدم فيه من سم، بل نجد أماكن بين جدرانه قد خصصت لمثل هذا الدور، وخاصة في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- مثل المنبر والصّفّة، والخيمة الصحية، وأماكن القسمة، وتعليق القنو للمساكين، ومجالس الشورى والفتوى، ومجالس العلم وحلقه، وغير ذلك.

وبالعودة إلى الكتاب والسنة نجد أن خدمات المسجد وأنشطته الاجتماعية على شعبتين:

- الأولى إرشادية نصحية تعليمية تضمنت البشارة والنذارة والترغيب والترهيب وتوضيح أحكام الحلال والحرام لكثير من الأمور الاجتماعية العملية التي تقع داخل المسجد، وغيره مما يقع خارجه مما يشرع وقوعها فيه، ومما لا يشع مثل

البيوع وبعض القضايا الأسرية وبعض أمور الأخلاق الاجتماعية ومتطلبات الجماعة والمجتمع.

- الثانية خدماتية للرعاية والتكافل الاجتماعي، وهي كثيرة ومتنوعة.

IV- 3-2-1- مؤسسات التوجيه والتربية:

أ- مؤسسة التوجيه والإعلام:

وتمثلت في المنبر، وكيف كان إدخاله المسجد لأول مرة واعتماده مكان توجيه ومقر لأداء الخطبة ومحلا لتعليم الأمة، وهو ما توضحه لنا رواية البخاري عن أبي حازم ابن دينار، أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدي، وقد امتروا في المنبر ممّا صنع عوده؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إني لأعرف مما هو، ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى فلاة قد سماها سهل، فقال: **مري غلامك النجار أن يصنع لي أعوادا أجلس عليهن إذا تكلمت الناس**، فأمرته فصنعها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأمر بها فوضعت هانا. ثم رأيت رسول الله- -صلى الله عليه وسلم- صلى عليها وكبر وهو عليها، ثم ركع عليها، ثم نزل فسجد في أصل المنبر، ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: « **أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتمّوا، ولتعلموا صلاتي**» رواه البخاري.

ومما لا شك فيه أن المنبر في المسجد أهم مؤسسة إعلامية اعتمدها الإسلام للمسلمين ليرسلوا من خلاله التوجيهات والإرشادات والنصائح لمختلف شؤونهم وأحوالهم الدينية والدنيوية ولجميع الناس، والذي زاد في أهميته هو ارتباط مشروعية الارتقاء عليه للخطبة للصلوات المشرعة لها الخطبة المتضمنة التوجيه لكل ما يحتاجه المجتمع وتحتاجه الأمة مثل الجمعة والعيدين والاستسقاء والخسوف والكسوف ونحو ذلك. والممارسة الإعلامية عليه من أبرز وسائل الإعلام الإسلامي، وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرناها من أهم عوامل نجاح العمل الإعلامي الإسلامي، الذي مارس دوره على مر العصور منذ انبثاق نور الدعوة الإسلامية في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا، ولا تستطيع عوامل الزمن وتعاقب الدول والحكومات المنحرفة أن تنال من قدراتها، ولذلك كان المنبر في المسجد في عصرنا هذا وعصور سابقة موضع خطر بالنسبة للحكام والسلاطين المنحرفين، مما جعل أيديهم تمتد إليه لتحد من نشاطه الإعلامي وتوجهه إلى ما يخدم مصالحها وأغراضها في بعض الأوقات إلا ما شاء الله.

ليس المنبر كما يتوهمه البعض مقصورًا على خطبة الجمعة وخطب المناسبات الدينية، بل المعهود من عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن المنبر وضع أول مرة في المسجد بغرض توجيه المجتمع في كل شؤون حياته الدينية والدنيوية وفي مختلف المناسبات، وكان عليه الصلاة والسلام يرتقي عليه لأي أمر اجتماعي يريد توجيه المجتمع إليه في المناسبات المختلفة والأحداث المستجدة والقضايا الاجتماعية الطارئة وعند الحاجة.

إن المنبر في الإسلام ليس محصورا في القضايا الدينية فحسب، ولكنه عام لكل قضية تهم المسلمين في أي أمر من أمور الحياة.(الوشلي 1990، ص ص. 39-40)

ب- مؤسسة التربية والتعليم:

ويتناول الكلام فيه ثلاث مؤسسات (روضة أطفال، حلق العلم، قسم النساء):

- المسجد روضة أطفال ومحقن تربية للصبيان يحافظ على الفطرة وينمي الموهبة وينشئ النشأة الحسنة، ويربط الطفل بربه من أول ظهور الإدراك وبروز علامات التمييز، ويطبع فيه

المثل والقيم والآداب من خلال القدوة ومشاهدة المثاليين من الرجال، ويدربه على النظام من أول وهلة يطل فيها على الحياة، ويعلمه كيفية التعامل مع طبقات المجتمع وأصنافه وفئاته، كما أنه يعلمه كيفية التعامل مع الحياة طبقا للسنن والأقدار، ولما كانت هذه المعاني ضروريات لمجتمع الإسلام في أن ينشأ أبناؤه عليها، كان للمسجد دوره البارز في تحقيقها ونشاطه الواضح من أجل الوصول إليها، والشرع جعلها من أنشطته وأعماله، وأجاز للصبيان الدخول فيه للارتشاف من عطائه ونواله والتنعُّم بأفيائه الإيمانية وظلاله الروحانية، فينشؤون وكلهم إيمانا ويكبرون في غاية الالتزام. وعهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- يوافينا بارتباط الصغار بالمساجد وصلتهم به ورعايتهم فيه في مناسبات مختلفة وأحوال متباينة، فنأخذ منها هذا الحكم ونؤكد بها هذا التصور، وإن لمجتمع الصغار في المسجد حق كما لمجتمع الكبار لكي تتواصل الحلق وترتبط ببعضها على أساس من نشأة الإيمان والتقوى وحسن الالتزام.

ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولأبي العاص ابن الربيع، فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها. رواه مسلم.

وفي الصحيحين: عن أنس-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**».

وفي جامع الترمذي عن بريدة-رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل الرسول -صلى الله عليه وسلم- من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: " صدق الله: **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)**، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما".

فهذا بعض ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعله في حق الصغار وفي المسجد من صحبتهم فيه واصطحابهم في وقت الصلاة وحملهم، ومن الشفقة عليهم وبأمهاتهم حين يبكون فيتجوز في الصلاة ولا يطيل ولم يقف به -صلى الله عليه وسلم- عند الفعل بل أمر أصحابه أن يلتزموا به من بعده، والدليل على ذلك، من رواية ابي هريرة رضي الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليُطوِّل**» متفق عليه.

إن هذه الأمثلة التي ذكرنا طرفًا منها وما دلت عليها من أحكام تتعلق بصلة الصبيان بالمساجد تتضمن كثيرا من أصول التعامل مع الطفل في هذه المؤسسة التربوية، في كيفية تربيته وتنشئته على الأخلاق والمبادئ القوية، وهي بحق أصول يستمد منها المربون كيف يربون الأطفال في الروضات العامة، وكذلك الخاصة بأطفال المسلمين وهي المساجد.

والواجب أن تستعين بكل وسيلة من شأنها تشوِّق الطفل إلى المسجد وتحببه إليه، ونحذر من كل الأساليب التي تنفره من المسجد، فإن هذا أمره خطير وعاقبته وخيمة وخاصة في بناء جيل المستقبل، ولا عبرة بالمصلحة القريبة في مقابل المفسدة ولو كانت بعيدة، لأن مفسدة انحراف الأطفال أخطر من مصلحة المحافظة على المساجد وأثاثها.

- حلق العلم ومجالس الوعظ والذكر في المسجد، وهي من أبرز أنشطته التعليمية تحصيلا وعطاءً، كما أن هذا النشاط له علاقة وطيدة بالمجتمع ومن ضروریاته التي لا يستطيع أن تكون له حياة ولا كيان ولا قوة إلا به.

ويعد النشاط التعليمي من أهم وظائف المسجد في التنشئة الاجتماعية بعد الشعائر التعبدية المحضة مثل الصلاة.

ولذلك كان في الدرجة الأولى من اهتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- به والحرص عليه والتشجيع له، فأقام حلق العلم بنفسه عليه الصلاة والسلام، وشجع من يقيمها وجلس إليهم، ورغب في تعهدها والحضور إليها، وحذر الأمة من التقصير فيها. وما ذلك إلا لما لهذه الحلق من مكانة وما لها من أهمية وضرورة للأمـة والمجتمع، فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي واقد الليثي-رضي الله عنه- قال: بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثـة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذهب واحد، فوقفا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: « **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله عز وجل فأواه، وأما الآخر فاستحي فاستحيا الله منه، وأما الآخر – فأعرض- فأعرض الله عنه**».

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن يتدارسونه فيهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله عنده، وما من رجل سلك طريقا يطلب فيه علما إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» مجمع الزوائد.

ومن هذا الاهتمام من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام بحلق العلم في المسجد تظهر أهمية الحلق المسجدية وضرورتها للأمة، كيف لا وهي التي يتحقق بها مبدأ الجهر بالإسلام، كما يتحقق بها موضوع الدعوة العريضة المفتوحة إلى الله عز وجل دون حذر أو خوف من أحد، كما تطلق فيه طاقات المسلمين في طريق منتج كثير الفوائد، كما يعطى فيها للمسلمين الحظ الكامل من الثقافة الإسلامية المتوازنة والعلم الراشد والنافع، كما أنها الطريق الهام لتقوية الرغبة في الآخرة. (الوشلي، 1990، ص ص . 48-49)

- هناك قسم للنساء في المسجد، حيث إنه قال -صلى الله عليه وسلم- : « **النساء شقائق الرجال**» رواه أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها، وهن نصف المجتمع، وصلاحهن صلاح الأجيال، وفسادهن فساد للمجتمع كله. والنساء كن في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشاركن الرجل في كثير من أمور الخير والعبادة، وفي مقدمة ذلك الحضور إلى الصلاة وخاصة العشاء والصبح لأنها أستَر لهن، وقد أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الرجال إذا استأذنهم نساءهم الحضور إلى المسجد أن يأذنوا لهم وقال: « **لا تمنعوا إيماء الله مساجد الله** » جامع الأصول.

وكان مكانهن من المسجد معلوم للصحابة، إذ كان آخر الصفوف كما في حديث أبي هريرة: « **خير صفوف النساء آخرها وشر صفوف النساء أولها**» أبو داوود.

وحديث أم سلمة قالت: « كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ويمكث هو في مقامه يسيرا قبل أن يقوم. قالت: نرى – والله أعلم- أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال» رواه البخاري.

وهكذا يتضح أن المسجد له دور فعال في تربية المرأة المسلمة وإصلاحها، وأن لها فيه حظًا، وأن لها شهود صلاة الجماعة فيه والجلوس فيه للاستماع إلى حلق العلم ودروس الوعظ، كيف لا وقد كن رضي الله عنهن ينافسن الرجال في الاستماع إلى حلق العلم ويقلن لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لقد غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما، وقد فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك.

والمرأة المسلمة في كل زمان محتاجة إلى هذا العطاء المسجدي، والروح الإيمانية في محض الإيمان. والمرأة المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى ذلك لاسيما والفتن معروضة لها أينما اتجهت وحيث نظرت، وكلما أصغت بسمعها، وهي على خطر عظيم. ولعل في المسجد وهو يؤدي رسالته الشاملة عصمة لها ولذا قال القاسمي: " وما أحوج النساء الآن إلى الوعظ سيما وقد انتشرت فيهن البدع والمنكرات واعتقاد الأضاليل ومخالفة الأزواج وما لا يحصى من المحظورات". (الوشلي،1990، ص ص. 51-52)

ج- مؤسسة التسديد وحرية الرأي:

المسجد دار شورى يجتمع فيه المسلمون للتشاور فيما يهمهم من القضايا المصيرية، كما أنه مكتب استشارة واستفتاء لمن يطلبها في أي أمر من أمور الدين والدنيا، ودل على ذلك عمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين.

ولقد كان من دأب الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه إذا حز به أمْرٌ، أمَرَ مناديه للناس أن يقول: الصلاة جامعة، فإذا اجتمعوا في المسجد فإن كان وقت صلاة فريضة صلى بهم، ثم طرح المشورة وإن كان غير وقت الفريضة صلوا ثم خاطبهم بما يريد.

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

والشورى تطبيق عملي وتنفيذ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقوله تعالى: **(... وشاورهم في الأمر ...)** (سورة آل عمران، الآية:159)، وقد ساق الإمام البخاري رحمه الله عدة حوادث استشار فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه رضي الله عنهم، وذكر أن الأئمة بعده كانوا يستشيرون الأمناء من أهل العلم.

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجري الشورى في كثير من الأحيان في المسجد إذا كان في المدينة، إلا في بعض الأمور الخاصة به كما حدث في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك حين استشار أولا عليًّا وبريرة في بيته ولما أصبح الأمر مرتبطا بالأمة في تنفيذ الحكم كانت المشورة في المسجد ومن على المنبر.

قال الدكتور قادري: " وكانت أغلب مشورته يعني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكذا خلفاؤه من بعهده تقع في المسجد لأنه مقر اجتماعهم، وكثير من الحوادث التي شاور فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أو شاور فيها خلفاؤه من بعده لا يذكر فيها مكان الشورى ولكنها في الغالب ما كانت تقع في المسجد ".

وذكر عدة حوادث استشارية للخلفاء كانت في المسجد منها كتابة العهد لعمر من أبي بكر واستشارته الصحابة على ذلك وهم في المسجد، والبيعة العامة ما كانت تقع إلا في المسجد، وبيعة عثمان وغيرها.

بل كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه الراشدون ومن تبعهم لا مقر لهم يسوسون الناس منه إلا المسجد، كما قال ابن تيمية رحمه الله، أن مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أسس مسجده المبارك على

التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وكذلك عماله في مثل مكة والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادي فإن لهم مجتمعا فيه يصلون وفيه يساسون، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « **إن بني إسرائيل كان يسوسهم الأنبياء، كلما ذهب نبي خَلَفَهُ نبي بعده، وسيكون خلفاء تعرفون منهم وتنكرون**» قالوا فما تأمرنا، قال:« **أوفوا ببيعة الأول فالأول واسألوا الله مالكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

وما كانت مشورته -صلى الله عليه وسلم- قاصرة على الأمور السياسية أو العسكرية فحسب، بل كانت الشورى تشمل كل القضايا المصيرية وفي مقدمتها القضايا الاجتماعية الهامة والخطيرة، من ذلك استشارته -صلى الله عليه وسلم- للصحابة في أصحاب الإفك وكان ذلك في المسجد، كما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: « **ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم من سوء قط**».

وفي المسجد كان يأتي كثير من الصحابة يسألون الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويستشيرونه في كثير من قضايا دينهم ودنياهم وحتى ما يتعلق بشؤونهم الخاصة، وهي معلومة مشهورة في السنة. من ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: « بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسجد يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يحدث، فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال -صلى الله عليه وسلم- : « **أين السائل عن الساعة؟** قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** » قال: كيف إضاعتها؟، قال: « **إذا أوسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» (الوشلي، 1990، ص ص. 54-55)

تلك هي أهم مؤسسات التعليم والتربية التي كان لها في المسجد نشاط وبين جدرانه تقام، فيجتمع للمتلقين فيها العلم والإيمان والتوجيه والتربية، ومعرفة الحلال والحرام، فتخرَّج منها رجال أفذاذ متخصصون في كل علم وفن، فكانوا بذلك أعلام هدى ومنارات تُقصد، فاهتدى بهم الضال وتعلم منهم الجاهل، وتربى على أيديهم الناشئ فكان ذلك الجيل الذي هو بحق خير أمة أخرجت للناس. (الوشلي، 1990، ص.54)

IV -3-2-2- مؤسسات الخدمات والرعاية الاجتماعية:

أ- مؤسسة الصحة والرعاية الاجتماعية:

- ونبدأ بمؤسسة القضاء، وهو نشاط مرتبط بالمجتمع وضرورة من ضروريات لا يستغني عنه المجتمع، من أجل فصل الخصومات وفض النزاعات بين أفراد المجتمع، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإنفاذه بين الناس حتى يعيش المجتمع وهو آمنا ومطمئنًا.

والقضاء هو من الأنشطة التي لا تحتمل حين وقوعها تأخيرا من أجل تطهير المجتمع من الأحقاد والضغائن وتعميق العداء، ولذا كان القضاء من أخطر الأعمال التي إن لم يقم أصحابها بحقها كانوا على خطر عظيم كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : « **قاضي في الجنة وقاضيان في النار**» رواه البخاري.

إن المسجد في أول عهده كان يزاوَل فيه القضاء، وتصدر الأحكام في ساحته، وتنفذ في خارجه إذا كانت حدودا أو قصاصا، حتى إ نه كانت لا توجد دار للقضاء سواه في الفترات الأولى من تاريخ الإسلام، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا عرض له القضاء في المسجد يجريه فيه، وكان خلفاؤه الراشدون كذلك ومن تبعهم بإحسان من القضاة.

وكان المسجد كذلك مكانا للصلح بين المتخاصمين، وقد روى كعب ابن مالك -رضي الله عنه- أنه تُقاضى ابن أبي حَدْرَد دَيْنًا كان عليه في المسجد فارتفعت أصواتها حتى سمعها رسول اله -صلى الله عليه وسلم- وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف حجرته فنادى: « **يا كعب** » قال : لبيك يا رسول الله قال: « **دع من دينك هذا**» وأومأ إليه- أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: « **قم فاقضه**» رواه البخاري.

وهكذا نأخذ من هذه الأدلة أن المسجد كان يتخذ للقضاء، وتصدر فيه الأحكام، وينفذ بعضها، وأنه لا حرج في ذلك والله أعلم.

- المسجد مصحة يسكنه المرضى للضرورة، وتوجد فيه عيادة المجارحة ومعالجة المرضى، كما أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصف فيه بعض الأدوية ولأي مرض تكون، وشخص فيه بعض الأمراض ونصح ما يؤخذ لها من علاج.

فكونه يسكنه المرضى إذا احتاجوا إلى ذلك دل عليه إسكانه صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ حين أصيب في غزوة الأحزاب، فضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب، وكونه تكون فيه عيادة لمجارحة المرضى فقد ذكر الحافظ بن كثير وغيره من أهل السير أنه كانت توجد بالمسجد خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى، وكونه أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيه بأن يتداوى المرضى، وأن التداوي لا يتنافى مع التوكل وإنما هو ما شرعه الله لعباده طبقا لسنته في هذا الكون.

فقد روى أبو داود عن أسامة ابن شريك، قال : أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه حوله وعليهم السكينة كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت، ثم قعدت فجاءت الأعراب من ها هنا وها هنا يسألونه فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: « **تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحد وهو الهرم** » وأما وصفه لبعض الأدوية ولأي الأمراض تنفع، فقد روى أحمد عن بريدة-رضي الله عنه- أنه كان مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في اثنين وأربعين من أصحابه والنبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي في المقام وهم خلفه جلوس ينتظرونه، فلما صلى أهوى بيده فيما بينه وبين الكعبة كأنه يريد أن يأخذ شيئا، ثم أنصرف إلى أصحابه فثاروا وأشار إليهم بيده، أن اجلسوا فجلسوا فقال: « **رأيتموني حين فرغت من صلاتي أهويت فيما بيني وبين الكعبة كأني أريد أن آخذ شيئا**»، قالوا: نعم يا رسول الله : « **إن الجنة عرضت فلم أر مثل ما فيها وأنها مرت بي خصلة من عنب فأعجبتني فأهويت إليها لأخذها فسبقتني، ولو أخذتها لغرستها بين ظهرانيكم حتى تأكلوا من فاكهة الجنة**»، « **واعلموا أن الكمأة دواء العين وأن العجوة من فاكهة الجنة وأن هذه الحبة السوداء التي تكون في الملح اعلموا أنها دواء من كل داء إلا الموت**».

وأما علاجه -صلى الله عليه وسلم- للمرض في المسجد، روى ابن ماجة وابن السني وأبو نعيم عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: دخل علي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا نائم في المسجد فقال: « **شنبوذ أشكمت ورد**» وهي باللغة الفارسية وتعني: أتشكوا من وجع في بطنك، قلت نعم، فقال: « **قم فصل فإن الصلاة شفاء**».

وهكذا نجد أن المسجد قد تضمن نشاط المعالجة والتطبيب وأنه مما شرع فيه ما لم يكن فيه إيذاء وضرر والله أعلم. (الوشلي، 1990، ص ص. 60-61)

ب- مؤسسة التكافل الاجتماعي:

يقول الدكتور مصطفى السباعي في بحث عن التكافل الاجتماعي في شريعة الإسلام: " الناس في مجتمعهم الذي يعيشون فيه يحتاج بعضهم إلى بعض في كل شؤون الحياة، وهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة لا تبدو في تمامها واكتمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته، وقد تفطن العالم في عصره الحديث إلى الحقيقة، وبدأ ينادي بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ولكن مفهوم التكافل اقتصر على تحقيق المطالب المعاشية المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما إلى ذلك.

بيد أن الإسلام قد تفطن إلى هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا، فبعد أن قرر لكل مواطن تلك الحقوق الخمسة وهي حق الحياة، حق الحرية، حق العلم، حق الكرامة، حق التملك، والتي لا تتم كرامة الإنسان وساعدته بفقدان واحد منها، نظر إلى الذين تحول ظروف الحياة بينهم وبين تمتعهم بها، فاعتبر المجتمع هو المسؤول عن تحقيقها لهم ومن هنا انبثقت فكرة التكافل الاجتماعي في الإسلام.

 فالمسجد دار للمنقطعين الذين لا أسر لهم، وللعزاب الذين لا أهل لهم، وللغرباء الوافدين من أصحاب الحاجات حتى تقضي حوائجهم بل ولمن كان قد ضاقت نفسه من بيته لمغاضبة أهله له حتى تنطفئ نار الغضب وتذهب نزغة الشيطان، فكونه دارًا للمنقطعين يدل على ذلك الصُّفَّة: وهي المكان المظلل في المسجد النبوي، حيث كان يأوي إليها المساكين وقد جعلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دارًا للمنقطعين من الصحابة ومستقبلا لمن يأوى إليهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته. رواه البخاري.

وإذا كان المسجد مأوى لكثير من أصحاب الحاجات، فقد أبيح للمؤمنين في كثير من الأوقات ما لا بد منه من المباح مثل: الكلام والأكل ومد الرجل للراحة والاستلقاء والاضطجاع ونحو ذلك، لما روى البخاري عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى.

- والمسجد أيضا مكان يساعَد فيه الفقراء المعوزين، ويتفقَّد فيه أحوال أهل الفاقة وفيه تقسم الغنائم والزكاة، ويتصدق على أصحاب الحاجة من السائلين، كما أنه يهدى فيه للمحبين من المؤمنين، وقد دل على هذه المعاني التكافلية نصوص كثيرة منها ما روى البخاري في صحيحه عن أنس-رضي الله عنه- قال: أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بمال من البحرين فقال: « **أنثروه في المسجد** »، فكان أكثر مال أتى به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج عليه الصلاة والسلام ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه، إذ جاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « **خذ** » فحثا في ثوبه ثم ذهب يُقِلُّهُ فلم يستطع فقال: يا رسول الله مُرْ بعضهم يرفعه إلي، قال: « **لا** »، قال: فارفعه أنت علي، قال: « **لا** »، فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم ذهب يقله فقال: يا رسول الله مُرْ بعضهم يرفعه علي، قال: « **لا** »، قال: فارفعه أنت علي، قال: « **لا** »، فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وثم منها درهم.

أما بذل الطعام لمن يريده ويبتغيه من المساكين والوافدين صغارا أو كبارا، روى النسائي وأبو داود من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبيده عصا وقد علق رجل قنواً حشفا فجعل يطعن في ذلك القنو ويقول : « **لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا إن رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة**».

وعن تفقد السائلين وذوي الفاقة والمعوزين، أخرج أبو داود عن عبد الرحمان ابن أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **هل منكم أحد أطعم اليوم مسكينا** » فقال أبو بكر: دخلت المسجد فإذا سائل، فجئت البيت فوجدت كسرة خبز في يد عبد الرحمان فأخذتها منه فدفعتها إليه.

- وإضافة إلى تلك الوظائف للمسجد، استقبال الضيف الوافد ويكرم فيه، ومنه يدعى لكرم الضيافة وتناول الطعام ولنا في ذلك شواهد كثيرة وأدلة واضحة نذكر بعضها:

روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله قال : وجدت النبي **عون اداري بلدي** - صلى الله عليه وسلم- في المسجد ومعه ناس فقمت، فقال لي: «**أرسلك أبو طلحة**»، قلت: نعم، فقال: « **لطعام**»، قلت : نعم، فقال لمن معه: « **قوموا**»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم.

وفي حياة الصحاب للكاندهلوي عن طلحة بن عمر فضالة الليثي رضي الله عنهما قالا: كان الرجل إذا قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- إن كان له عريف بالمدينة نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة -رضي الله عنهم- .

- والمسجد كذلك مكان للمرح والمداعبة إذا كان هادفا ونافعا واقتضته المناسبة أو الملل من أجل الاسترواح وإزالة ما في النفس من تعب، وكذلك إعلان الأفراح التي فيها تحقيق لسنة لما يحبه الله ورسوله، ولذلك فقد أقر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما حصل في المسجد من لعب من قِبل الحبشة في المسجد بل وقعد ينظر إليهم، وأذن لأم المؤمنين عائشة أن تراه وتتمتع به ولم ينهها عنه حتى فرغت، بل نهى من أنكر عليهم ذلك.

أخرج البخاري بسنده عن عروة ابن الزبير عن عائشة -رضي الله عنها- قال: لقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوما ما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسترني بردائه أنظر لعبهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف**» أخرجه الترمذي.

ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يداعب أصحابه في المسجد ومن ذلك قوله لعلي ابن أبي طالب-رضي الله عنه- حين نام في المسجد وقد علاه التراب: «**قم أبا تراب قم أبا تراب**» وهكذا نجد أن الترفيه عن النفس والترويح عنها، وإظهار الأفراح وإعلانها في المسجد كل ذلك مما هو مشروع، وهي من القضايا الاجتماعية ذات الارتباط بالأمة ومجتمعها ومن الأمور التي لا بد منها.

- والمسجد كذلك منتدى للشعر والأدب الهادف إذا كان يحقق للمسلمين نفعا ويرد به على أعداء الإسلام تهجما وانتقادا، كأن يهجوا الكافرين ويذم الكفر ويظهر محاسن الإسلام ومزاياه، ونحو ذلك من الشعر المرغب في الآخرة أو المتعلق بمدح

النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر مناقبه ومآثره، أو ما اشتمل على علم وتعريف بأحكام الإسلام.

وفي الترمذي من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينصب لحسان منبرا في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار.

IV-4- المسجد والثقافة البيئية:

إن المسجد كنسق اجتماعي له دور كبير في نشر الثقافة البيئية في المجتمع المسلم، وعليه فإن دراستنا تعتمد أساسا على الاتجاه الوظيفي كنظرية اجتماعية تحوي نظريتي النسق الاجتماعي والدور، وفي هذا السياق سنحاول تبيان وظيفة المسجد كنسق اجتماعي في المجتمع المسلم ودوره في نشر الثقافة البيئية .

ولعل أساليب التنشئة الاجتماعية الإسلامية التي تعرضنا لها آنفا، يجسدها المسجد كأهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، لأنه يعتمد في عملية التنشئة على الجانب العقدي للأفراد ومنه على التصور الثقافي لحقيقة القضايا والأشياء، ومن خلال ذلك الاهتمام بالسلوك ومحاولة تهذيبه وتعديله وذلك في جميع القضايا المتعلقة بحياة الإنسان المسلم، وبصفة خاصة في دراستنا هذه والمتعلقة بنشر الثقافة البيئية للوصول إلى سلوك مهذب وعقلاني حيال البيئة.

وتكون وظيفة المسجد مكملة لوظائف الأنساق الاجتماعية الأخرى في المجتمع من خلال دوره في نشر الثقافة البيئية، ومن خلال هذا التكامل الوظيفي تكون لدينا ثقافة بيئية راسخة في المجتمع ومنه نحصل على سلوك معتدل حيال البيئة والمحافظة عليها وحمايتها، ويتجسد هذا الدور الوظيفي للمسجد من خلال مجموع أدوار الأفراد الذين يشغلون مناصب داخل المسجد بدءًا بالإمام، ثم جمعية المسجد، والمؤذن والقيم ...إلخ.

ويكون دور هؤلاء الأفراد الذين يشغلون أدوارا داخل المسجد في نشر الثقافة البيئية، من خلال خطب الجمعة وحلق الدروس من طرف الإمام، إضافة إلى القيام بنشاطات تطوعية للنظافة والقيام مثلا بتنظيم مسابقات لأنظف وأجمل حي، تشرف عليها جمعية المسجد بالتنسيق مع الإمام والأعضاء الآخرين العاملين بالمسجد، وذلك بهدف خلق وعي بيئي، ونشر وترسيخ الثقافة البيئية لدى الفرد المسلم.

ويتمحور دور المسجد في نشر الثقافة البيئية من خلال الأفراد القائمين عليه، أساسا على مستويين أساسيين هما المستوى التصوري والمستوى السلوكي.

IV-4-1- المستوى التصوري:

إن أي عمل بشري أو حركة تغييرية بشرية، لا بد أن تستند إلى التصور الذي يحدد معالمها ويرسم طريقها، وهذا التصور الذي هو بمثابة السكة التي يعبر عليها السلوك البشري في حركة التغيير.

ولترسيخ الثقافة البيئية من خلال المستوى التصوري للبيئة، يرتكز أساسا على أهم قضية وهي العقيدة الإسلامية، والتي هي أولى الخطوات التي يجب على المسجد أن يركز عليها لترسيخ الثقافة البيئية، وذلك بتبيان البعد العقدي للبيئة في الإسلام وذلك من خلال الأفراد القائمين على المسجد، وخاصة منهم الإمام في خطبه ودروسه وحلقه داخل المسجد بالتركيز على دعامتي العقيدة الإسلامية وهما:

الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر.

IV-4-1-1- الإيمان بالله :

إن كلمة "الأرض" في القرآن جاءت موضحة عبر سياقين هما: سياق النشأة، سياق الملكية والاستخلاف، فاتضح لنا من خلال ذلك أن الله عز وجل كما تشير العديد من الآيات هو الخالق للبيئة وعناصرها والمهيمن عليها، وهو سبحانه وتعالى واضع القوانين والنواميس الكونية التي تكفل حفظ التوازن فيها، وهو وحده عز وجل الذي يكفل لكل عنصر من عناصر البيئة أن يؤدي دوره المحدد له في صنع الحياة، وذلك كله عبر توافقية وانسجامية غاية في الدقة، فكل ما في الكون كما خلقه الله، يخضع لدورة حيوية رسمها الخالق عز وجل، تتسم بالدقة والاتزان، وهي جميعا في متناول إحاطته وعلمه وقدرته عز وجل.

فيتضح لنا أن السماوات والأرض وما فيهما جميعا، ملك لله عز وجل خلقا وتدبيرا وعبادة، أما الإنسان فهو خليفة الله في أرضه ووصيه عليها، أما ملكية الإنسان لهذه البيئة فهي ملكية عارضة، سرعان ما تؤول إلى مالكها الحقيقي وهو الله تعالى. (الصعيدي، 1996، ص.104)

ويعلم الإنسان المسلم أنه مستخلف في الأرض، وأنه سيد فيها بتمكين الله تعالى له، فيسعى إلى تحقيق الغاية الأسمى من وجوده وهي عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض وفق ما شرع الله، هذه العبادة والعمارة التي في معناها الشامل تعني الالتزام الشامل بمنهج الله وشريعته، وفي كل مجالات النشاط الإنساني، وفي التعامل الإنساني مع كل عناصر البيئة.

IV-4-1-2- الإيمان باليوم الآخر:

يقول الله تعالى: (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الأخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين)** (سورة القصص، الآية:77).

الإيمان بالآخرة هو الركن الأساسي من أركان الإيمان، وله الأثر البالغ في بناء علاقة الإنسان المسلم بالبيئة، وفق علاقة التوافق والاستثمار.

ويعد الاستخلاف في الإسلام، شرطا من شروط النجاة من العذاب في الآخرة، مصداقا لقوله تعالى: (**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) (سورة الكهف، الآية: 110).

فالآخرة تعد محددا وموجها للحياة الدنيا، قال تعالى: (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**) (سورة المؤمنون، الآية: 115).

فلما يؤمن الفرد المسلم بأن هناك يوم حساب وعقاب، وأن هذه الحياة الدنيا هي دار عمل للدار الآخرة، وأن من عمل وأصلح في هذه الحياة الدنيا، فستكون عاقبته الحسنى يوم القيامة، وأما من طغى وأفسد في هذه الدار الدنيا فسيكون من أصحاب الجحيم.

ومن هنا يعلم الفرد المسلم بأنه من الواجب عليه شرعا أن يقوم بأداء واجب الاستخلاف كما أمر الله وشرع، وأن يقوم بعمارة الأرض كما أمره الله، فإذا أدّاها على حقها فاز ودخل الجنة، وإذا ما فرط فيها فيجازى على تفريطه، قال تعالى: (**... ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**) (سورة الأعراف، الآية : 129).

وأنه من أسوأ التفريط، الفساد في الأرض، الذي اعتبره الله تعالى من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، حيث سواه تعالى بقتل الناس جميعا حيث قال: (**... من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ...**) (سورة المائدة، الآية: 32).

فيذكر الله تعالى العباد كي لا يعتَوا في الأرض فسادا، فتكون عاقبتهم السوء، بل يسعى الإنسان بكل جهده لتعمير البيئة وعناصرها، لتعمير الأرض جميعا

وفق منهج الله وشرعه، ويبتغي بذلك فضلا من الله ورضوانا، ويؤكد تعالى على أن الإصلاح من البر، والإفساد من الإثم، وكلاهما سيجازى عنهما العبد يوم القيامة. (كمال سليماني، 2005، ص ص. 145-145)

إذن فمثل هذا التصور قائم على الإيمان بالله واليوم الآخر، يجعل علاقة الإنسان المسلم بالبيئة علاقة تآلف واستثمار عقلاني مهذب، وهو ما يميز التصور الإسلامي عن باقي التصورات البشرية والفلسفية، فالإلزام الرباني أشد وقعا على قلب الفرد المسلم، وأسرع تطبيقا، وارتضاء من فطرة الإنسان التي هو مجبول عليها، لذلك نجد الوقع الكبير في السلوك الإنساني المسلم، أما الإلزامات الإنسانية البشرية، فهي ضعيفة ضعف الإنسان والواقع خير دليل على تآكلها وتداعيها.

IV-4-2- المستوى السلوكي:

إن السلوك هو نتاج التصوّر، فبقدر ما يكون التصور صحيحا، بقدر ما يعطينا سلوكا صحيحا سليما، وهكذا كان نشر الثقافة البيئية في ضوء العقيدة الإسلامية، مرتكزا على مستوى التصور الذي هو الإيمان بالله واليوم الآخر: هذا التصور الأصل، الصحيح والسليم، والثقافي في جوهره، والذي أورث لنا سلوكا كان عبر شريعة الإسلام، بمثابة النموذج الفريد في المحافظة على البيئة.

فمن خصائص العقيدة الإسلامية أنها واضحة تمام الوضوح، لا مجال فيها للالتواء، كما أنها لا تحمل معاني الغش، وهكذا هم أصحاب العقيدة، واضحون في مفاهيمهم وتصوراتهم، كما أنهم واضحون في أهدافهم وآمالهم، وأساليبهم ووسائلهم، فهم لا يعرفون اعوجاجا في التصور، ومن ثمة لا يعرفون اعوجاجا في السلوك ولا في التصرف.

فكما يقول أحد الباحثين الذين ألفوا في مجال التربية البيئية الإسلامية: "القيم الإسلامية البيئية في مجموعة الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض" (عبد الرزاق، WWW.ISLAMONLINE.COM، 2008، 11.30H)

ونستطيع إبراز النموذج السلوكي الإسلامي حيال البيئة من خلال ثلاثة ركائز أساسية:

IV-4-2-1- الحفاظ على البيئة:

إن الإسلام بعقيدته وشريعته هو الدستور الوحيد، الذي اهتم بحقيقة البيئة، واهتم بها وأرشد الإنسان إلى سبل التعامل الرشيد معها.

فحدد أولا أن البيئة هي لله تعالى ملكا وتقديرا وعبادة، وأنها متوازنة في دقة متناهية، ونجد أن أول من كشف عن نظرية التوازن البيئي هو القرآن الكريم، قبل أزيد من أربعة عشرة قرنا من الزمن، ويتبين ذلك من خلال آيات عديدة منها قوله تعالى: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** (سورة القمر، الآية: 49)، وقوله تعالى: **(... وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)** (سورة الحجر، الآية : 19).

فبين لنا الله تعالى نظرية التوازن البيئي على حقيقتها، فبين أن الكون أو البيئة وعناصرها، مخلوقة في اتزان دقيق دال على قدرته تعالى وسعة علمه، وأن البيئة بكل عناصرها مقدرة بقدرها الذي يضمن الحياة واستمرارها، وكل عنصر منها إلا وله دوره المناط به في دورة الحياة واستمرارها، وقد ذكر الله تعالى لنا ذلك، لكي يعلمنا نحن بني البشر بأن نحافظ على هذا التوازن، فإن كل ذلك من نعمه تعالى على الناس لتستمر حياتهم.

ثم نجد الإسلام في شريعته الغرّاء، سار إلى أبعد الحدود في وضع الأطر التي تحفظ البيئة وعناصرها، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ففي جانب المحافظة على الماء وما اتصل به من بيئة بحرية مثلا، نجد الإسلام يبدأ بذكر أهمية الماء وأنه أصل الحياة، فيقول تعالى: **(وجعلنا من الماء كل شيء حي)**، أما عن النهي عن تلويثه فنجد أن الشرع قد نهى عن التبول في الماء الراكد، كما روي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه**»، رواه الإمام مسلم في صحيحه، ومن هنا يمكننا القياس وتوسيع الحكم على من يتخذ البحار والمحيطات مصارف للفضلات، ومصبات مجاري المياه القذرة، ومخلفات الصناعات الصلبة.

ونجد أن السنة الشريفة قد رسخت ذلك في قلوب الصحابة وسلوكهم، ومثاله ما روى عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: « **ما هذا السرف يا سعد؟** » فقال : وهل في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: « **نعم وإن كنت على نهر جارٍ**» . أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

فإرشادات كهذه الإرشادات النبوية الكثيرة، تكفل لنا بيئة سليمة مصانة، وإن طبقت في وقتنا لعدت من أنجح البرامج وأوقعها في النفوس البشرية.

ونجد أن الإسلام أيضا حث أتباعه على الرفق بالحيوانات، فكان السبق الزمني عن جمعيات الرفق بالحيوان، التي تدّعي السبق في ذلك، ويتضح ذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي سنوردها فيما يأتي:

فقد حدثنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن امرأة دخلت النار في هرة، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، والحديث: حدثنا يحي ابن بكير قال: حدثني مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:« **عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار**» قال فقال: « **والله أعلم لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض**». أخرجه البخاري في صحيحه.

وعندما شاهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- جملا هائجا، قال: « **من صاحب هذا الجمل؟** »، فجاء رجل من الأنصار فقال: إنه لي يا رسول الله، قال: « **أفلا تتقي في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه اشتكى إلى أنك تجيعه وتدئبه** ». رواه الترمذي في سننه.

وقد شرع لنا الله تعالى من خلال السنة النبوية بعض الأحكام الشرعية التي توصي وتحث على الحفاظ على البيئة الحيوانية، فبين لنا ما يجوز قتله وما لا يجوز قتله من الحيوان وما يجوز أكله ولا يجوز أكله، والمستفاد كذلك من هذه الأحكام الخاصة بالبيئة الحيوانية، الحفاظ على الأنواع الحيوانية من الانقراض لأنها جميعا تشكل مع باقي عناصر البيئة ما يسمى بالتوازن البيئي.

وأما فيما يخص البيئة الجوية، فنجد الإسلام والعقيدة الإسلامية قد وجهت سلوك الفرد المسلم، إلى الحفاظ عليها وعلى عناصرها، ونهته عن الإضرار بها، لأن في ذلك إضرار بحياته وحياة الناس جميعا، وقبل كل ذلك هو تعَدٍّ على الأمانة التي أوكلها الله إليه فحملها.

فنجد الشريعة الإسلامية قد أولت الاهتمام بالغلاف الجوي، فبينت أهميتهُ في قوله تعالى: **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن ءاياتها معرضون).** (سورة الأنبياء، الآية: 32).

وهو ما أثبته العلم حديثا، حيث أثبت أن الغلاف الجوي تكمن أهميته في حفظ الأرض من تسرب الأشعة الكونية الضارة.

وقد بين تعالى بأن الغلاف الجوي، مخلوق باتزان، يسير وفق قوانين وضعها الله تعالى له، لا يحيد عنها قيد أنملة، لكن إذا ما طعن الإنسان بشركه وضلاله على هذا الاتزان فسيحدث الفساد، وسيذوق الإنسان عاقبة ذلك وهو ما تحقق بالفعل، وها نحن نعاني من أكبر نتيجة للفساد البيئي في الغلاف الجوي وهو ثقب الأوزون، لذلك يعلم الفرد المسلم حقيقة الغلاف الجوي والبيئة الجوية، وأهميتها، وأنها نعمة من الله تعالى، فيحفظ النعمة ويشكر المنعم.

وكذلك نجد أن الشريعة الإسلامية قد أولت أهمية الحفاظ على البيئة النباتية، وتنميتها والاستزادة منها، وقد جعلت الإفساد فيها وإتلافها أمرا لا يجوز شرعا، ورعايتها وتنميتها عبادة يتقرب بها الفرد المسلم إلى الله عز وجل.

فشجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عملية استصلاح الأرض الموات، وعملية الاستزراع، كما اعتبر زراعة الأشجار ذات الثمار والفواكه، من الصدقة الجارية لصاحبها، فهذا يشجع الفرد المسلم بأن يسلك مع البيئة النباتية سلوك الحفاظ والإنماء لها ليفوز برضوان الله في الآخرة ويأخذ الأجر، حتى ولو انقطع عن الدنيا.

كما نجد ما يتحدث عنه في زماننا، عمّا يسمى بنظام المحميات، نجد الإسلام قد قرره وأجرى له الأحكام، عبر الوقت وغيره من قوانين القضاء الإسلامي كنظام الحسبة الذي كان يسهر على الحفاظ على البيئة نظيفة مصانة، وكان يراقب ويمنع بالزجر والعقوبة من تسوّل له نفسه بإتلاف أي عنصر من عناصر البيئة النباتية.

إذن فكل هذا البرنامج البيئي، شكّلَ لنا عقلية مسلمة ذات ثقافة بيئية إسلامية تتعامل مع البيئة برفق وصيانة لعناصرها في كل الظروف وفي كل الأوقات حتى في فترة الحروب.

ونجد هذا البرنامج البيئي مقارنا لذهن المسلم وتفكيره، لأنه ارتفع حتى صار أمرا مقرونا بالعقيدة الإسلامية، لذلك نلمس هذا الأمر الجليل في وصية أبي بكر الصديق ليزيد ابن أبي سفيان، والتي حق للتاريخ أن يكتبها بحروف من ذهب، حيث يقول له: "إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقصفنّ شجرا مثمرا ولا نخلا، ولا تحرقها، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن وتغلل" . (حجّاب، 1999، ص. 135)

ومما زاد هذه الصور نظارة وجمالا، تقعيد الشريعة الإسلامية لقواعد فقهية عامة، تدخل في ضبط التعامل الرشيد مع البيئة، ونذكر من هذه القواعد:

أ- **قاعدة "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"**، حيث توضح هذه القاعدة المقصدية الجزم بحرمة التعدي على البيئة، لو كان ذلك لجلب مصلحة أو منفعة عن طريق هذه الصناعة التي تلوث البيئة، لأنه إذا تعارض في فعل معين، درء مفسدة وجلب مصلحة، قدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

ب- **قاعدة " ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب "**، نعلم أن الإسلام جاء لحماية المقاصد أو الكليات الخمس، التي من بينها حفظ النفس، فحفظ النفس واجب والفساد البيئي مضر ومهلك للنفس، فتحريم الإفساد البيئي واجب لضمان حفظ النفس الذي هو واجب لذاته.

ج- **قاعدة " لا ضرر ولا ضرار "**، هذه القاعدة تؤكد عدم الإضرار، وخاصة عبر الفساد البيئي الذي يلحق ضررا بالتوازن البيئي، وبذلك هو ممنوع شرعا.

فمن خلال هذه القواعد الأصولية المقاصدية، ينضبط الفرد المسلم، إلى جانب ثقافته البيئية الإسلامية المستمدة من العقيدة الإسلامية، ليورث لنا بيئة صالحة وسليمة.

IV-4-2-2- تنظيف البيئة:

لقد عني الإسلام بنظافة البيئة عناية فائقة، تظل النموذج المثالي للبشرية، حيث نجد الشريعة الإسلامية الغرّاء، اعتبرت النظافة أو بالمصطلح الشرعي "الطهارة" جزءًا هاما من عقيدة المسلم وإيمانه، بل اعتبرتها شرط الإيمان، كما جاء في قوله -صلى الله عليه وسلم- : «**الطَّهور شطر الإيمان**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فإذا عبرت هذه المكانة عن شيء، فإنما تعبر عن مكانة نظافة البيئة في الشريعة الإسلامية، حيث جعلتها من مقتضيات الإيمان الواجبة.

وقد شددت الشريعة الإسلامية على من يسعى إلى تلويث الأماكن العامة ذات المصلحة العامة، ورتبت عليه أقصى العقوبات، إلى درجة ترتب اللعن عن عمله ذلك، ويدل على ذلك حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، حيث قال: « **اتقوا الملاعن الثلاث**»، قالوا: يا رسول الله وما هي ؟ قال: « **البراز في الموارد، وعلى قارعة الطريق، وفي أماكن الظل**» . أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

وأما عن مجالات نظافة البيئة، فقد أولت الشريعة الإسلامية ذلك اهتماما كبيرا في مختلف نواحي الحياة، ويمكن إيضاحها فيما يلي:

أ- النظافة الشخصية أو الفردية:

حيث حثت الشريعة الإسلامية المسلم على ضرورة نظافة بدن المسلم وثوبه وطعامه وشرابه، ويستخلص ذلك من النصوص الشرعية المختلفة في هذا المجال، بداية بغسل أعضاء مخصوصة خمس مرات في اليوم على الأقل، كما أوجبت الشريعة الإسلامية الغُسل، عند الحدث الأكبر، وهو غسل كل أعضاء الجسم، وهناك الأغسال المسنونة كغُسل الجمعة والعيدين وغيرهما، وقد تعددت تلك العناية حتى شملت نظافة المأكل والمشرب، وتنظيف الآنية، وكذا نهيه -صلى الله عليه وسلم- عن التنفس في الإناء عند الشرب، فمن الضروري المحافظة على مأكل الإنسان ومشربه، عبر المحافظة على البيئة الزراعية بعدم تلويثها بالمبيدات، وعلى البيئة المائية كذلك.

ب- نظافة الطرق والأماكن العامة:

شملت عناية الإسلام بالبيئة، كل نواحي الحياة حتى الطرقات والأماكن العامة، فقد حرص الإسلام على نظافتها ونزاهتها من الملوثات، ونستشف ذلك من خلال التوجيهات النبوية الشريفة التالية:

- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « **إياكم والجلوس في الطرقات** » فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، قال: « **فإن أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حقه يا رسول الله؟، فقال:« **رد السلام وغض البصر، وكف الأذى**» أخرجه مسلم في صحيحه.

ويدخل في الأذى كما قال العلماء، تلويث الطريق بالأوساخ والقاذورات.

- ونجد إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، حيث قال -صلى الله عليه وسلم- : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول « لا إله إلا الله» وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» أخرجه مسلم في صحيحه.

فجعل إماطة الأذى من شعب الإيمان، ليلتزم المسلم بذلك ويكون سباقا إليه يبتغي كمال الإيمان.

 وعن الأماكن العامة للمسلمين، نجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بنظافتها ونهانا عن تلويثها فقال: « **ونظفوا أفنيتهم، ولا تشبهوا باليهود**». أخرجه الترمذي في سننه.

ونلخص من خلال نقطة تنظيف البيئة إلى منهج متكامل، وبرنامج عملي صالح لكل زمان ومكان في نظافة البيئة، والتي تتأتى من ثقافة بيئية مترسخة داخل المجتمع.

IV-4-2-3- استثمار البيئة:

إضافة إلى البرنامج الإسلامي لنشر الثقافة البيئية، نجد الشريعة الإسلامية توسع من هذا التصور إلى أبعد الحدود، حيث تضع برنامجا عمليا أساسه الانتفاع من البيئة، واستغلالها الاستغلال الأمثل، وهذا عبر استثمار البيئة بكل عناصرها، دوام سلامتها، أو ما نستطيع التعبير عنه في وقتنا الحاضر بالتنمية المستدامة.

هذا الاستثمار البيئي اتضح عبر شريعة الإسلام في أمور عديدة، أبرزها قضية إحياء الأرض الموات، حيث حث الشرع المسلمين على إحياء هذه الأرض، باستصلاحها وزراعتها، وترغيب مصلحها بالأجر من الله تعالى، ودليل ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **من أحيا أرضًا ميتة فله فيها أجرا، وما أكلت العوافي (الطير) منها فهو له صدقة** ». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

ويحفز المسلمين على ذلك، بأن تكون الأرض المستثمرة من طرف المسلم، ملكا له ودليل ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها** ». أخرجه البخاري في صحيحه.

فهذا التحفيز بالأجر والتمليك، له من الأثر بما كان على التزام المسلم ومسؤولته في استثمار الأرض.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة** »(رواه الترمذي

لذلك عُدَّ واجب الاستزراع، وجها من وجوه عمارة الأرض، الذي كلف به الله عز وجل الإنسان لما استخلفه فيها، لذا يعد هذا الأمر بالنسبة للمسلم بمثابة سفينة النجاة، فتجده يكد ويجتهد في استثمار البيئة، من منطلق العبادة وتحقيق عمارة الأرض، لذلك نجد الرعيل الأول يتسابق للفوز بهذا الأجر الوفير، حتى ظهر مشروع إسلامي رائد، لا مثيل له إلى قيام الساعة، وهو الوقف الإسلامي، فكان وقف الأراضي الخصبة، المزهرة بكل أنواع الثمار والأشجار والخضرة، وأحاطته الشريعة الإسلامية بجملة من الأحكام تجعل تلك الأرض بمثابة مستثمرة فلاحية نموذجية، يستفيد بها الصالح العام المسلم.

ونجد أن ثقافة استثمار البيئة بما توصي به الشريعة الإسلامية لمن الركائز الأساسية في نشر وترسيخ ثقافة بيئية لدى أفراد المجتمع، بما يضمن صيانتها وحمايتها والمحافظة عليها، خاصة من خلال ما يسمى في الحاضر بالتنمية المستدامة، أي بما يحفظ البيئة لنا وللأجيال القادمة، طالما انتهجنا هذا المنهج الرباني المحكم من خلال القرآن والسنة الشريفة، وهذا ما يجب على المسجد أن يعمل عليه كنشر للثقافة البيئية، من خلال نشاطاته المختلفة وخاصة بما يلقيه الإمام من خطب ودروس وحلق في هذا المجال.

IV-5- نشاط نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة بخصوص قضايا البيئة:

إن نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة ليست ببعيدة عن مسرح البيئة وقضاياها في الجزائر، خاصة عندما تم توقيع اتفاقية تنسيق وتعاون بين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف متمثلة في معالي الوزير الدكتور بو عبد الله غلام الله، ووزارة البيئة وتهيئة الإقليم والسياحة

متمثلة في معالي السيد الوزير الشريف رحماني، أين تم تكثيف الجهود من طرف الوزارتين لحماية البيئة والاهتمام بقضاياها وذلك بوضع استراتيجيات لتحقيق هذا الهدف، وعلى رأسها عملية التحسيس بالبيئة من خلال إستراتيجية نشر الثقافة البيئية وترسيخها لدى المواطنين داخل المجتمع
الجزائري، بالاعتماد بالدرجة الأولى على مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها المسجد باعتباره أهم مؤسسة في المجتمع المسلم.

وعليه فإن نظارة الشؤون الدينية بولاية قسنطينة كانت من أوائل مؤسسات الدولة التي بادرت بتكثيف الجهود وعلى جميع المستويات لتثمين هذه الاتفاقية وتجسيدها على أرض الواقع، وذلك انطلاقا من مساجد الولاية التي تشرف عليها، وبتكاثف الجهود من طرف الفاعلين الاجتماعيين داخل النظارة بدءا بمديرها السيد عزوزة يوسف، ثم رئيس مصلحة الأوقاف والإرشاد والشعائر السيد دراع محي الدين، ثم رئيس مكتب الإرشاد السيد فيلالي حسن، إضافة إلى جميع الموظفين الذين كان لهم الدور الكبير في تنشيط وتفعيل تلك الاتفاقية، وذلك بالتنسيق مع مديرية البيئة بولاية قسنطينة وعلى رأسها مديرها السيد جنة عبد الوهاب، دون أن ننسى دور الجمعيات البيئية والهيئات الحكومية التي ساهمت من قريب أو من بعيد في المشاركة في إنجاح هذا البرنامج الوزاري.

وعند إجراءنا للمقابلة مع الهيئة المختصة في نظارة الشؤون الدينية والتي وجدنا منها كل التجاوب والتواصل معنا، أفادونا بالمعلومات الكافية والمهمة في إطار نشاط النظارة بخصوص البيئة وقضاياها وهذه أهم النقاط:

- ★ تقوم نظارة الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة بإحياء كل المناسبات والتظاهرات الوطنية والعالمية الخاصة بالبيئة، وذلك من خلال كل المؤسسات التابعة لها.
- ★ إن نظارة الشؤون الدينية تقوم بواجبها دائما لتحقيق المصلحة العامة في المجتمع، وذلك في إطار الثوابت الدينية والوطنية، وهي مستعدة لتلبية النداء في كل وقت لتحقيق هذه المصلحة لا سيما في مجال البيئة، لأن هذا الموضوع يعتبر من أولويات الإنسانية والأمم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة.
- ★ تقوم نظارة الشؤون الدينية بالتنسيق والتعاون مع كل هيئات ومديريات ومؤسسات الدولة، إضافة إلى كل هيئات المجتمع المدني، بما يخدم الصالح العام، وعلى رأسها مديرية البيئة.
- ★ تقديم كل الامدادات اللازمة سواء كانت مادية أو معنوية للمساجد لتحقيق أهدافها بخصوص قضايا البيئة، وتشجيع كل مبادرة يقوم بها أي مسجد من تلقاء نفسه، بدءا بإعطاء الترخيص القانوني لذلك، والعمل على تفعيل هذه المبادرة مهما كان نوعها في مجال البيئة.
- ★ تقوم نظارة الشؤون الدينية بتنظيم حملات تطوعية في مجال النظافة والمحافظة على المحيط على مستوى كل المساجد، وذلك بوضع برامج خاصة وتوزيعها على الأئمة القائمين عليها، إضافة إلى المتابعة والإشراف بشكل مستمر حتى يتم التأكد من نجاح العملية.
- ★ تنظيم مسابقات علمية في مجال البيئة تشرف عليها نظارة الشؤون الدينية، خاصة بكل الأفراد التابعين لهذا السلك، وتقدم فيها جوائز قيمة للفائزين، وآخر المسابقات أجريت في 2008، لأحسن مقال في مجال البيئة، وقد فاز بها إمام مسجد عمر بن الخطاب

بديدوش مراد، وقد اعتُمِد هذا المقال كخطبة، ووزعت على جميع مساجد الولاية لإلقائها يوم الجمعة.

★ تنظيم محاضرات وملتقيات في مجال البيئة، وعادة ما يكون بطلب من مديرية البيئة أو الجمعيات البيئية لتقديم المساعدة العلمية والشرعية من طرف نظارة الشؤون الدينية، ويقوم بإلقاء هذه المحاضرات والمداخلات عدد من أحسن وأكفئ الأئمة والمشايخ، وذلك بتفويض أو ترخيص من النظارة.

★ تنظيم أيام دراسية حول قضايا البيئة وخاصة من المنظور الشرعي الديني، لزيادة كفاءة الأئمة والقائمين على المساجد في هذا المجال، وذلك بالتنسيق مع مديرية البيئة والجمعيات البيئية، وكمثال على ذلك اليوم الإعلامي التحسيسي الذي نظمته مديرية البيئة، بدار الإمام سيدي الكتاني (بساحة بوهالي السعيد قسنطينة)، بالتنسيق مع نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة وعدة جمعيات بيئية ناشطة ومعتمدة من طرف الدولة، أين قام العديد من إطارات مديرية البيئة والجمعيات وكبار الأئمة والمشايخ بإلقاء محاضرات علمية ومداخلات حول البيئة من منظور إسلامي، وتطرقوا إلى التدابير اللازمة والحلول الممكنة، والاقتراحات المستقبلية، والاستراتيجيات الواجب إتباعها شرعا وقانونا لتدارك الوضع الكارثي الذي آلت إليه البيئة، وكيفية حمايتها والحد من هذه المخاطر أو التقليل منها قدر الإمكان، وكان هدفه كذلك إنجاح حملة تنظيفية واسعة للأحياء والشوارع كل مسجد في منطقته يقوم بنشاطه إلى جانب الجمعيات ومديرية البيئة، وكان ذلك يوم 11-05-2008، وتبعته بعد ذلك نظارة الشؤون الدينية بحملة إعلامية موسعة عبر كل مساجد الولاية للقيام بمبادرة في مجال تنظيف المحيط لإعطاء وجه مشرف ومنظر جميل لكل المناطق السكنية والمأهولة سواء أكانت ريفية أو حضرية، وكان ذلك في جوان 2008.

★ الاتصال بسلطات البلدية لتقديم المساعدات والإمدادات المادية والبشرية الممكنة للمساجد عند قيام هذه الأخيرة بمبادرات، كالحملات التطوعية الميدانية لتنظيف الشوارع والأحياء، والاهتمام بالمساحات الخضراء، وذلك بوساطة من مديرية البيئة.

★ إرسال برامج خاصة بالبيئة، تتمثل في مسابقات أو حملات تطوعية، أو دروس وخطب لنشر الوعي البيئي وترسيخ الثقافة البيئية في ضوء الشريعة الإسلامية، ويقوم أئمة المساجد بالإشراف على تطبيق هذه البرامج.

★ إرسال أئمة ومشايخ ذوي كفاءة عالية في العلم والخطابة، مشهود لهم بالورع والتقوى والاستقامة والاعتدال، لتقديم دروس تحسيسية للمصلين في المساجد، وذلك بخصوص البيئة وقضاياها، وهذا يجري عادة بطلب يُقدم إلى نظارة الشؤون الدينية من طرف المواطنين أو رؤساء الأحياء على شكل شكاوى، فهم يعانون من تراكم النفايات المنزلية في الأحياء والشوارع، وهذا بسبب تصرفات وسلوكات بعض المواطنين غير الواعين وغير المثقفين بيئيا، حيث إنهم يرمون نفاياتهم المنزلية عشوائيا داخل الحي أو الشارع مما يؤدي إلى انتشار الروائح الكريهة والمناظر المشينة بالبيئة، ناهيك عن الأمراض والأوبئة، فيُقدّم الطلب لأجل تحسيس الناس داخل المساجد وبيان أن الحفاظ على البيئة مما حث عليه الدين والشرع.

الخلاصة :

إن للتنشئة الاجتماعية الإسلامية دورا كبيرا في تكوين الفرد المسلم ليكون عنصرا صالحا فعالا في المجتمع الإسلامي، لا سيما وأن هذه التنشئة تأتي من خلال مؤسسات وُكّل إليها هذا الدور وعلى رأسها المسجد، الذي يعد من أهم مؤسسات التنشئة الإسلامية، لأنه يمثل أهم مكان لأهم شعيرة في الإسلام ألا وهي الصلاة، إضافة إلى ما يتصل بها من عبادات وشعائر دينية إسلامية أخرى.

ولِمَا للمسجد من دور كبير في مجال التنشئة الإسلامية، فلا شك أن يكون له دور كبير في نشر الثقافة البيئية، التي تعد من أهم الثقافات في الدين الإسلامي، لأنها كما ذكرنا آنفا تعبر عن بعد عقدي ديني عميق، لا سيما وأن الإسلام قد عنى البيئة أهمية كبيرة وربطها ربطا وثيقا بالجانب العقدي والإيماني للفرد المسلم.

ولَمَّا كانت البيئة من أهم المواضيع المطروحة في عصرنا الحالي لِمَا وصلت إليه من تدهور واختلال، بسبب الاستغلال الهمجي واللاعقلاني لها من طرف الإنسان، فقد جاء الإسلام بالبرنامج المثالي لكيفية التعامل معها وإيجاد الحلول اللازمة للمشكلات التي تواجهها، وذلك من خلال ما ذكرناه في هذا الفصل، حيث كان المسجد كمؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية الأوْلى للقيام بهذا الدور والمتمثل في نشر الثقافة البيئية داخل المجتمع المسلم، وذلك على المستويين التصوري والسلوكي وهما الركيزتين الأساسيتين في نشر هذه الثقافة.

ويكون دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، من خلال مجموع أدوار جميع الأفراد القائمين عليه، بدءا بالإمام وذلك من خلال الخطب والدروس وحلق العلم مُركّزا على تبيان البعد العقدي والثقافي للبيئة، وأن من صانها وحفظها فقد أطاع الله تعالى لأنه هو من أمرنا بذلك، إضافة إلى القيام بحملات تطوعية تنظمها جمعية المسجد بالتنسيق مع الإمام والمؤذن والقيم، دون أن ننسى القيام بمسابقات مثلا في اختيار أنظف حي، ينظمها كذلك القائمون على المسجد وتقديم جوائز كمحفزات وكتشجيع للحفاظ على البيئة.

وإتباعا للبرنامج الإسلامي في النهوض بالبيئة، من خلال كل النشاطات وغيرها، فإن المسجد يكون قد بدأ يخطو الخطوات الصحيحة في نشر وترسيخ الثقافة البيئية، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الإسلامية، وانطلاقا من دور المسجد في نشر هذه الثقافة، وبالتعاون والتنسيق مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى في هذا المجال، نستطيع أن نحصل على مجتمع مثقف بيئيا، يتعامل مع البيئة بكل عقلانية ورحمة واحترام، انطلاقا من البعد العقدي الذي يعد أهم ركيزة يستقي منها الفرد المسلم نماءه وتوازنه الروحي والثقافي، وصولا إلى سلوك بيئي متزن ومنظم.

الباب الثاني
الدراسة الميدانية

- الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة
- الفصل السادس: تكميم وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة

الفصل الخامس
الإجراءات المنهجية للدراسة

تمهيد
V-1- مجالات الدراسة
V-2- نوع الدراسة
V-3- المناهج المستخدمة في الدراسة
V-4- المعاينة
V-5- أدوات جمع البيانات
V-6- أسلوب التحليل
الخلاصة

تمهيد :

إن البحث في موضوع محدد هو وحدة متكاملة يخدم فيه مختلف الأجزاء الأخرى، وإذا كنا نقوم بتناول كل جزء على حدة، فإن ذلك يكون لأغراض منهجية وعلمية لتقريب الفهم للعناصر والأجزاء ضمن الكل، ومن هنا فإن الحديث عن التوجيه المنهجي للبحث لا يجب أن يوحي للقارئ بأننا نتجاهل التوجه النظري له، بل إن هذا الأخير يؤثر بصورة مباشرة على كل ما يتعلق بالجانب المنهجي، وهذا الارتباط بين طبيعة الموضوع ونموذج الدراسة أو البحث، وبين الإجراءات المنهجية الملائمة والمتماشية معه، هي التي تعرف عادة باسم مبدأ الملاءمة المنهجية أو المواءمة المنهجية أو التكامل المنهجي، والمقصود بذلك هو أن يضع الباحث في اعتباره عند وضع إستراتيجية بحثه، ضرورة تحديد المنهج أو المناهج الملائمة والأدوات المنهجية التي تعينه على إجراء بحثه بالطريقة الأنسب لتحقيق أهدافه.

ولهذا فإن التصميم المنهجي الذي يضعه الباحث، يعد خطوة في غاية الأهمية تتوقف عليها مصداقية البحث ونتائجه، لأنه يهيئ للباحث سبل الحصول على بيانات دقيقة وملائمة من خلال خطة مضبوطة تحدد بدقة الخطوات اللازمة لانجاز العمل في ظروف محددة، وتُجَنِبُ الباحث الكثير من الصعوبات والمشاكل التي قد تحدث في حالة الارتجال أو التسرع، كما أن وضع خطة مسبقة تمكّن الباحث من إعادة النظر في بعض الأمور أو تقييم موضوعي للإجراءات المنهجية، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار مبدئَي المرونة النسبية والموضوعية النوعية لعلم الاجتماع، ومنه المرونة والملائمة المنهجية على وجه التحديد.

وتعد مرحلة إعداد التصميم المنهجي للبحث من أهم مراحل البحث، لأن هذا الأخير هو نجاح التصميم، من حيث دقة اختيار المنهج الملائم والأدوات المناسبة، فكلما كان الاختيار سليما كلما كانت حظوظ نجاح البحث كبيرة، ويمكن للباحث أن يحقق مبدأ الملاءمة المنهجية، بمعنى مدى ملاءمة الإجراءات المنهجية لنماذج البحوث والدراسات المختلفة، إذا استطاع تحديد نموذج بحثه.

V-1- مجالات الدراسة :

V-1-1- المجال العام للدراسة:

إن المجال العام للدراسة هو بلدية عين اعبيد، التي تحتل موقعا استراتيجيا هاما، باعتبارها منطقة عبور ومركز ربط بين المناطق المجاورة منذ فجر التاريخ، والآثار الرومانية المكتشفة مؤخرا بجوار مسجد "أحمد حماني" لأكبر دليل على قِدم المدينة وعراقتها.

مدينة عين اعبيد تابعة إداريا إلى ولاية قسنطينة، والتي تبعد عنها بـ 45 كلم، صنفت كبلدية بموجب المرسوم الصادر بتاريخ 25 أوت 1885، وصنفت كدائرة سنة 1993، وبقرار حكومي لم يصادق عليه بعد فهي مرشحة لتصنف كولاية منتدبة.

تقع بلدية عين اعبيد جغرافيا في أقصى الجنوب الشرقي لولاية قسنطينة على مساحة إجمالية تقدر بـ 323,24 كلم2 (32324 هكتار)، يحدها من الشمال بلدية برج صباط (ولاية قالمة)، من الشمال الشرقي بلدية عين رقادة (ولاية قالمة)، من الجنوب الشرقي بلدية تاملوكة (ولاية قالمة)، من الجنوب بلدية العامرية (ولاية أم البواقي)، من الجنوب الغربي بلدية سيقوس (ولاية أم البواقي)، من الغرب بلدية أولاد رحمون (ولاية قسنطينة)، من الشمال الغربي بلدية ابن باديس (ولاية قسنطينة).

تتشكل بلدية عين اعبيد، والتي هي في نفس الوقت مقر الدائرة من: عين اعبيد كمركز، وأربعة تجمعات حضرية ثانوية هي: المعمرة 20 أوت 1955 من الشمال، برج مهيريس من الجنوب، الكحالشة كبار من الغرب، زهانة من الشرق.

تتميز بمناخ شبه رطب (مناخ المناطق الداخلية) حار صيفا، بارد معتدل شتاءً، حيث تتراوح نسبة تساقط الأمطار سنويا من 450 ملم الى 600 ملم، حيث تبلغ درجة الحرارة المتوسطة 15,4 درجة مئوية، وهي تأثير رياح شمالية غربية مسؤولة في غالب الأحيان على تساقط الأمطار، بينما الشمالية الشرقية غالبا ما تكون جافة وفي بعض الأحيان رطبة، تتميز أراضيها بسهول كثيرة، حيث تشكل مساحة الأراضي الزراعية 79,72 % من مجموع المساحة وهذا ما جعلها منطقة فلاحية مهمة جدًّا، وتحتوي على 2490 هكتار من الغابات أي ما يعادل 8,30 % (تتركز معظمها بغابة عين برناز وبئر شرشم)، ارتفاعها ما بين (870-900 متر) على سطح البحر، وفي الجهة الشمالية الغربية باتجاه بلدية ابن باديس أعلى قمة (جبل أم سطاس) بحوالي 1320 م، وفي المركز (عين اعبيد) جبل مازلة بارتفاع 1070 م، كما تحتوي بلدية عين اعبيد على واديين رئيسيين هما : واد برج مهيريس وواد زناتية وهي تقع في المنطقة (أ) (زلزال متوسط) والتي تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة أي إنجاز على مستوى إقليم البلدية.

- شبكة الطرق:

تتشكل أساسا من :

- ❖ الطريق الوطني رقم 20: الرابط بين ولايتي قالمة وقسنطينة، الذي يعرف كثافة كبيرة نظرا لكثرة مستعمليه.
- ❖ الطريق الولائي رقم 133: الرابط بين عين اعبيد مركز وبلدية ابن باديس من الجهة الشمالية الشرقية، وببلدية تاملوكة من الجنوب الشرقي مرورا بوسط المدينة.
- ❖ الطريق الولائي رقم 07: يربط بلدية عين اعبيد ببلدية العامرية مرورا بوسط المدينة وبرج مهيريس.

❖ الطريق الولائي رقم 15: يربط مركز المدينة بالتجمع الثانوي المعمرة 20 أوت 1955.
❖ طرق بلدية تربط مركز المدينة بمختلف المشاتي والأرياف.

- السكك الحديدية:

هناك خط واحد بالموازاة مع الطريق الوطني رقم 20 مرورا بوسط المدينة، وهو في حالة سيئة جدا وغير مستعمل حاليا، وقد تم اقتراح مسار آخر لإنجاز خط جديد لتعويض القديم (مشروع خط الخروب-بوشقوف).

- المواصلات:

بحكم موقعها الجغرافي المهم جدا بين (ولاية قالمة – ولاية قسنطينة- ولاية أم البواقي)، فإن الوسائل الموجودة والمتوفرة في الحضيرة والمتمثلة في الحافلات الخواص وسيارات الأجرة تبقى غير كافية لسد حاجيات المسافرين.

- الطاقة الكهربائية:

تمر عبر إقليم بلدية عين اعبيد ثلاثة خطوط كهربائية تتمثل في:
❖ خط كهربائي متوسط الضغط ذي قدرة 30 KVA
❖ خطين ذوي الضغط العالي بقدرة 90 KVA
وبلغت نسبة التغطية حوالي 92 .%

- شبكة غاز المدينة:

تبلغ نسبة التزود بهذه المادة حوالي 70% والتي تقتصر على مركز المدينة، ولقد تم تسجيل عمليات تزويد المناطق الحضرية الثانوية: برج مهيريس – المعمرة 20 أوت 1955 – كحالشة كبار، في المشاريع القطاعية لسنة 2008 والتي تشرف عليها مديرية المناجم والصناعة لولاية قسنطينة والتي انطلقت في عملية الدراسة.

- البريد والمواصلات:

وتتشكل أساسا من :
❖ مكتب رئيس بمركز المدينة.
❖ أربع وكالا بريدية بكل من برج مهيريس – المعمرة 20 أوت 1955- الكحالشة كبار- زهانة.
❖ مركز الشبكة الهاتفية بطاقة 2000 خط.

- شبكة المياه الصالحة للشرب:

تتزود بلدية عين اعبيد بالمياه الصالحة للشرب كما يلي:
❖ **عين اعبيد مركز**: محطة ضخ عين عاركو مرورا بالرصفة على أن يصل إلى الخزانات الموجودة بمازلة حيث يتم توزيعه والذي يغطي نسبة 80% من السكان، والباقي يتم من الخزان القديم المتواجد بوسط المدينة والذي يتزود من برج مهيريس كما سيتم في القريب استغلال الخزان الجديد المتواجد بأعالي ضريبينة.
❖ **التجمع الثانوي زهانة** : كانت تتزود ابتداءًا من البئر الموجودة بقرية بئر الكراطس الذي قلت ونقصت نسبته وأصبح لا يكفي حاجيات تجمعي بئر الكراطس زهانة فقد تم استغلال محطة الضخ ببولقنافد وأصبحت تزود التجمع 100%.

- **التجمع الثانوي المعمرة 20 أوت 1955** :بها خزان مائي يتزود انطلاقا من محطة بخارة.
- **التجمع الثانوي كحالشة كبار** : يتزود انطلاقا من محطة شعبة عين اعبيد.
- **التجمع الثانوي برج مهيريس** : يتزود انطلاقا من برج مهيريس.

ـ شبكة صرف المياه:

تتمثل بالتوصيلات التي تصب في مجمعات رئيسية، والتي تعرف توسيعات جديدة خاصة بالجهة الشرقية والصيانة بالجهة الغربية الشمالية.

ـ السكن والسكان:

الجدول رقم 01: إحصائيات السكن لبلدية عين اعبيد لسنة 2008.

المكان	عدد العائلات	ذكور	إناث	مجموع السكان
عين اعبيد –م-	3622	3732	1102	4850
زهانة	128	92	37	129
كحالشة كبار	238	120	110	233
برج مهيريس	487	314	156	471
لمعمرة 20 أوت	385	276	102	378
المناطق المبعثرة	1144	717	321	1038
المجموع	6004	5251	1828	7099

ونلاحظ أن عدد المساكن الشاغرة مرتفع لأنه يمثل سكنات البناء الريفي المنجزة في إطار برنامج رئيس الجمهورية، وهي لم تُسكن بعد ولكنها مرقمة وتدخل في الإحصاء، إضافة إلى العمارات الجديدة المرقمة وغير المأهولة، وهي كذلك تدخل في عملية الإحصاء.

الجدول رقم 02: إحصائيات السكان لبلدية عين اعبيد لسنة 2008.

المكان	عدد البناءات	مساكن مشغولة	مساكن شاغرة	مجموع المساكن
عين اعبيد –م-	4209	11441	11489	22930
زهانة	100	277	271	548
كحالشة كبار	147	431	436	867
برج مهيريس	342	943	1043	1986
لمعمرة 20 أوت	277	802	814	1616
المناطق المبعثرة	748	2366	2143	4509
المجموع	5823	16260	16196	32456

التعليم:

- واحد وعشرون مدرسة ابتدائية.
- مركز تكوين مهني
- أربع إكماليات
- ثانوية واحدة

ـ الصحة:

- مركز متعدد الخدمات
- ست قاعات علاج

❖ الادارة والخدمات:
مقر دائرة – مقر بلدية – فرع إقليمي للبناء والتعمير (S.U.C.H) – فرع إقليمي للري – فرع إقليمي للأشغال العمومية S.T.P – فرع إقليمي للفلاحة – الحماية المدنية – الدرك الوطني – مقر أمن الدائرة – الضمان الإجتماعي – الضرائب – بنك الفلاحة والتنمية الريفية – مكتب بريدي + أربع وكلات.

- الرياضة والترفيه:
❖ ملعب بلدي (إعداد تغطية أرضية بالعشب الاصطناعي الجيل الرابع) انطلق في شهر أوت 2008.
❖ مركب جواري النشاطات الرياضية والثقافية.
❖ أربع ساحات للعب.حديقة عمومية

- الدين والثقافة:
❖ عشرة مساجد – مقبرة مركزية – مقبرة للشهداء – مكتبة بلدية – مركز ثقافي رئيسي – مركزين ثقافيين فرعيين في كل من برج مهيريس والمعمرة 20 اوت 1955.

- الصناعة:
❖ أزيد من خمسة عشرة محجرة
❖ وحدة انجاز الكتامة (SET-MACO)
❖ وحدة انجاز السقوف المكيفة (ISO-FROID)
❖ أرضيات لصناعة لبنات البناء

V-1-2- المجال الخاص للدراسة:

V-1-2-1- المجال الجغرافي:

إن المجال الجغرافي لمجتمع بحثنا هو بلدية عين اعبيد وقد تعرضنا في بطاقة فنية لها في المجال العام للدراسة.

1-2-2- المجال البشري:

إن المجال البشري في دراستنا يتمثل في مجموع الوحدات الممثلة لمجتمع البحث، وبما أن عنوان بحثنا هو دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، فإن المجال البشري لدراستنا هو مساجد بلدية عين اعبيد، وما تحويه من فاعلين اجتماعيين أي الموظفين وأعضاء الجمعيات المسجدية، وكما أشرنا في الفصل الأول وهو موضوع الدراسة وبالتحديد في عنصر ضبط المصطلحات، فإن دور المسجد يتمثل في مجموع أدوار الفاعلين الاجتماعيين داخله، وهم الأشخاص الذين نجري معهم المقابلة الموجهة، ومعهم نقوم بالاستبيان أي ملأ الاستمارة.

تحتوي بلدية عين اعبيد على عشرة مساجد، والتي تمثل المجال البشري لدراستنا، حيث قمنا بمسح شامل لها، أي غطينا في دراستنا كل مساجد البلدية بدون استثناء.

تتوزع مساجد بلدية عين اعبيد كالآتي:

توجد ثلاثة مساجد داخل البلدية (مركز)، أما باقي المساجد السبعة فهي تتواجد في باقي التجمعات الحضرية الثانوية التابعة للبلدية، وللإشارة فإن جميع هذه المساجد معتمدة ومرخصة من طرف الدولة، أي من طرف نظارة الشؤون الدينية حيث تخضع إلى قوانينها وتسييرها الكامل دون تدخل أي هيئة حكومية أخرى.

❖ **مسجد الشيخ العربي لعلاوي** : وهو أول مسجد أقيم في منطقة عين اعبيد ويعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 1928 من طرف بعض المحسنين آنذاك ويقع مقابل ساحة الشهداء في مركز البلدية، ويعمل به حاليا:

- إمام أستاذ يشرف على جميع مساجد البلدية وهو موظف من طرف النظارة.
- قيمان يعملان بصفة رسمية.
- ثلاثة معلمي قرآن، إثنان منهم يعملان بصفة رسمية ومعلمة قرآن متطوعة تتقاضى منحة رمزية من طرف النظارة.
- عاملي تنظيف يعملان في إطار الشبكة الاجتماعية معينان من طرف البلدية.
- جمعية المسجد وتضم أحد عشر عضوا مرتبة كالآتي:

رئيس الجمعية، نائب رئيس الجمعية، كاتب عام، كاتب عام مساعد، أمين مال، أمين مال مساعد، أما الستة الباقون فهم يمثلون أعضاءًا عاديين، وللإشارة ولعدم الوقوع في التكرار، فإن كل مساجد البلدية تحتوي على جمعية مسجد مرتبة كلها بنفس الطريقة.

❖ **مسجد عمر بن عبد العزيز**: تأسس هذا المسجد سنة 1984 م يقع داخل البلدية مركز، وبالتحديد في حي ضريبينة، ويضم :

- إمام متطوع.
- مؤذن.
- قيم.
- معلمتا قرآن متطوعتان تتحصلان على منحة رمزية من طرف نظارة الشؤون الدينية.
- عامل تنظيف في إطار الشبكة الاجتماعية معين من طرف البلدية.
- جمعية المسجد

❖ **مسجد أحمد حماني**: تأسس هذا المسجد سنة 1998م، يقع داخل التجمع الحضري الرئيسي في البلدية، وبالتحديد في حي البستان، ويعتبر أكبر مسجد في البلدية، ويضم:

- إمام مدرس موظف بصفة رسمية.
- قيمان.
- ثلاثة معلمي قرآن، واحد منهم موظف بصفة رسمية، ومعلمتان متطوعتان تحصلان على منحة رمزية من طرف النظارة.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد أبي ذر الغفاري**: تأسس سنة 1978، وهو ثاني أقدم مسجد في بلدية عين اعبيد، يقع داخل التجمع الحضري الثانوي المسمى بـ " المعمرة 20 اوت 1955"، ويضم:

- إمام مدرس.
- قيم.
- معلم قرآن.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد علي بن أبي طالب** : تأسس سنة 1982، ويقع داخل التجمع الحضري الثانوي " برج مهيريس"، ويضم:
- إمام مدرس.
- قيم يعمل بصفة مؤقتة من طرف نظارة الشؤون الدينية.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد عمر بن الخطاب**: تأسس سنة 1983 م، يقع داخل التجمع الحضري الثانوي " كحالشة كبار"، ويضم:
- إمام مدرس.
- قيم.
- جمعية المسجد

❖ **مسجد الرحمة**: تأسس سنة 2003، وهو أحدث مسجد في بلدية عين اعبيد، ويقع داخل تجمع سكاني صغير يسمى " أولاد جبنون" تابع للتجمع الحضري الثانوي كحالشة كبار، ويضم :
- إمام معلم.
- قيم يعمل بصفة مؤقتة معين من طرف نظارة الشؤون الدينية.
- معلمة قرآن متطوعة تحصل على منحة من طرف النظارة.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد خالد بن الوليد**: تأسس سنة 1980 م يقع داخل التجمع الحضري الثانوي "زهانة"، ويضم:
- إمام معلم.
- قيم.
- معلمة قرآن متطوعة تحصل على منحة رمزية من طرف النظارة.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد طارق بن زياد**: تأسس سنة 1981 م، يقع داخل قرية بئر كراطس التابعة الى التجمع الحضري الثانوي " زهانة"، ويضم:
- إمام معلم.
- قيم في إطار الشبكة الاجتماعية معين من طرف البلدية.
- معلمة قرآن متطوعة تحصل على منحة رمزية من طرف النظارة.
- جمعية المسجد.

❖ **مسجد دوبابي أحمد**: تأسس سنة 1980م، ويقع داخل قرية بولقنافد التابعة إلى التجمع الحضري الثانوي "زهانة"، ويضم:
- إمام معلم.
- قيم يعمل بصفة مؤقتة معين من طرف نظارة الشؤون الدينية.
- جمعية المسجد.

V-1-2-3- المجال الزمني:

وتمثل فترة جمع البيانات والتي استغرقت شهرين، في الفترة ما بين 2008/12/01 إلى غاية 2009/01/31، بحيث تم جمع البيانات التي تتطلبها دراستنا، بداية بزيارة تفقدية متكررة لعدة مرات لمساجد البلدية، وذلك لمعرفة أو التعود على الجو العام لكل مسجد بالصلاة

فيه بعض الأوقات بما في ذلك صلاة الجمعة، ثم تلى ذلك عملية المقابلة الموجهة مع موظفي المساجد وأعضاء الجمعيات كل شخص أو فرد على حدة، وذلك لتسهيل عملية التواصل فيما بعد خاصة عند بداية الاستبيان، هذا الأخير الذي جاء فيما بعد حيث تم النزول إلى الميدان بالاستمارة وطرح الأسئلة، ومحاولة الحصول على البيانات بأنجع طريقة، وللإشارة فإننا وخلال هذه المدة كنا في اتصال دائم مع نظارة الشؤون الدينية للتزود بكل مستجدات طرأت أو ربما تطرأ بأمر من الوزارة في مجال البيئة بشرط ان تكون مفيدة لنا في دراستنا.

V-2- نوع الدراسة:

يتعين على الباحث وهو يضع استراتيجية بحثه أن يحدد أي نوع من الدراسة والبحث سيكون عليه بحثه، إذ على ذلك تحدد الكثير من الخطوات اللاحقة إلى جانب المنهج والإجراءات الأخرى، وإذا كانت كلمة بحث تعني أي نوع من الدراسة والتقصي المنظم والدقيق في مجالات المعرفة للكشف على بعض الحقائق والمبادئ أو إرسائها، فإن هناك العديد من الطرق التي تنطوي تحت هذا التعريف، وإذا علمنا كيف نستخدم هذه الطرق وفي مجالها المناسب، وجعلنا مجهوداتنا البحثية تتسم بالصبغة العلمية فإننا بذلك نستطيع أن نحصل على المزيد من المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها واتخاذها أساسا للحكم على قضية ما، وعلى العموم هناك عدة اعتبارات تساعد الباحث في تحديد نموذج بحثه وتحديد الأهداف المرجوة منها، لعل من أبرزها ما يلي:

- إذا كانت مشكلة البحث تسعى لإلقاء الضوء على ظاهرة أو موقف أو مشكلة عن طريق تحديد خصائصها المميزة أو تصنيفها، أو تفسير بعض متغيراتها وأسبابها، فإن البحث يأخذ الطابع الوصفي.

- إذا كان البحث يهتم بدراسة مشكلة اجتماعية واقعية، ليستعرض ثم يقيم الجهود التي بذلت أو تبذل لمواجهتها، أو توضيح مدى ملاءمة حل معين لهذه المشكلة في مجتمع معين على مجتمع آخر، ففي هذه الحالة توصف الدراسة بأنها تقييمية.

- إذا كانت مشكلة البحث تعالج أمرا جديدا أو مجهولا بالنسبة للباحث ولمن سبقه من الباحثين، فإن الدراسة تدخل ضمن الدراسات والبحوث الكشفية أو الاستطلاعية، ومثل هذه البحوث تسعى لتوضيح مجموعة من المفاهيم والمعلومات التي قد تفيد في إجراء بحوث أكثر دقة، كما أنها قد تهدف لزيادة الألفة مع الموضوع. (غربي، 2006، ص.28)

وهناك عدة أنواع من الدراسات يمكن تلخيصها فيما يلي:

V-2-1- الدراسات التجريبية:

يجري هذا النوع من الدراسات من أجل التحقق من مدى صدق تفسيرات الظاهرة أو خطئها، أو تقصي أسباب حدوثها.

ولعل تسميتها البحوث التجريبية لا يعني بأي حال من الأحوال ذلك التجريب المقصود والمنظم والمضبوط مثلما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية التي تخلو من الدوافع والقيم الإنسانية، مثل هذه الخاصية النوعية التي تميز مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتضفي عليها نوعا من التجديد والحيوية، وعلى هذا الأساس فالقول بالتجريب هنا لا يعني الشيء المحض، حتى إن اعتماد فكرة المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية هو مجرد محاولة تجزيئية غير واقعية، كما يؤكد

ذلك " عبد الباسط عبد المعطي"، جمعت خصائصها حسابيا بناءًا على تقنيات جامدة، وليس وفقا لوجودها العياني الزمني، لأنه في حقيقة الأمر ما يتم اختياره كمجموعة هم أفراد في سياقات مختلفة لا يمكن ان نسقط عليه (مجموعة الأفراد) ما يسمى بالمضاهاة أو المزاوجة الفردية. (عبد الباسط، 1987، ص.159)

V-2-2- الدراسات المقارنة:

ويهدف هذا النوع من الدراسات إلى تحديد سبب الاختلافات ونتائجها بين مجموعات من الأفراد، ولهذا فهي مقارنة وسببية، والحاصل أن الصعوبة تكمن في تحديد السبب الحقيقي من الأسباب الكثيرة، وليس هناك الكثير من التفسيرات للبحث السببي المقارن، ومن أجل ذلك فإن الباحث يستطيع أن يجزم بأن عاملا ما هو السبب أو النتيجة للاختلافات الحاصلة، وتبقى القيمة الكبيرة لهذا النوع من الدراسات تكمن في تحديد الأسباب المحتملة للتباين الملاحظ رغم هذه المشاكل في التفسير. (غربي، 2006، ص.164)

V-2-3- الدراسات الاستشرافية:

وهي تلك الدراسات التي تقوم باستشراف أبعاد المستقبل، وذلك من خلال مناقشة بدائل مجتمع أو ظاهرة أو جماعة أو طبقة اجتماعية معينة، وذلك على اعتبار إمكانية احتمال وجود أكثر من مستقبل بديل يستطيع الإنسان أن يتدخل في رسم بعض معالمه، وهذا النمط ليس آليا يجب الالتزام به، فقد يتضمن بحثا ما نوعين أو ثلاثة أنواع منها، بناءًا على الأهداف العلمية والمجتمعية التي يأمل الباحث تحقيقها من وراء بحثه. (غربي، 2006، ص.166)

V-2-4- الدراسات الوصفية:

وتسمى ايضا الدراسات التشخيصية، وهي التي تركز على وصف طبيعة وسمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد معين وتكرارات حدوث الظواهر المختلفة. (الهمالي، 2003، ص. 190)، وهي تسعى إلى معرفة كيفية وجود الظاهرة بوصفها وتشخيص ملامحها الأساسية، وهناك شرطان أساسيان يجب أن يراعيهما الباحث في الدراسات الوصفية:

- الاقتصاد في الجهد الذي يبذله الباحث للحصول على أكبر قدر من المعلومات.
- التقليل من احتمال التحيز في دراسة الظواهر التي تحدث في أي مرحلة من مراحل الدراسة، بداية من صياغتها ونهاية بالتقرير مرورا بتصميم طرق جمع البيانات، اختيار العينة، عملية جمع البيانات وتحليلها.

V-2-5- الدراسات التاريخية:

وهي التي تهتم بدراسة بعض جوانب الماضي عن طريق الوثائق أو لقاءات شخصية مع من عايشوا تلك الفترة الماضية، وذلك لمعرفة ما حدث بقدر من الدقة ومعرفة الأسباب من وراء ذلك، ولعل ما يجب الانتباه إليه في مثل هذه البحوث هو التأكد من أن الوثائق التي تكون مع الدراسة هي بالفعل للفترة ذاتها وأن الأشخاص هم كذلك، وبعد التأكد من ذلك يجب التأكد أيضا من أن ما تقوله الوثائق أو الأشخاص هو حقيقي بالفعل بمزيد من التمحيص. (غربي، 2006، ص.105)

V-2-6- الدراسات الاستطلاعية:

وهي الدراسات التي تركز على اكتشاف الظواهر أو الوصول إلى استبصارات بشأنها.(مختار، ب ت، ص.190)

وبالتالي تستلزم من الباحث الاستعداد الجيد والدقة في الملاحظة في تدوينها وفي التعبير عن البيانات التي يلاحظها أو يجمعها، وهي عادة ما تجري وراء موضوع تقل فيه المعطيات أو تنعدم، بغية التمهيد لدراسات أخرى مستقبلية أي التوصل إلى تحديد أولويات الموضوعية الجديرة بالبحث مستقبلا، لذلك فإن بإمكان الباحث الاكتفاء بطرح مجموعة من التساؤلات التي تفي بأغراض دراسته، والتي قد يطورها لاحقا إلى فروض جديرة بالاختبار.

ومن أهداف الدراسات الاستطلاعية، زيادة معرفة الباحث بالظاهرة التي يرغب في دراستها أو التوصل إلى معارف جديدة، توضيح بعض المفاهيم التي قد تكون غامضة وغير مفهومة في كثير من الأحيان، إضافة إلى تحديد وترتيب أولويات القضايا والموضوعات الجديرة بالبحث وتزويد الباحثين بأهم القضايا التي قد تكون جديرة بالدراسة والاهتمام من قِبَل ذوي الخبرة والاختصاص. (الهمالي، 2003، ص.96)

-أهمية الدراسات الاستطلاعية:

هناك اتجاه شائع يحط من شأن الدراسات الاستطلاعية ويقلل من قيمتها على أساس أن البحوث التجريبية هي فقط البحوث العلمية، والواقع أن البحوث التجريبية إذا ما أرادت أن تكون لها قيمة نظرية أو اجتماعية فينبغي أن ترتبط بموضوعات أوسع من تلك التي بُحثت في التجربة، وهذا الربط لا يمكن أن ينتج إلا عن استكشاف يسير لأبعاد المشكلة التي يحاول البحث أن يعالجها.

ومع أننا نعالج الدراسات الاستطلاعية باعتبارها وحدة مستقلة إلا أنه من المهم أن ننظر إليها كخطوة مبدئية في عملية البحث، ففي العمل نجد أن أصعب خطوة في البحث هي الخطوة الأولى، والمناهج الدقيقة التي يتبعها الباحث في المراحل الأخيرة من بحثه لن يكون لها إلا قيمة ضئيلة إذا كانت بداية البحث خاطئة أو غير سليمة.

أيا كان الغرض من إجراء الدراسة الاستطلاعية، فإن أصالة الباحث وصحة خطته يلعبان دورا كبيرا في مدى نجاحها، وعلى ذلك يمكن تحديد إجراءات تصميمها للحصول على نتائج ذات قيمة علمية.

- الإجراءات المنهجية لتصميم البحث الاستطلاعي:

أ- استعراض تراث علم الاجتماع الذي له صلة بالموضوع، والذي يرتبط بالمشكلة وكذلك تراث العلوم الأخرى التي قد يكون لها صلة بها، والتي تسمح لنا باستخلاص نتائج في ضوء هذا الموضوع.

ب- تحليل الأسئلة المثيرة بين الأشخاص الذين اهتموا بالمشكلة التي هي موضوع الدراسة.

جـ - دراسة بعض الحالات التي تثري من فهمها للأشخاص الذين قد يكون لهم خبرة عملية بالمشكلة موضوع البحث.

وأغلب الدراسات الاستطلاعية تستعمل واحدة من هذه الطرق، وعلى أية حال فأيّا كان المنهج المستخدم، فينبغي أن يستخدم بمرونة ليتكيف على الطبيعة الخاصة لكل بحث، وعندما تتحول المشكلة التي عادة ما يكتنفها الغموض في البداية إلى مشكلة أكثر تحديدا

ينبغي إجراء تغيرات في إجراءات البحث حتى يمكن جمع البيانات التي تتناسب والتساؤلات والفرضيات التي تبرز خلال الدراسة. (زكي ويسين، 1962، ص. 54)

ـ تساؤلات الدراسة:

لقد تعددت الدراسات السوسيولوجية كلٌّ حسب طبيعة الموضوع المدروس والمنهج المتبع، وطريقة البحث المتبعة ودواعي التعرض لهذا الموضوع، ولهذا نجد الكثير من أنواع الدراسات في مجال علم الاجتماع، ولعلنا تعرضنا إلى بعضها وأهمها، وكان تركيزنا أكثر على الدراسات الاستطلاعية والوصفية، لأن دراستنا التي هي بين أيدينا هي دراسة من هذا النوع، لأننا وكما سبق الذكر لا نملك فيها المعطيات والبيانات الكافية خاصة وأن موضوعنا هذا موضوع جديد تكاد تنعدم الدراسات السابقة في مجاله، بغض النظر على بعض المحاولات والتي تعتبر دراسات مشابهة فقد عالجت قضايا البيئة من منظور إسلامي، أي تعرضت لهذا الموضوع بصفة عامة من خلال القرآن والسنة، وبالمقابل نحاول نحن في هذه الدراسة التركيز أكثر على دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، محاولة منّا وضع خُطَّة أولية لفتح دراسات مستقبلية جديرة بالبحث في هذا الموضوع بالذات، وذلك بمحاولتنا لإعطاء أفكار أو معارف جديدة تساعد ذوي الاختصاص في الخوض والبحث مستقبلا، وذلك من خلال جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها وهذا ما يميز الدراسات الوصفية ولهذا ذكرناها إلى جانب الدراسات الاستطلاعية، وهذا ما جعلنا نكتفي بتساؤلات طرحت في الإشكالية لإثارة الموضوع، واستغنينا عن الفرضيات لجِدَّة الموضوع وقلة إن لم نقل انعدام الدراسات السابقة فيه، فكانت دراستنا مطابقة لهذا النوع من الدراسات أي الاستطلاعية الوصفية.

V-3- المناهج المستخدمة في الدراسة:

إن تنوع المناهج واختلافها ليس فقط من اختصاص علمي إلى آخر، وإنما داخل الاختصاص العلمي الواحد، فبالنسبة لعلم الاجتماع تتنوع المناهج وتتعدد بتنوع الموضوع وتعدد الأهداف والأسس النظرية، ولذا عادة ما يقال عن علم الاجتماع أنه كثير المناهج، وهذا على النقيض من العلوم الطبيعية التي تبحث في مسائل الطبيعة، والتي غالبا ما نجدها تدين بمنهج واحد يكاد يكون هو المنهج التجريبي الذي حدد خطواته (كلود برنار) عندما قال: " الحادث يوحي بالفكرة، والفكرة تقود إلى التجربة وتوجهها، والتجربة تحكم بدورها على الفكرة"، فعلى النقيض من العلوم الطبيعية نجد "العلوم الروحية أو الثقافية" وهو المصطلح الذي استعمله ماكس فيبر ليشير إلى العلوم التي تتناول الإنسان بما فيها علم الاجتماع، بتعدد أنواعها وتعدد مواضيعها تتعدد مناهجها، والإشكال المنهجي في علم الاجتماع تولد عن جدل شهده القرن التاسع عشر ولا زال له صدى حتى في وقتنا الحاضر، وهو حول المنهج الملائم للظاهرة الاجتماعية، فهل يمكن دراستها وفق المنهج العلمي الذي ندرس به الظاهرة الطبيعية؟ أم لا بد من البحث عن منهج آخر يتماشى وطبيعة الظاهرة الاجتماعية؟ فكان الفريق الأول وهم الوضعيون يرون بإمكانية تطبيق المنهج العلمي المعمول به في الظاهرة الطبيعية على الظاهرة الاجتماعية، ومن ثمة سعي البحث الاجتماعي إلى الوقوف على أسباب الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها والتنبؤ بها، وذلك بعد تكميمها أو دراستها وفق أساليب كمية، ولعل الإشارات الأولى لهذا الاعتقاد كانت مع "إميل دوركايم" الذي رأى بضرورة معاملة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء، ربما قبل ذلك تم الاعلان عن هذا التوجه المنهجي مع ذلك الاستعمال الذي جاء به "أوجست كونت" : (الفيزياء الاجتماعية)، فظهرت مع هؤلاء المناهج الكمية، وهي مناهج تقوم على تكميم وقياس الظاهرة الاجتماعية وتبني إزاءها الأساليب الإحصائية.

أما الفريق الثاني فهو الذي عارض إمكانية إخضاع الظاهرة الاجتماعية لما تخضع له الظاهرة الطبيعية من منهج علمي، ودعى إلى ضرورة اعتماد منهج علمي آخر يتماشى وطبيعة الظاهرة الاجتماعية، وقد وجد هذا الفريق ضالته في تراث " ماكس فيبر" وما يسمى لديه (بمنهج الفهم)، وبذلك تظهر مع هذا الفريق " المناهج الكيفية" والتي تعتمد أصلا إلى فهم عمق الظاهرة الاجتماعية إما على مستوى الفاعل الاجتماعي أو على مستوى الفعل الاجتماعي، وذلك عن طريق الوصف العلمي السببي.

فالكمية والكيفية تبقى أساسا لتصنيف المناهج العلمية ولذلك جاءت على صيغة الجمع، كما أن الكم والكيف يبقى كذلك روحا وفلسفة لبعض من المناهج، فبموجب ذلك يقال عن هذه أنها كمية، وعن الأخرى أنها كيفية، لكن من الناحية التقنية الإجرائية نجد اختلافا بين علماء الاجتماع في تحديدهم لعدد مناهج البحث الاجتماعي. (عياد، 2005، ص ص. 51-52)

إن المعنى الاشتقاقي الأصلي لكلمة "منهج"، يَدل على الطريقة أو المنهج الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب، ومنه فإن المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة، وأن العلم الذي يبحث في هذه الطرق يعرف باسم علم المناهج أو علم مناهج البحث. والجدير بالذكر أن هذا العلم قد تكَوَّن على يد الكثير من العلماء المتخصصين وبعض الفلاسفة، ويعد " كنط" (KANT) هو أول من استخدم كلمة منهجية، وقصد بها العلم الذي يبحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة. (محمد الغريب، 1996، ص.77)

والحقيقة أن كلمة "منهج" لم تأخذ معناها الحالي باعتبار أنها مجموعة من القواعد العامة الموضوعة، والتي ينبغي اتباعها من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم،إلا ابتداءًا من عصر النهضة الأوروبية، وذلك على يد "راموس" الذي هو صاحب الفضل في لفت النظر إلى أهمية المنهج في العلوم، ثم جاء بعده " ديكارت" وغيره، وخلال القرن السابع عشر تكونت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي والمتعارف عليه الآن على يد "فرانسيس بيكون" وأتباعه من الذين اهتموا بالمنهج التجريبي، ومن ثمة أصبح المنهج يعني الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة التي تحكم سير العقل وتحدد عملياته، من أجل الوصول إلى نتيجة معلومة.

وتأسيسا على ما سبق، فقد عرف العلماء المنهج بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، وذلك إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون. (غربي، 2006، ص ص.73-74)

وقبل أن نتعرض بشيء من التفصيل إلى أهم المناهج يجدر التذكير بالإطار الفلسفي المرجعي التحليلي للمنهج والذي يتحدد في مجالين وهما: الاستقراء والاستنباط، وسوف نتوقف عند أكثر المناهج تداولا واستعمالا والتي يتفق حولها أغلب علماء المنهجية وهي:

V-1-3- المنهج الوصفي:

يعرف المنهج الوصفي بأنه: « أسلوب من أساليب التحليل الذي يعتمد على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية وتفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة» ، وهناك من يعرفه بأنه : « عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية.

(عبيدات وآخرون، 1999، ص.46) ومن خلال هذين التعريفين نلاحظ أن المنهج الوصفي يقوم على تفسير الوضع القائم للظاهرة موضوع البحث من خلال تحديد ظروفها وأبعادها وتوصيف دقيق للعلاقات بينها بهدف الانتهاء إلى وصف عملي دقيق ومتكامل للظاهرة يقوم على الحقائق المرتبطة بها فعلا.

ولهذا فإن المنهج الوصفي يهتم بوصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد، سواء في صورة كيفية – نوعية، أو في صورة كمية – رقمية، كما أنه قد يقتصر على وصف الوضع القائم الذي توجد عليه الظاهرة في فترة زمنية محددة أو في فترات زمنية تطورية.

ويهدف المنهج الوصفي كخطوة أولى إلى جمع بيانات كافية ودقيقة عن الظاهرة موضوع البحث، ثم كخطوة ثانية تحليل ما تم جمعه من بيانات بطريقة موضوعية من أجل تحقيق الخطوة الثالثة والمتمثلة في التعرف على العوامل المكونة والمؤثرة على الظاهرة، وذلك بالاعتماد على أدوات منهجية مساعدة، والجدير بالملاحظة أن عملية الوصف الموضوعي والتشخيص الدقيق للظاهرة ينبغي أن تراعي مبدأ المرونة النسبية والموضوعية النوعية التي تتميز بها العلوم الاجتماعية وبخاصة علم الاجتماع.

إن أهم ما يميز المنهج الوصفي هو سعيه لتوفير بيانات مفصلة عن الواقع الفعلي للظاهرة أو موضوع الدراسة، كما أنه يقدم في نفس الوقت تفسيرا واقعيا للعوامل المرتبطة بموضوع الدراسة تساعد على قدر معقول من التنبؤ المستقبلي للظاهرة.

وفي الأخير نشير إلى تداول واستعمال المنهج الوصفي بشكل واسع من طرف الباحثين ولو بتسمية جديدة تتمثل في المنهج الوصفي التحليلي، وكأن المناهج الأخرى لا توصف ولا تحلل، والحقيقة أن كل المناهج تشترك مع المنهج الوصفي والتحليل.

V-3-2- منهج المسح الاجتماعي:

وهو أحد المناهج الرئيسية المستخدمة بكثرة بالنسبة للبحوث الوصفية خاصة، ويستعمل لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة ثم تصنيفها وتحليلها، ويبدو أن اصطلاح " المسح" مستعار من ميدان الدراسات الطبيعية، إذ أنه وكما تمسح الأرض لتحديد مساحتها ومعرفة خصائصها الجيولوجية والسطحية، كذلك تمسح الظاهرة الاجتماعية لتحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها التي تتعلق بتركيبها ووظائفها وسلوك الأفراد في تعاملهم مع بعضهم البعض، ولهذا فإنه غالبا ما يستخدم هذا المنهج بقصد إصلاح المجتمع، وذلك طبعا الوقوف على الجوانب المختلفة لظروف الحياة في مجتمع ما، أو في بيئة معينة وعلى الأخص المزدحمة أو الفقيرة من مختلف جوانبها الديمغرافية والاقتصادية والصحية والاجتماعية، سواء فيما يتعلق بمشكلات السكان والعمالة والبطالة، أو المرض والفقر، أو الخدمات المقدمة والسلوك الإنساني وأنشطة الأفراد، وغالبا ما يتبع إجراء هذه المسموح إصلاح لهذا المجتمع من خلال وضع النتائج أمام المسؤولين لتحديد كيفية مواجهة المشكلات المرتبطة بها.

وعليه، فإن المسح الاجتماعي هو عبارة عن صورة واضحة لجميع جوانب المجتمع ومتغيراته المختلفة، بحيث يعرّفه "ويتني" (Whitney) على أنه محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة بيئية معينة، وهو ينصب على الوقت الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، وذلك للاستفادة بها في المستقبل، وخاصة في الاغراض العلمية. (محمد الغريب، 1996، ص.80)

كما تعرفه "بولين يونغ" (P.YOUNG) بأنه دراسة للجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة جغرافية محددة، وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى، وقبولها كنموذج لوضع برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي. (محمد الغريب، 1996، ص.81)

وإذا أردنا تقديم تعريف للمسح الاجتماعي في مجموعة نقاط، نقول بأنه:

- دراسة علمية لظواهر اجتماعية موجودة في جماعة معينة وفي مكان معين.
- يتبعه إصلاح اجتماعي للمجتمع أو البيئة.

يتناول بالدراسة أشياء موجودة بالفعل في الوقت الحاضر.

- يتعلق بالجانب العملي لأنه يحاول الكشف عن الأوضاع القائمة من أجل النهوض بها ووضع خطة أو برنامج للإصلاح الاجتماعي.

أما من حيث الاستعمالات التاريخية لهذا المنهج، فقد طبق لأول مرة في انجلترا من طرف "جون هوارد" أحد رواد حركة الإصلاح الاجتماعي (1776-1790)، والذي اهتم بدراسة حالة السجون بقصد إصلاحها، ثم انتقل هذا النوع من المناهج إلى أمريكا ليستعمل بصورة أوسع من طرف أتباع "هربرت سبنسر"، وعاد ليستعمل في فرنسا على يد "فريديريك لوبلاي" (1806-1882)، حيث اعتُبر بمثابة صورة خاصة من الاستعلام الجماعي. (غربي، 2006، ص ص. 81-82)

V-3-2-1- أنواع المسوح الاجتماعية:

ينقسم المسح الاجتماعي إلى قسمين أساسيين:

- القسم الأول: من ناحية موضوع الدراسة، وهناك مسوح عامة وأخرى خاصة.

أ- المسوح العامة: وهي التي تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية، كدراسة الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية مجتمعة في مجتمع معين، أيا كان حجم هذا المجتمع.

ب-المسوح الخاصة أو المحدودة: وهي التي تهتم بدراسة جانب أو مجال معين يتعلق بنواحي خاصة محددة ومنفردة من الحياة الاجتماعية، كالتعليم أو الصحة ... إلخ.

- القسم الثاني: من ناحية المجال البشري، وتتفرع بدورها إلى قسمين، إما أن تكون شاملة أو عن طريق العينة.

ج- المسوح الشاملة: وهي التي تتناول بالدراسات الشاملة جميع مفردات المجتمع، أي كل أعضاء الجماعة أو المجتمع المحلي كسكان قرية أو مدينة أو حي معين، ويتم ذلك عن طريق الحصر الشامل.

د- المسح بطريقة العينة: وفي هذه الحالة يتم الاكتفاء فقط بدراسة عدد محدد من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوفرة لدى الباحث، غير أن الرابط بين المسح والعينة يطرح محاذير ينبغي مراعاتها.(غربي، 2006، ص ص. 82-83)

V-3-2-2- مزايا المسوح الاجتماعية:

- يعد المسح الاجتماعي ذا فائدة نظرية، لكونه يتم عادة بعد بحوث كشفية حول الظاهرة موضوع الدراسة، في محاولة لجمع حقائق للوصول إلى تعميمات حول الظاهرة.

- يفيد التخطيط من أجل تنمية الحياة الاقتصادية والاجتماعية لأفراد المجتمع، فإذا كان التخطيط يستلزم التعرف على الأهداف المختلفة للجماعة وقياسها كميا وكيفيا وترتيبها تبعا لأولويتها، واستقصاء رغبات الناس والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم ومدى استغلال الإمكانيات، ولهذا فإن التخطيط لكي يكون مفيدا يتطلب توفير البيانات باستمرار، فهذه الأخيرة تجمع من خلال "المسح القبلي"، وتجمع البيانات الثانية من خلال "المسح الدوري" و" المسح البعدي".
- يساعد على دراسة المشكلات وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع، وتقدير الموارد الممكنة التي تستعمل للعلاج والأفراد المعنيين بذلك.
- يفيد في قياس اتجاهات الرأي العام بالنسبة لمختلف المواضيع.

(الغريب،1996، ص ص . 83-85)

ومن خلال ذكرنا لأهم وأشهر منهجين مستخدمين في العلوم الإنسانية وخاصة منها علم الاجتماع، والتي يتفق عليها كل العلماء تقريبا، وهما المنهج الوصفي، ومنهج المسح الاجتماعي، لأنهما المنهجان اللذان اعتمدناهما في دراستنا، فعن المنهج الوصفي فقد اعتمدناه لأن دراستنا قائمة أساسا على الوصف الدقيق والتفصيلي للموضوع المدروس، وذلك بداية بجمع البيانات الكافية والدقيقة عنه، ثم تحليل ما تم جمعه بطريقة موضوعية وصولا في الأخير إلى نتائج يمكن من خلالها التعرف على العوامل المكونة والمؤثرة في الظاهرة أو الموضوع المدروس، وذلك بالاعتماد على أدوات منهجية مساعدة، وهذه الخطوات المختصرة هي خصائص وميزات المنهج الوصفي، أما عن منهج المسح الاجتماعي فقد اعتمدناه كمنهج ثانوي لأن دراستنا تتطابق وهذا المنهج وهو في الأساس أسلوب أو طريقة من طرق المنهج الوصفي، ونقصد بشكل أساسي المسح الشامل حيث اخترنا المسح الخاص إذا نظرنا من ناحية موضوع الدراسة، لأنه يهتم بدراسة جانب أو مجال معين يتعلق بنواحي خاصة محددة ومنفردة من الحياة الاجتماعية، ونعني به في دراستنا الدور الذي يقوم به المسجد في نشر قضية تخص جانبا من جوانب حياة الإنسان الاجتماعية وهي الثقافة البيئية، وأما إذا نظرنا من ناحية المجال البشري فقد اخترنا المسح الشامل وهو الذي يتناول بالدراسة الشاملة جميع مفردات المجتمع، وفي دراستنا لدينا الوحدة في البحث هي المسجد وسنقوم بإذن الله بالمسح الشامل لجميع مساجد بلدية عين اعبيد، ونظرا لتطابق خصائص وميزات هذا المنهج مع دراستنا فقد اعتمدناه خاصة وأنه أي المسح الشامل أسلوب من أساليب المنهج الوصفي.

V-4- المعاينة:

إن المعاينة تفرض نفسها كأسلوب لجمع البيانات عندما يكون الباحث غير قادر على إجراء دراسته على جميع مفردات مجتمع البحث، حيث يلجأ عندها إلى اختيار عينة يجري عليها الدراسة، وهناك شرطان أساسيا لاستخدام المعاينة:

- أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلي، بمعنى أن تكون مفرداتها (وحداتها) حاملة لنفس الصفات الموجودة في مجتمع البحث.
- أن تتوفر لدى جميع مفردات المجتمع الأصلي فرصا متساوية للاختيار ضمن مفردات العينة.

ولكي يكون الاختيار سليما من الناحية المنهجية، ويحقق أهداف البحث، يجب أن يتبع جملة خطوات أهمها:

- تحديد إطار العينة.
- تحديد وحدة العينة.

- تحديد حجم العينة.

V-1-4- أنواع العينات:

V-1-1-4- العينات العشوائية (الاحتمالية):

وهي الأكثر استعمالا وتداولا في البحوث الاجتماعية لأنها تبتعد عن التحيز، وتتضمن عدة أنواع، منها: العشوائية البسيطة والمنظمة والطبقية والمتعددة المراحل والمساحية، وكل منها يخضع لمعايير علمية ملائمة.

وسنتعرض إلى العينة الطبقية والعينة المتعددة المراحل لأنهما الملائمتان لهذه الدراسة وتوفيان بغرض البحث وتناسبانه.

- العينة العشوائية البسيطة:

حيث يُقسم مجتمع البحث إلى قسمين أو أكثر بناءًا على متغيرات ينتقيها الباحث بتمعُّن ورويّة، تمثل طبقات بحيث تكون مفردات كل طبقة متجانسة فيما بينها لحد ما، بينما نجد فروقا واضحة بين كل طبقة وأخرى، ثم يتم بعدها الاختيار العشوائي أو غير العشوائي حسب متطلبات البحث، والجدير بالذكر أن الطبقات وفقا للمعيار المعين، قد لا تتساوى في العدد، فمثلا إذا كان معيار اختيار الطبقة هو السن أو المستوى الدراسي أو غيرها، فإن مَن هم في مستوى عمري معين أو مستوى دراسي واحد لا يتساوون، وهنا يطرح التساؤل: كيف يتم اختيار حجم العينة الفرعية، حيث يحافظ الباحث على الدقة في جمع المعلومات لتأتي معبرة وصادقة؟

وفي هذا الصدد نشير إلى اختيار العينة العشوائية الطبقية بالنسبة لكل فئة أو طبقة فرعية قد يتخذ واحدة من الطرق الثلاثة التالية:

أ- طريقة التوزيع المتساوي:

وتتم هذه العملية بقسمة الحجم الكلي للعينة على طبقات المجتمع الأصلي بالتساوي، بمعنى أن الاختيار الموحد أو التخصيص المتساوي هو الذي يكون واحدا بالنسبة لكل الطبقات، بحيث يتم توزيع حجم العينة الإجمالي على مختلف الطبقات بشكل متساوٍ.

ب- طريقة التوزيع المتناسب:

وفي هذه الحالة يسحب من كل طبقة عددا يتناسب مع حجمها الأصلي، فالطبقة الكبيرة العدد تسحب منها عينة أكبر من العينة التي تسحب من طبقة تكون وحداتها أقل، وهكذا بالنسبة للطبقات الأخرى. فالاختيار المتناسب هو الذي يتماشى مع توزيع مفردات كل طبقة، بحيث يتم اختيار عدد من المفردات يكون متناسبا مع درجة تجانس كل طبقة وحجمها، ويكون بذلك حجم العينة المأخوذة من كل طبقة يتوقف على حجم الطبقة وتناسبها بالنسبة للمجتمع الإجمالي ومدى تباينها أو تجانسها، فإذا كان حجم الطبقة كبيرا أو أنها غير متجانسة، أو هما معا، فإن حجم العينة المأخوذة يكون كبيرا، والعكس صحيح. ولهذا فإن النسبة المئوية تتباين تبعا لذلك، فنجدها بالنسبة للعينة الكلية تختلف عن تلك المأخوذة من كل طبقة، وكذلك الاختلاف بين كل طبقة فرعية ومثيلتها.

ج- طريقة التوزيع الأمثل:

إذا كانت الطريقة التناسبية قد وضعت في اعتبارها الحجم الواقعي لكل طبقة، فقد تجاهلت مدى تجانس أعضاء كل طبقة، وطريقة الاختيار الأمثل تولي أهمية لهذه الخاصية، حيث يجب أن يكون الباحث على علم بمدى تجانس العينة أو تباينها، أو انحرافها المعياري، فكلما كان الانحراف كبيرا كلما كان لزاما زيادة عدد المفردات

التي تسحب، ومعنى هذا أن الاختيار الأمثل يضع في الاعتبار حجم الطبقة ومدى تجانسها أو تباينها.

فالاختيار أو التخصيص الأمثل، يستدعي توزيع حجم العينة على الطبقات على أساس درجة تجانس هذه الطبقة وإدخال عالم التكاليف، فإذا كانت مفردات الطبقة متجانسة فإننا نختار عددا أقل من الوحدات، وكلما قل التجانس ازداد عدد الوحدات التي نختارها من الطبقة، وذلك للتقليل من أخطاء المعاينة، ويمكننا القول بأنه عند استخدام طريقة التوزيع الأمثل، يكون حجم العينة من الطبقة كبيرا عندما يكون حجم الطبقة من المجتمع كبيرا أو أن تباين هذه الطبقة يكون كبيرا، أو أنهما يكونان معا كبيرين. وعند الأخذ بعين الاعتبار عامل التكاليف في تحديد حجم العينة في الطبقة، نجد أن هذا الحجم يقل إذا كانت تكاليف الوحدة كبيرة، والعكس بالعكس، وذلك إضافة لحجم وتباين الطبقة في المجتمع. (غريب، 2005، ص. 239)

V-4-1-2- العينات غير الاحتمالية:

وهي تلك العينات التي لا تخضع للاختيار العشوائي، وإنما يتم انتقاء مفرداتها عن قصد نظرا لطبيعة الموضوع والظروف المؤثرة الأخرى، وهذه العينات نادرة الاستعمال في البحوث الاجتماعية، لأنها تثير شكوك التحيز حولها. ومن بين أهم أنواع العينات نذكر: العينة العمدية، القصدية، الميسرة الحصصية، الكرة الثلجية، التحكمية.

- **العينة العشوائية متعددة المراحل:**

ويطلق عليها أحيانا عينة المجموعات أو العينة العنقودية، وتتصف بالخصائص التالية:

- ☒ تقسيم مجتمع الدراسة إلى تقسيمات رئيسية وفق معيار مناسب يترتب عليه تقسيم المجتمع إلى فئات معينة.
- ☒ يلي ذلك تقسيمات فرعية أخرى على مراحل متتابعة وفق معايير مناسبة مع كل مرحلة.
- ☒ يتوقف عدد مراحل تقسيمات مجتمع الدراسة على أهدافها وخصائص مجتمع الدراسة ومكوناته الرئيسية والفرعية.
- ☒ الاختيارات في جميع مراحل تقسيم المجتمع تتم بصورة عشوائية.(اللحلح وأبوبكر، 2002، ص. 157)

V-4-2- نوعية العينة وكيفية اختيارها في الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة في تحقيقها لأهدافها بالإجابة عن تساؤلات الإشكالية على طريقة المسح الشامل، وذلك بمسح جميع المساجد في بلدية عين اعبيد و المقدر بعشرة مساجد ويقدر مجتمع البحث بالنسبة لرواد المسجد الذين نختار منهم مفردات العينة الفرعية بـ 6300 رائد، أما بالنسبة للأئمة ورؤساء الجمعيات فإننا استعملنا المسح الشامل أي استجوابهم جميعا كل على حدة، حيث يقدر عدد الأئمة بـ 10 أئمة، أما رؤساء الجمعيات فيقدر بـ 10 رؤساء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اعتمدنا العينة متعددة المراحل وذلك بالنسبة لرواد المساجد، حيث قسمناها إلى مرحلتين:

- ◈ **المرحلة الأولى (عينة طبقية تناسبية):**

وفيها تم تقسيم المساجد إلى طبقات، كل مسجد يمثل طبقة، واستخرجنا معدل رواد كل مسجد بجمعهم في كل صلاة، ثم قسمنا المجموع على عدد الصلوات فتحصلنا على المعدل، ثم استعملنا نسبة 5% عندما يكون حجم الجمهور كبيرا وذلك عند القيم (360، 310، 192)، ونسبة 10% عندما

يكون حجم الجمهور صغيرا وذلك عند كل القيم المتبقية باستثناء قيم الجمهور الكبير، فنتحصل في الأخير على عدد رواد المساجد لكل مسجد على حدة، ثم توزع هذه القيمة على أوقات الصلاة، بشرط أن يكون معدل الارتياد هو أسبوع بدءًا من يوم السبت.

جدول رقم 03: اختيار العينة في المرحلة الأولى:

المساجد (الطبقات)	أوقات الصلاة					مجموع الرواد في اليوم	معدل الرواد في اليوم	العينة بنسبة (5%)	العينة بنسبة (10%)
	الصبح	الظهر	العصر	المغرب	العشاء				
العربي لعلاوي	100	300	400	600	400	1800	360	18	
أحمد حماني	90	240	320	500	400	1550	310	15.5	
عمر بن عبد العزيز	80	140	240	300	200	960	192	9.6	
أبوذر الغفاري	40	60	80	100	80	360	72		7.2
علي بن أبي طالب	40	50	60	90	70	310	62		6.2
عمر بن الخطاب	30	55	80	90	70	325	65		6.5
خالد بن الوليد	30	50	70	90	60	300	60		6
طارق بن زياد	30	50	50	70	40	240	48		4.8
الرحمة	20	40	50	70	50	230	46		4.6
دوبابي أحمد	20	40	45	70	50	225	45		4.5

- يقدر مجتمع بحثنا بالنسبة لرواد المساجد بـ 6300 رائدا يوميا موزعين على كل المساجد.

◈ **المرحلة الثانية: عينة طبقية عشوائية** (عرضية موجهة نحو المتعلمين من أول المغادرين):

وفيها تم تقسيم أوقات الصلاة الخمس إلى طبقات أي كل صلاة تمثل طبقة، وكان اعتمادنا كل الصلوات محاولةً منّا إلى استجواب أكبر عدد ممكن من شرائح المتعلمين من رواد المساجد وفي كل وقت، حيث يتم توزيع القيم المتحصل عليها في العينة الأولى من النسبتين 10% و 5% على أوقات الصلاة الخمسة، وذلك عن طريق التناسب الأمثل على أساس 5/1 وتقدر هذه النسبة بـ 20%، فنتحصل على العينة الفرعية الأخيرة، التي على أساسها نقوم باستجواب الرواد باختيار عشوائي وبطريقة عرضية موجهة نحو المتعلمين، حيث نبدأ من أول المغادرين عند نهاية كل صلاة.

وللإشارة فإن العينة المختارة من الرواد في كل صلاة اختيرت بنسبة 5% عندما يَكون حجم الجمهور كبيرا وذلك عند القيم (100، 140، 200، 210، 240، 300، 320، 400، 500، 600)، وبنسبة 10% عندما يكون حجم الجمهور صغيرا نوعا ما وذلك عند باقي كل القيم باستثناء قيم حجم الجمهور الكبير.

جدول رقم 04: اختيار العينة في المرحلة الثانية:

المساجد (الطبقات)	أوقات الصلاة (الطبقات)																			
	الصبح				الظهر				العصر				المغرب				العشاء			
	عدد الرواد	العينة المختارة		مفردات العينة 20% (1←5)	عدد الرواد	العينة المختارة		مفردات العينة 20% (1←5)	عدد الرواد	العينة المختارة		مفردات العينة 20% (1←5)	عدد الرواد	العينة المختارة		مفردات العينة 20% (1←5)	عدد الرواد	العينة المختارة		مفردات العينة 20% (1←5)
		5%	10%			5%	10%			5%	10%			5%	10%			5%	10%	
العربي لعلاوي	100	5		1	300	15		3	400	20		4	600	30		6	400	20		4
أحمد حماني	90		9	2	240	12		2	320	16		3	500	25		5	400	20		4
عمر بن عبد العزيز	80		8	2	140	7		1	240	12		2	300	15		3	200	10		2
أبوذر الغفاري	40		4	1	60		6	1	80		8	2	100	5		1	80		8	2
علي بن أبي طالب	40		4	1	50		5	1	60		6	1	90		9	2	70		7	1
عمر بن الخطاب	30		3	1	55		5.5	1	80		8	2	90		9	2	70		7	1
خالد بن الوليد	30		3	1	50		5	1	70		7	1	90		9	2	60		6	1
طارق بن زياد	30		3	1	50		5	1	50		5	1	70		7	1	40		4	1
الرحمة	20		2	1	40		4	1	50		5	1	70		7	1	50		5	1
دوبابي أحمد	20		2	1	40		4	1	45		4.5	1	70		7	1	50		5	1

- يقدر عدد مفردات العينة الفرعية لرواد المساجد بـ 85 مستجوَبا موزعين على جميع المساجد 5الطبقات-، وعلى جميع أوقات الصلاة (الطبقات)

V-5- أدوات جمع البيانات:

تُعرَّف الاداة بأنها الوسيلة المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات وتصنيفها وجدولتها، وهي ترجمة للكلمة الفرنسية "TECHNIQUE".

واللافت للانتباه أن هناك كثيرًا من الأدوات أو الوسائل التي تستخدم للحصول على البيانات، كما يمكن استخدام عدد من الأدوات معا في البحث الواحد، وذلك لتجنب عيوب أو قصور إحداها، وأيضا للتمكن من دراسة الظاهرة بطريقة علمية ومن كافة الجوانب، ومن الخطأ القول أو الحكم بأن هذه الأداة هي أكثر كفاءة من غيرها، ولهذا فإنه يتعين أن تقيم الأدوات المختلفة لجمع البيانات في ضوء كفاءة كل منها في القيام بالمهمة التي اختيرت لها.

وإذا كانت أدوات البحث متعددة، فإن لكل أداة مزاياها وأوجه قصورها عند استخدامها في أي بحث، أو في التعامل مع مجتمع بحث، والجدير بالذكر أن مزايا واحدة من أدواة البحث هو تجنب لعيوب أداة أخرى، ولهذا يمكننا القول أن هناك أفضل الأدوات وأكفأها التي تتفق مع دراسة موضوع دون غيره، وليس معنى هذا أن لكل بحث أداته الخاصة به، وذلك وفقا لمبدأ

المرونة المنهجية الذي ينهض على استخدام أكثر من أداة لجمع البيانات، على اعتبار أن كل أداة هي بمثابة ضابط لما تصل إليه الأداة الأخرى من بيانات ومعلومات.

من جهة أخرى، يتوقف اختيار الباحث لأداة دون أخرى على عوامل كثيرة، أي أن بعض الأدوات تصلح أكثر من غيرها في بعض المواقف والبحوث، ولا تصلح بنفس الدرجة في بحوث أخرى، فمثلا يفضل بشكل عام استخدام المقابلة والاستمارة عندما يكون نوع المعلومات اللازمة له علاقة أو صلة وثيقة بعقائد الأفراد واتجاهاتهم نحو موضوع معين، كما يفضل استخدام أداة الملاحظة عند جمع معلومات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي نحو موضوع محدد، هذا وتفيد الوثائق والسجلات والإحصاءات في جمع المعلومات اللازمة عن الماضي.

كما أن موقف المبحوثين من البحث قد يؤثر في تفضيل وسيلة أو أداة على أخرى، فقد يرفضون الإجابة عن الاستمارة أثناء المقابلة، وهنا يتحتم على الباحث الاستعانة بالملاحظة مثلا.

وتنقسم الأدوات المنهجية التي تستعمل لجمع البيانات إلى قسمين:

أ- **الأدوات الأساسية:** ويمكن حصرها في : الملاحظة، المقابلة، الاستمارة (الاستبيان)، الوثائق والسجلات.

ب- **الأدوات المساعدة أو الثانوية**: وتتمثل في الرسومات والأشكال البيانية، والصور الفوتوغرافية، الخرائط، السجلات الصوتية أو التدوين في مذكرات. (غربي، 2006، ص ص. 111-112)

وسوف نتعرض إلى أداتي المقابلة والاستمارة بالعرض والتفصيل، لأنهما الأداتان اللتان سنعتمدهما في دراستنا هذه.

V-1-5- المقابلة:

وهي من أهم أدوات جمع البيانات حول موضوع معين، وتعرف بأنها تفاعل لفظي يتم بين فردين في موقف المواجهة، ويحاول أحدهما (الباحث) أن يعرف بعض المعلومات أو التعبيرات لدى الآخر (المبحوث)، والتي تدور حول خبراته أو آرائه ومعتقداته، وتكون ذات صلة بالظاهرة قيد الدراسة. كما تعرف أيضا بأنها تبادل لفظي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو مجموعة أشخاص. وهناك من يعرفها بأنها طريقة للتحقيق تتميز بالاتصال وجها لوجه، ولذلك فهي تتطلب محققا ماهرا للحصول على بيانات يسأل عنها عدد معينا من الأفراد بطريقة مباشرة.

ومهما كانت التعاريف، فإنها تتفق على أن المقابلة تتم من خلال تواجد الباحث (المقابِل) مع مستقصى منه (مبحوث) واحد أو أكثر في المرة الواحدة، وتوجيه مجموعة من الأسئلة يكون قد تم إعدادها مسبقا لجمع البيانات اللازمة للبحث، وللمقابلة الشخصية أنواع، وهي:

V-1-5-1- المقابلة الموجهة: وهي التي تتم باستخدام قائمة استقصاء نمطية، توجه إلى جميع مفردات العينة المبحوثة، وهذا النوع هو الأكثر شيوعا في البحوث الميدانية، وهي التي تعرف أحيانا بالمقابلة النمطية.

V-1-5-2- المقابلة المتعمقة: وهي التي تعتمد على مجموعة من الأسئلة الرئيسية، أين يقوم الباحث بإثارة تلك الأسئلة ومناقشتها مع المبحوث، ولهذا فهي تستوجب مقابلين على درجة عالية من المهارة، وتصلح في الحالات القليلة العدد.

V-5-1-3- المقابلة الجماعية: وتتم بين مقابل واحد وعدد من المبحوثين مقابلة واحدة، والباحث يدير المناقشة حول موضوع ما، هذا وقد يستعين الباحث بجهاز تسجيل يكون مكشوفا للمبحوثين، لأن إخفاءه يفقد ثقة المبحوثين في الباحث عند كشف حقيقته، وتتم هذه الكيفية عند الحاجة إلى معرفة انطباعات الأفراد حول موضوع أو قضية معينة، أو تفضيل بديل معين، أو عند القيام بالدراسات الاستطلاعية، وأيًّا كان نوع المقابلة المتبعة، فإن المقابلة الاكثر شيوعا واستعمالا بين الباحثين، هي المقابلة الشخصية الموجهة.

ولعل من أهم مزايا المقابلة:

- لا تتطلب أن يكون المبحوث متعلما.
- متابعة الباحث لردود أفعال المبحوث.
- تتصف هذه الأداة بالمرونة، حيث يتم التدخل الفوري والمباشر لتوضيح غموض.
- يمكن التحكم في مدة المقابلة.
- يمكن للباحث أن يكشف التناقضات في إجابات المبحوثين.
- الحصول على المعلومات من مصادر مباشرة دون أي وسيط.

بإمكان الباحثين العودة مرة ثانية والتأكد من المعلومات. (غربي،2006، ص ص. 119-120)

وفي دراستنا هذه اعتمدنا المقابلة الموجهة كأداة لجمع البيانات، باعتبارها النوع الذي يتطابق ودراستنا الميدانية، حيث قمنا بإجراء مقابلات منفردة مع كل موظف من موظفي كل مسجد من مساجد مجتمع بحثنا، إضافة إلى إجراء مقابلات منفردة مع كل عضو من أعضاء كل جمعية مسجد من ذات المساجد (مساجد مدينة عين اعبيد) وبدون استثناء، وكذلك أجرينا مقابلات مع بعض المصلين المترددين على المسجد، وذلك لأخذ رأيهم في الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية وهذا بطبيعة الحال للتأكد من بعض المعلومات المستخلصة ميدانيا بواسطة الاستمارة من جهة، ولتدعيم البيانات المحصل عليها من جهة ثانية.

إضافة إلى أننا أجرينا مقابلات مع بعض المسؤولين في نظارة الشؤون الدينية لولاية قسنطينة، وذلك للوقوف أكثر على حقيقة الممارسات المسجدية في مجال الثقافة البيئية.

V-5-2- الاستمارة:

وهي من أهم الأدوات المنهجية، أو هي الإجراء الأكثر تجزئة في مراحل البحث العلمي الميداني، أين يصل البحث إلى أقصى دقائقه لتبدأ بعد ذلك مرحلة التركيب، وتستعمل الاستمارة لجمع المعلومات من المبحوثين بواسطة أسئلة مكتوبة يقدمها الباحث بنفسه أو بواسطة البريد، أو يطبقها مع المبحوثين (وبخاصة في حالة ما إذا كان مجتمع البحث أميا).

ومهما كانت تسمية هذه الأداة: استبيان- استقصاء- استبيار، فإن أسئلة الاستمارة تكون منصبة حول معرفة اتجاهات ونوايا ودوافع مفردات مجتمع الدراسة حول موضوع معين، ويؤدي الإعداد الجيد لقائمة الأسئلة التي تتضمنها الاستمارة إلى الحصول على البيانات التي تتفق مع هدف البحث، كما يؤدي سوء إعداد قائمة الأسئلة إلى جمع بيانات غير كاملة أو متحيزة أو لا تتفق مع هدف البحث.

ومن شروط الاستمارة الجيدة أن تكتب بلغة مبسطة ومفهومة وخالية من المصطلحات العلمية (المتخصصة) قدر المستطاع، وبعيدة عن الإسهاب والإطناب، مع مراعاة استخدامها

لغرض الدراسة، كما يجب أن تكون متضمنة جملا قصيرة وواضحة وغير حاملة لأفكار متعددة في آن واحد، مع تجنب التكرار والإعادة (إلا في حالات نادرة ومقصودة للتأكد فقط).

وعلى هذا الأساس واستنادا إلى هذه النقاط المذكورة، قمنا بتصميم ثلاث استمارات، استمارة خاصة بالأئمة وأخرى برؤساء الجمعيات وثالثة خاصة برواد المساجد وتدور محاورها حول دور المسجد في نشر الثقافة البيئية (مساجد بلدية عين اعبيد نموذجا)، وكانت لدينا أربعة محاور صممناها انطلاقا من تساؤلات الإشكالية والمؤشرات المتضمنة في المتغيرين المستقل والتابع، وقد احتوت الاستمارات على تسعة وعشرين سؤالا موزعة على أربعة محاور وهي كالآتي:

المحول الأول: **البيانات الشخصية** وتضمّن خمسة أسئلة بالنسبة للاستمارة الخاصة بالأئمة، وثلاثة أسئلة لكل من الاستمارتين الخاصتين برؤساء الجمعيات ورواد المساجد.

المحور الثاني: **دور أئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية**. وتضمّن أحد عشر سؤالا ويمثل الاستمارة الأولى الخاصة بالأئمة.

المحور الثالث: **رأي رواد المساجد فيما يقوم به المسجد بخصوص نشر الثقافة البيئية** وتضمّن ستة أسئلة ويمثل الاستمارة الثانية الخاصة برؤساء الجمعيات.

المحور الرابع: **مدى مشاركة جمعيات المساجد في نشر الثقافة البيئية** وتضمّن سبعة أسئلة ويمثل الاستمارة الثالثة الخاصة برواد المساجد.

V-6- أسلوب التحليل:

وللإشارة فقد اعتمدنا في عملية تحليل ومعالجة البيانات على عمليات مترابطة ومتناسقة ومتداخلة من الوصف والتفسير والتنظيم لكي تساعد على تحقيق أهداف البحث بكل دقة وعلمية وهي:

- **أ- الأسلوب الكمي:**

اتبعت الدراسة الأسلوب الكمي، بحيث تم تكميم المعطيات الواقعية المتحصل عليها من استمارة البحث، وذلك عن طريق تصنيف وتبويب وحساب النسب المئوية وتمثيلها في الجداول

- **ب- الأسلوب الكيفي:**

وقد تمثل في عمليات استعراض هذه البيانات ووصفها وتفسيرها وتحليلها لإعطائها معاني كيفية في إطار الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها هذه الدراسة، وكذلك في إطار ربط ما توصلت إليه الدراسة بالدراسات المشابهة، والتراث السوسيولوجي في طرحه لقضايا البيئة بصفة عامة، وبالمقابل الطرح الإسلامي المُجَسَدُ في المسجد ودوره في نشر الثقافة البيئية بصفة خاصة.

الخلاصة :

لعل أهم خطوة يمكن من خلالها الحكم على بحث معين بنجاحه، هي التصميم المنهجي للبحث، فكلما كانت عملية التصميم أكثر دقة وعلمية، كان البحث أكثر مصداقية في نتائجه أي تحقيق النجاح المنشود في ذلك، وتتم هذه العملية بدرجة أولى انطلاقا من اختيار المنهج المناسب والملائم، إضافة إلى أدوات جمع البيانات التي يفترض أن تكون مناسبة، ومنه يتم تحقيق ما يسمى بالملائمة المنهجية، أي مدى ملاءمة الإجراءات المنهجية للبحث مع نوع ونموذج الدراسة.

ولعلنا في دراستنا قد حاولنا قدر الإمكان تقصي الدقة والعلمية في تصميمنا لبحثنا بصفة عامة، أي التوجيه النظري، وبالأخص في التوجيه المنهجي وذلك بوضع تصميم دقيق علمي يتلاءم ونوع الدراسة، وحاولنا قدر الإمكان تحقيق تلك الملاءمة المنهجية، بداية بمجالات الدراسة، ثم نوع الدراسة، ثم المناهج المستعملة في البحث، ثم المعاينة ثم أدوات جمع البيانات حيث اعتمدنا أداتي المقابلة والاستمارة، وأخيرا أسلوب التحليل.

الفصل السادس
تكميم وتحليل البيانات الميدانية ونتائج الدراسة

تمهيد

VI-1- تكميم و تحليل البيانات الميدانية

VI-2- نتائج الدراسة

تمهيد:

إن الجانب الميداني في الدراسة يعد الجانب الأهم والمجَسِّد لما جاء في الجانب النظري، خاصة منه مرحلة تفريغ البيانات وتكميمها وتحليلها، والوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة في ضوء المتغيرات والأبعاد الأساسية للبحث، وتأتي هذه المرحلة بعد النزول إلى الميدان وإتمام الدراسة الميدانية بتطبيق الاستمارة على عينة البحث، حيث يتم كخطوة أولى تفريغ البيانات المتحصل عليها في الميدان وذلك من خلال الاستمارة، حيث يمثل كل سؤال من أسئلتها بجدول بسيط، ثم تأتي الخطوة الموالية والمتمثلة في التعليق على الجداول وتحليل البيانات تحليلا كميا وكيفيا.

ثم في الأخير الوصول إلى نتاج يتم مناقشتها من خلال متغيرات ومؤشرات البحث وأبعاده الأساسية، وكل هذه الخطوات بطبيعة الحال تتم بغية تحقيق أهداف البحث.

ولتحقيق هذه المساعي اعتمدت هذه الدراسة من خلال كل هذه الخطوات المذكورة في الجانب الميداني، بدءًا من جمع المعطيات بغرض تحليلها واستخلاص النتائج التي تبرز الجوانب الأساسية للظاهرة، على محورين أساسيين هما:

- **تكميم وتحليل البيانات الميدانية.**
- **نتائج الدراسة.**

VI-1- تكميم وتحليل البيانات الميدانية :

VI-1-1- الاستمارة الخاصة بالأئمة:

أ - البيانات الشخصية:

في أي دراسة ميدانية تعد البيانات الشخصية جد مهمة، لأنها تمثل صورة واقعية تقدمها عن مجتمع البحث بمختلف خصائصه، ويساعد ذلك بطبيعة الحال على تحليل البيانات وتفسيرها وربطها بالإطار التصويري للدراسة.

وللإشارة فإن دراستنا تشتمل على ثلاث استمارات، تمثل كل استمارة محورا مستقلا بذاته ينبثق من سؤال فرعي من أسئلة الإشكالية الثلاثة الفرعية، ناهيك عن المحور الأول، الذي يمثل البيانات الشخصية ولكل استمارة بياناتها الشخصية الخاصة بها، فعن الإستمارة الخاصة بالأئمة فقد اشتملت على خمسة أسئلة تدور حول، الحالة العائلية، مكان الإقامة، المستوى التعليمي، شهادة التأهيل للوظيفة، الرتبة في الإمامة، وقد تم تكميمها في الجداول التالية:

جدول رقم (01): يبين الحالة العائلية للمبحوثين:

الفئات	التكرارات	النسبة %
أعزب	0	0
متزوج	10	100
مطلق	0	0
أرمل	0	0
المجموع	**10**	**100**

من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (01)، يتضح أن كل الأئمة متزوجون أي بنسبة 100%، ولا يوجد لدينا أي حالة عائلية للأئمة من الحالات المتبقية، أي نسبة كل حالة 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن كل الأئمة متزوجون، مما يعطينا أفرادا ذوي مسؤولية في بيوتهم ماداموا أرباب أسر، وعليه نجدهم يهتمون بنظافة بيوتهم، أي أنهم أكثر اهتماما بموضوع نظافة المحيط والبيئة بصفة عامة.

جدول رقم (02): يبين مكان الإقامة للمبحوثين:

الإقامة	التكرارات	النسبة %
المدينة	**03**	**30**
الريف	**07**	**70**
المجموع	**10**	**100**

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (02)، أن عدد الأئمة الذين يقطنون في الريف هو 07، أي بنسبة 70% وهي أعلى نسبة، أما الأئمة الذين يقطنون في المدينة هو 03، أي بنسبة 30%.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن نسبة الأئمة القاطنين بالريف هو 70%، لأن عدد المساجد الموجودة في المناطق الريفية هو 07 مساجد، أما عددها في مدينة عين اعبيد هو 03 مساجد مما جعل نسبة الأئمة القاطنين في المدينة 30%، ونلاحظ أن الأئمة القاطنين في المدينة أكثر نشاطا من نظرائهم في الريف، وهذا راجع إلى درجة الوعي بالبيئة في المدينة أكثر منه في الريف، وذلك راجع كذلك إلى سهولة التواصل والحصول على المعلومات والاتصال السهل فيما يخص قضايا البيئة في المدينة أكثر منه في الريف، إضافة إلى قرب المساجد في المدينة من السلطات المحلية التي تقوم بالإمدادات والمساعدات بأنواعها المساجد.

جدول رقم (03): يبين المستوى التعليمي للمبحوثين:

المستوى	التكرارات	النسبة %
متوسط	03	30
ثانوي	03	30
جامعي	04	40
المجموع	**10**	**100**

من خلال الإحصائيات الكمية الواردة في الجدول رقم (03)، يتضح أن أربعة من الأئمة أي بنسبة 40% وهي أعلى نسبة ذوي مستوى جامعي، ثم يلي ذلك ثلاثة أئمة ذوي مستوى ثانوي وثلاثة ذوي مستوى متوسط، أي بنسبة 30% لكليهما.

بتحليل هذه النتائج نجد أعلى نسبة هي 40% بالنسبة للمستوى الجامعي للأئمة وهذا يعطي بطبيعة الحال مستوى عالٍ ونتائج ممتازة للنشاطات البيئية التي يمكن أن يقوم بها هؤلاء الأئمة، خاصة في مجال نشر الثقافة البيئية، ثم تليها النسبتان المتساويان البالغتان 30% واللتان تمثلان الأئمة ذوي المستوى المتوسط والثانوي، وهذا لا يعني أن أصحاب هذين المستويين لا يعطيان نتائج جيدة فيما يخص نشر الثقافة البيئية، لأن مستواهم جميعا قد تحسن عند تلقيهم التكوين في الجامعة الإسلامية أو في المعاهد المتخصصة في تكوين الأئمة.

جدول رقم (04): يبين شهادة التأهيل للوظيفة للمبحوثين:

الشهادة العلمية	التكرارات	النسبة %
شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية	02	20
شهادة كفاءة في الإمامة	07	70
شهادة ليسانس في الأدب العربي	01	10
المجموع	**10**	**100**

من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (04)، يتضح أن سبعة من الأئمة أي بنسبة 70% يحوزون شهادة كفاءة في الإمامة، وهي أعلى نسبة ثم يليها اثنان

من الأئمة يحوزون شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية، أي بنسبة 20%، وإمام واحد حائز على شهادة ليسانس في الأدب العربي أي بنسبة 10%.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن سبعة من الأئمة يحوزون شهادة كفاءة في الإمامة من معاهد تكوين الأئمة، وهي معاهد معتمدة من طرف الدولة، تقوم بتكوين الأئمة، ويليها إمامان يحوزان شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية من جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بولاية قسنطينة، ثم يلي ذلك إمام واحد حائز على شهادة ليسانس بالأدب العربي، وهو إمام متطوع، ومن خلال كل هذه المعلومات، يتضح أن كل الأئمة لديهم تكوين جيد ومتميز، وذوو كفاءات لا بأس بها تؤهلهم لتقلد منصب إمام في المسجد، يستطيع من خلال ذلك القيام بالدور الجيد لنشر الثقافة البيئية، خاصة وأن الإسلام كما سبق وأشرنا في الجانب النظري من الدراسة قد اهتم بالبيئة وقضاياها أيما اهتمام، وهذا يساعد الأئمة في القيام بدورهم المنوط بهم في نشر الثقافة البيئية.

وللإشارة فإن الأئمة الحائزين على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية يُعدّون أعلى مستوى من أولائك الذين يحوزون شهادة الكفاءة في الإمامة، لأن التكوين يختلف بينهم من حيث المدة الزمنية، أو مستوى الأساتذة الذين أخذوا العلم على أيديهم، أو الإمكانيات باختلاف أنواعها، فشتان بين جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية وما تزخر به من علم وعلماء، وبين المعاهد الصغيرة المنتشرة في كافة التراب الوطني.

جدول رقم (05): يبين الرتبة في الإمامة للأئمة المبحوثين:

الرتبة	التكرارات	النسبة%
إمام معلم	04	40
إمام مدرس	04	40
إمام أستاذ	01	10
إمام متطوع	01	10
المجموع	10	100

من خلال الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (05)، يتضح أن أربعة أئمة يتقلدون رتبة إمام معلم أي بنسبة 40%، وكذلك نفس العدد والنسبة للأئمة المتقلدين لرتبة إمام مدرس، ثم يليها إمام واحد يتقلد رتبة إمام أستاذ أي بنسبة 10%، وكذلك نفس العدد والنسبة للإمام المتطوع.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن إماما واحدا فقط أي بنسبة 10% يتقلد رتبة إمام أستاذ وهي أعلى رتبة للأئمة، وهو الذي يشرف على مساجد بلدية عين اعبيد كإمام معتمد، ويعتبر الوحيد ذا المستوى العالي والممتاز، أما باقي الأئمة فهم يتقلدون رتبا متفاوتة لكنها أقل مستوى من حيث الاستحقاق العلمي مقارنة مع الإمام الأستاذ، لكن هذا لا ينفي وجود مهارات في الإلقاء والخطابة وغزارة العلم والمعلومات لدى هؤلاء الأئمة.

ب – دور أئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية:

يمثل دور الأئمة في نشر الثقافة البيئية في دراستنا، نصف الدور المنوط بالمسجد للقيام بهذه الوظيفة المهمة، وهي موضوع دراستنا، ولأن الإمام ينوب عن كل موظفي المسجد باعتباره المسؤول الأول عن هذا الأخير، وله دور مهم كفاعل اجتماعي داخله إلى جانب جمعية المسجد لِيُكَوِّنَا معا الدور الكامل للمسجد في نشر الثقافة البيئية، وفي هذه الدراسة انطلقنا من عدة مؤشرات تكون في مجموعها هذا المحور، وتعكس في مضمونها دور الأئمة في نشر الثقافة البيئية، وتدور هذه المؤشرات حول:

البرامج التي ترسلها نظارة الشؤون الدينية بخصوص نشر الثقافة البيئية، طبيعة هذه البرامج، الأساليب المتبعة من طرف الأئمة في تحسيس الناس بالمشاكل البيئية، قيام أو عدم قيام الأئمة بمبادرات فيما يتعلق بنشر الثقافة البيئية، وفيما تتمثل هذه المبادرات، وجود تجاوب أو عدمه من طرف المواطنين، وأسباب عدم التجاوب حسب رأي الأئمة، تعاون السلطات المحلية أو عدمه في الوصول إلى هدف الأئمة من خلال تلك المبادرات أو النشاطات، طبيعة هذا التعاون، تنظيم أو عدم تنظيم نظارة الشؤون الدينية لدورات تكوينية للأئمة خاصة بقضايا البيئية، وأخيرا تقييم الأئمة لعملية نشر الثقافة البيئية، وقد تم تكميم هذه البيانات في الجداول التالية:

جدول رقم (06): يبين التعليمات التي ترسلها نظارة الشؤون الدينية بخصوص نشر الثقافة البيئية:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				0	0
نعم	طبيعة النشاط	التكرارات	النسبة%	10	100
	حضور ملتقيات	0	0		
	تنظيم مسابقات	0	0		
	توجيهات عامة	0	0		
	خطب مكتوبة	10	100		
	أخرى	0	0		
	المجمـــوع الجزئـي	10	100		
	المجمـــوع الكلـــي			10	100

من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (06)، نلاحظ أن كل أئمة المساجد العشرة أي بنسبة 100% أقرُّوا بأن نظارة الشؤون ترسل لهم برامج بخصوص نشر الثقافة البيئية، وقد تمحورت إجاباتهم حول طبيعة هذه البرامج بنسبة 100% أي كل الأئمة حول الخطب المكتوبة، أما باقي الاحتمالات فكانت كلها بنسبة 0% لكل احتمال.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن نظارة الشؤون الدينية أو السلطات الوصية عن المساجد بصفة عامة، مهتمة بقضية نشر الثقافة البيئية، والدليل على ذلك هو إقرار كل الأئمة بأنهم يستقبلون تعليمات وبرامج بيئية من طرف إدارتهم العليا، وأما عن طبيعة هذه البرامج فنجد نسبة 100% من الأئمة أكدوا على أنها تتمثل فقط في الخطب المكتوبة، وهذا ما يدل على عدم تنوع طبيعة البرامج والتعليمات مما يؤدي إلى افتقار كبير في ميكانيزمات عملية نشر الثقافة البيئية، ما يؤدي بدوره إلى صعوبة التواصل والوصول إلى رواد المساجد وترسيخ هذه الثقافة في أذهانهم، فلو كان هناك تنويع في طبيعة البرامج لكانت هناك سهولة ومرونة في

التعامل مع هذا الموضوع، ومنه الوصول إلى ذهنية المصلي وإقناعه بطريقة سهلة ومعمقة وجادّة.

جدول رقم (07): يبين الأساليب المتبعة من طرف الأئمة في تحسيس الرواد بالمشاكل البيئية

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
عن طريق تنظيم حلقات لرواد المساجد	0	0
عن طريق تقديم دروس يومية	0	0
عن طريق خطب الجمعة	10	100
أخرى	0	0
المجمـــوع	10	100

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (07)، على أن كل أئمة المساجد العشرة أي بنسبة 100%، أكدوا على أن الأسلوب الوحيد المتبع من طرفهم في تحسيس رواد المساجد بالمشاكل البيئية هو خطب الجمعة، أما عن باقي الاحتمالات الأخرى فهي غير متبعة من طرفهم، أي نسبة الأئمة المتبعين لها هي 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن تأكيد كل الأئمة وبنسبة 100% على إتباعهم فقط لأسلوب خطب الجمعة، يبين لنا ضيق إطار أو مجال العمل في الوصول إلى هدف نشر الثقافة البيئية، وهذا ما يعطي نتائج ضعيفة وغير مرضية في هذا المجال، وعليه ينتج لدينا رواد مساجد غير متشبعين بثقافة بيئية تمكنهم من التعامل مع البيئة بطريقة عقلانية، وهذا راجع لعدم كفاية الأساليب المتبعة في نشر الثقافة البيئية من طرف الأئمة، على الرغم من أن السلطات الوصية على المساجد تعطيهم كل الحرية في القيام بمبادرات بيئية، وتنويع أساليب العمل البيئي داخل المسجد وخارجه، وهذا انطلاقا من تصريحات مسؤولي نظارة الشؤون الدينية عند إجراءنا للمقابلات معهم، إضافة إلى تصريحات الأئمة في حد ذاتهم التي تؤكد لنا ذلك.

جدول رقم (08): يبين مبادرات الأئمة بخصوص نشر الثقافة البيئية وطبيعتها:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				0	0
نعم	طبيعة المبادرات	العدد	النسبة%	10	100
	محاضرات حول البيئة	0	0		
	حملات تطوعية لنظافة المحيط	10	100		
	تنظيم مسابقات ميدانية حول البيئة	0	0		
	تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة	0	0		
	المجمـــوع الجزئـــي	10	100		
	المجمـــوع الكلـــي			10	100

من خلال الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (08)، يتضح أن كل أئمة المساجد أي بنسبة 100%، صرحوا بأنهم يقومون بمبادرات بخصوص نشر الثقافة البيئية، وقد تمحورت إجابات الأئمة حول طبيعة هذه المبادرات في مبادرة واحدة يقوم بها كلهم، هي القيام بحملات تطوعية لنظافة المحيط، وكانت نسبة الأئمة الذين صرحوا بذلك هو 100%، أي نجد أن باقي أنواع المبادرات غير موجودة، وبتصريح كل الأئمة أي بنسبة 100% كذلك.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن كل الأئمة أي بنسبة 100% يقومون بمبادرات خاصة بخصوص نشر الثقافة البيئية، وكلهم يقومون بمبادرة واحدة وهي حملات تطوعية لنظافة المحيط، حيث نلاحظ من خلال ذلك عدم تنوع المبادرات التي من شأنها أن تنمي الوعي وتُرَسِّخ الثقافة البيئية لدى رواد المساجد، وعليه لا يمكن أن نحصل على أشخاص مثقفين بيئيا بالمعنى الواسع، فهم لا يمارسون إلا شكلا واحدا من أشكال حماية البيئة والمحافظة عليها، وذلك في إطار ضيق جدا، وهو نظافة المحيط فقط، وتبقى الجوانب الأخرى للبيئة، أي من ناحية المعنى الجوهري لها، إضافة إلى قيمتها في حياة الإنسان غامضة ومبهمة، وفاقد الشيء لا يعطيه بطبيعة الحال.

جدول رقم (09): يبين مدى تجاوب رواد المساجد مع المبادرات التي يقوم بها الائمة:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
نعم				10	100
لا	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	0	0
	اللامبالاة	0	0		
	الجهل	0	0		
	انعدام القيم الاخلاقية	0	0		
	أخرى	0	0		
	المجمـــوع الجزئـــي	0	100		
	المجمـــــوع الكلـــــي			10	100

من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (09)، يتضح أن كل الأئمة أي بنسبة 100%، صرَّحُوا بأنهم يجدون تجاوبا كبيرا من طرف رواد المساجد فيما يخص المبادرات البيئية التي يقومون بها والمتمثلة في القيام بحملات تطوعية لتنظيف المحيط، أما عن الأئمة الذين صرحوا بعدم تجاوب رواد المساجد مع مبادراتهم فهم غير موجودين، أي بنسبة 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن كل أئمة المساجد أي بنسبة 100%، أكدوا على تجاوب رواد المساجد معهم عند القيام بحملات التطوع البيئية، وهذا يدل عن استعدادهم التام لحماية البيئة والمحافظة عليها، وهُوَ كذلك دليل قاطع على أنهم تربة خصبة لزرع بذرة الثقافة البيئية في أذهانهم، وما ينقص أو ما يعيق ذلك هو عدم وجود برنامج علمي وعملي مسطر ومنظم من طرف مختصين بيئيين لنشر الثقافة البيئية داخل المساجد، والعمل كذلك بجدية وبحكمة ومداومة وتنويع.

جدول رقم (10): يبين مدى تعاون السلطات المحلية مع الأئمة في تحقيق هدف المبادرات البيئية:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				07	70
نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	0	0
	إمداد بالوسائل المادية	03	30		
	إمداد بالوسائل البشرية	0	0		
	إعانات مالية	0	0		
	أخرى	0	0		
	المجمـــوع الجزئـــي	03	100		
	المجمـــوع الكلـــي			10	100

من خلال الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (10)، يتضح أن سبعة من الأئمة أي بنسبة 70%، صرحوا بعدم تعاون السلطات المحلية معهم في تحقيق أهدافهم من خلال المبادرات التي يقومون بها، ثم يليهم ثلاثة أئمة أي بنسبة 30% الذين صرحوا بتعاون السلطات المحلية معهم في تحقيق أهدافهم البيئية، وقد تمحورت تصريحات الأئمة الثلاثة حول طبيعة هذا التعاون بحصره فقط في الإمداد بالوسائل المادية، أما باقي احتمالات التعاون من طرف السلطات المحلية، فقد صرح الأئمة الثلاثة بعدم ورودها، فكانت نسب تصريح الأئمة بورودها 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن تعاون السلطات المحلية مع أئمة المساجد في تحقيق أهدافهم البيئية المقتصرة على الإمداد بالوسائل المادية فقط، والتي كان عدد الأئمة المصرحين بها هو ثلاثة أي بنسبة 30%، اقتصرت فقط على المساجد الثلاثة الكبيرة الموجودة داخل مدينة عين اعبيد، وحتى هذه الإمدادات غير كافية، مقارنة مع ما يجب أن توفره السلطات المحلية من إمكانيات لتحقيق الأهداف البيئية باختلاف أنواعها سواء كانت حملات نظافة أو توعية، ونلاحظ من جهة أخرى الإهمال الكلي من طرف السلطات المحلية للمناطق الريفية، والدليل على ذلك تصريح أئمة المساجد الموجودة داخل المناطق الريفية، والذين أقروا بعدم تعاون السلطات المحلية معهم في تحقيق أهدافهم، حتى ولو كانت بسيطة والتي تقتصر فقط على الحملات التطوعية لتنظيف المحيط، علما أن هذه المساجد والمناطق الريفية بصفة عامة من مسؤولية السلطات المحلية كما هو الحال بالنسبة لمركز المدينة.

جدول رقم (11): يبين الدورات التكوينية الخاصة بالأئمة بخصوص قضايا البيئة:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
نعم	10	100
لا	0	0
المجموع	10	100

من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (11)، يتضح أن كل الأئمة أي بنسبة 100%، صرّحوا بأن نظارة الشؤون الدينية تقوم بإجراء دورات تكوينية للأئمة بخصوص قضايا البيئة، أما المصرحون بعدم وجود تلك الدورات فنسبتهم هي 0%، وللإشارة فإننا نركز هنا على الدورات التكوينية فقط ليس إلا، وذلك حتى لا يكون هناك تناقض مع ما جاء في الجدول رقم (06).

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن السلطات الوصية على المساجد غير مقصرة وذلك بدليل إجراءها لدورات تكوينية خاصة بالأئمة لرفع المستوى وتلقينهم مفاهيم معلومات حول البيئة، وخاصة في المجال الشرعي الإسلامي، مما يمكنهم بعد ذلك من نشر الثقافة البيئية داخل مساجدهم لدى الرواد بأساليب مختلفة يتلقونها خلال الملتقيات والدورات التكوينية، ناهيك عن باقي التسهيلات التي تقدمها نظارة الشؤون الدينية لهم في مجال البيئة، وهذا ما أكد عليه مسؤولوا النظارة عند استجوابهم خلال المقابلات التي أجريناها معهم عند جمعنا للبيانات، ناهيك عن إقرار الأئمة كلهم أي بنسبة 100% بذلك، سواء فيما يخص الدورات التكوينية أو التسهيلات التي تحدثنا عنها من طرف النظارة، والدليل على ذلك هو عدد الأئمة المصرحين بغير هذا الكلام هو صفر أي 0%.

جدول رقم (12): يبين تقييم الأئمة لعملية نشر الثقافة البيئية:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
فاشلة	07	70
متوسطة	03	30
ناجحة	0	0
المجموع	10	100

من خلال الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (13) يتضح أن سبعة أئمة أي بنسبة 70%، صرّحوا بأن عملية نشر الثقافة البيئية فاشلة، وثلاثة آخرون صرحوا بأن هذه العملية متوسطة النجاح أي بنسبة 30% من مجموع الأئمة، أما الذين صرحوا بنجاح العملية فهم غير موجودين أي بنسبة 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن الأئمة السبعة الذين صرحوا بفشل عملية نشر الثقافة البيئية أي بنسبة 70%، وهم كلهم الأئمة المشرفين على المساجد الموجودة في المناطق الريفية، وهذا راجع إلى الإهمال الكبير من طرف السلطات المحلية لهذه المساجد، إضافة إلى رواد المساجد الذين يعانون كثيرا من الافتقار للوعي والثقافة البيئية، وذلك بسبب صعوبة الاتصال والحصول على المعلومات في المناطق الريفية، وبالمقابل نلاحظ أن ثلاثة من مجموع الأئمة صرحوا بأن عملية نشر الثقافة البيئية متوسطة وهم يمثلون نسبة 30%، وهؤلاء الأئمة يشرفون على المساجد الواقعة داخل المناطق الحضرية عين اعبيد، أين يجدون العون من طرف السلطات المحلية ولو بصفة ضئيلة (الإمداد بالوسائل المادية فقط)، إضافة إلى أن هذه السلطات تقوم بتنظيف الشوارع والمحيط لأنها المسؤولة على ذلك، وهذا بطبيعة الحال يساعد المواطن القاطن في المدينة على اكتساب ثقافة بيئية أحسن من المواطن في الريف، إضافة إلى أن الأول قريب من المعلومات ويَسْهُل عليه الحصول عليها واستيعابها لتوفر الوسائل لذلك مقابل انعدامها في الريف، فنلاحظ أن الأئمة تسهل عليهم عملية نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد بطريقة سهلة جدا، أما عن نجاح العملية بطريقة تامة فنلاحظ أنه ولا إمام صرح بذلك أي بنسبة 0%، لأنه لا يوجد هناك نشاط عملي جدي للنهوض بعملية نشر الثقافة البيئية وخاصة داخل المساجد، وهذا حسب تصريحات الأئمة عند إجراءنا للمقابلات معهم زيادة على ملء الاستمارة.

VI-1-2- الاستمارة الخاصة برؤساء الجمعيات:

أ - البيانات الشخصية:

لقد اشتمل محور البيانات الشخصية في الاستمارة الخاصة برؤساء الجمعيات على ثلاثة أسئلة تدور حول، الحالة العائلية، مكان الإقامة، المستوى التعليمي، تم تكميمها في الجداول التالية:

جدول رقم (01): يبين الحالة العائلية للمبحوثين:

الفئات	التكرارات	النسبة %
أعزب	0	0
متزوج	10	100
مطلق	0	0
أرمل	0	0
المجموع	**10**	**100**

من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (01)، يتضح أن عدد أفراد العينة البالغ عددهم 10 رؤساء جمعيات أي بنسبة 100% هم متزوجون، ولا يوجد هناك لا أعزب ولا أرمل ولا مطلق.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن كل أفراد العينة متزوجين أي بنسبة 100% من رؤساء الجمعيات،أي أنهم يتمتعون بروح المسؤولية نتيجة الخبرة داخل الأسرة، فهم يهتمون بالنظافة داخل بيوتهم ومن ثمة في المحيط الذي يعيشون فيه والبيئة بصفة عامة، وهذا لا ينفي بطبيعة الحال روح المسؤولية لدى العزاب، ولكن تكون الروح أقل حدة لديهم مقارنة مع المتزوجين الذين ليس لهم بُدٌّ ولا خيار أمام تقمص هذه الروح مادام رب أسرة، فنجدهم ينقلون هذه المسؤولية إلى المساجد، خاصة وأنهم رؤساء جمعيات.

جدول رقم (02): يبين مكان الإقامة للمبحوثين:

الإقامة	التكرارات	النسبة %
المدينة	03	30
الريف	07	70
المجموع	**10**	**100**

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (02)، أن عدد رؤساء الجمعيات الذين يقطنون المدينة هو 03 أفراد، أي بنسبة 30% من العدد الإجمالي للرؤساء، أما الذين يقطنون الريف فعددهم 07 أفراد أي بنسبة 70% من العدد الإجمالي لرؤساء الجمعيات.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن عدد رؤساء الجمعيات الذين يقطنون المدينة والذي بلغ عددهم 03، راجع إلى أن عدد المساجد الموجودة داخل مدينة عين اعبيد هو 03 مساجد، وبالمقابل فإن عدد رؤساء الجمعيات في الريف هو 07 لأن عدد المساجد الموجودة في الريف هو 07 مساجد، ونلاحظ أن رؤساء جمعيات المساجد المتواجدة بالمدينة أكثر نشاطا من نظراءهم في الريف، وهذا راجع إلى درجة الوعي بالبيئة داخل المدينة أكثر منه في الريف، وذلك لسهولة التواصل ووصول المعلومات والحصول عليها داخل

المدينة، والعكس صحيح في المناطق الريفية، إضافة إلى أقرب السلطات المحلية من الأماكن الحضرية، يعطي سهولة في الإمداد بمختلف المساعدات للمساجد.

جدول رقم (03): يبين المستوى التعليمي للمبحوثين:

المستوى	التكرارات	النسبة %
متوسط	05	50
ثانوي	05	50
جامعي	0	0
المجموع	**10**	**100**

من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (03)، يتبين أن عدد رؤساء جمعيات المساجد ذوي مستوى المتوسط هو 05 أي بنسبة 50% من العدد الإجمالي، ثم يليه عدد الرؤساء ذوي مستوى الثانوي وهو كذلك 05 أي بنسبة 50%، ثم المستوى الجامعي الذي ينعدم عدد الرؤساء بهذا المستوى.

وبتحليل النتائج، نجد أن نصف عدد رؤساء الجمعيات ذوو مستوى المتوسط، والنصف الآخر ذوو مستوى الثانوي، لكن عدد الرؤساء ذوي المستوى الجامعي فهو 0، وهذا يدل على أنهم لا يتمتعون بمستوى تعليمي عالٍ بما فيه الكفاية، ولا يتمتعون بثقافة بيئية، تمكنهم من تلقينها وترسيخها لدى المواطنين، إلا إذا كانت هناك محاولات محتشمة لا تتعدى تنظيف المحيط وأشياء أخرى عملية ميدانية لا علاقة لها بنشر الثقافة البيئية لدى رواد المساجد.

ب – مدى مشاركة جمعيات المساجد في نشر الثقافة البيئية:

كما قلنا سابقا فإن جمعيات المساجد في بحثنا متمثلة في أعضاء الجمعية ككل، وقد قمنا باستجواب رئيس الجمعية فقط لأنه هو الذي ينوب عن كل الأعضاء ويعد دور جمعية المسجد في نشر الثقافة البيئية بين الرواد والمواطنين مهم جدا، لأنها تمثل نصف الدور الذي يقوم به المسجد في هذا المجال إلى جانب موظفيه، يمثلهم الإمام كمسؤول أول ويكمل النصف الثاني من مجموع الدور المنوط بالمسجد، وذلك كفاعلين اجتماعيين داخله، وفي هذه الدراسة انطلقنا من عدة مؤشرات تُكَوِّن في مجموعها هذا المحور، وتعكس في مضمونها مدى مشاركة جمعيات المساجد في نشر الثقافة البيئية، كشِطر من الدور الذي يقوم به المسجد في ذلك، وتدور هذه المؤشرات حول:

اهتمام رؤساء الجمعيات بموضوع نشر الثقافة بين المواطنين، أهم الموضوعات التي تشغل بالهم في هذا المجال، الجهات التي يعتمدون عليها في تحقيق أهدافهم (نشر الثقافة البيئية)، طبيعة التعاون مع الجهات التي ينسقون معها،التنسيق أو عَدَمُه مع الإمام بخصوص تطبيق برنامج العمل المسطَّر، وطبيعة هذا التنسيق إن كان موجودا، ومدى قناعة رؤساء الجمعيات بما يقدمه الإمام من مساعدات لهم، وقد تم تكميم هذه البيانات في الجداول التالي:

جدول رقم (04): يبين اهتمام رؤساء الجمعيات بموضوع نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				0	0
نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	10	100
	تنظيف المحيط	07	70		
	الاهتمامات بالمساحات الخضراء	03	30		
	توعية المواطنين	0	0		
	إقامة مسابقات لأنظف حي	0	0		
	المجمـــوع الجزئـــي	10	100		
	المجمـــــوع الكلـــــي			10	100

من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (04)،نلاحظ أن كل رؤساء الجمعيات وعددهم 10 أي بنسبة 100%، يهتمون بموضوع نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد، وقد تمحورت اهتمامات 07 من رؤساء الجمعيات حول تنظيف المحيط، ثم 03 منهم أي بنسبة 30%، كان اهتمامهم حول المساحات الخضراء، أما الاهتمامات الباقية فكانت نسبة الاهتمام 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن أعلى نسبة وهي 70% كانت حول تنظيف المحيط، وكان هذا في المناطق الريفية، مما يدل على أن الهم الوحيد الذي يؤرق رؤساء الجمعيات هو تنظيف المحيط، وذلك دلالة على الأوضاع المزرية التي آل إليها المحيط والبيئة بصفة عامة، دون النظر أو الاهتمام بجوانب أخرى كالمساحات الخضراء أو غيرها، ثم نجد نسبة 30% تهتم بالمساحات الخضراء، وهذه النسبة موجودة فقط في 3 مساجد الموجودة في المنطقة الحضرية أي المدينة، فلم يكن هناك اهتمام بتنظيف المحيط، لأن السلطات المحلية حسب المقابلات التي أجريناها، تقوم بهذا الدور داخل المدينة وتقوم بتقديم المساعدات للمساجد عند قيامها بمبادرات حول البيئة وقضاياها، ولهذا تَعَدَّتْ اهتمامات رؤساء الجمعيات إلى المساحات الخضراء، وهذا فقط داخل المدينة، وإهمال هذا الجانب في المناطق الريفية لأنه أمر كمالي مقارنة مع نظافة المحيط حسب رأيهم.

جدول رقم (05): يبين الجهات التي يعتمد عليها رؤساء الجمعيات في تحقيق أهدافهم

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
السلطات المحلية	03	30
جمعيات المساجد الأخرى	0	0
المواطنون	07	70
نظارة الشؤون الدينية	0	0
المجمـــوع	10	100

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (05)، إلى أن 07 من رؤساء الجمعيات أي بنسبة 70% وهي أعلى نسبة، يُقرّون بأن أهم جهة يعتمدون عليها في تحقيق أهدافهم هم المواطنون، ثم يليها 03 من رؤساء الجمعيات الذين يعتمدون على السلطات المحلية لتساعدهم في تحقيق أهدافهم البيئية، أما الجهات المتبقية فلا يعتمد عليها أي رئيس من رؤساء الجمعيات فكانت النسبة المسجلة 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن 70% من رؤساء الجمعيات يعتمدون على المواطنين في تحقيق أهدافهم وهذا في المساجد الموجودة في المناطق النائية، وكون المواطنين هم الذين يساعدونهم، لأنهم هم المتضررون الأوائل من التدهور البيئي أو المحيط، خاصة أننا سبق وأن قلنا أن هذه المناطق تعاني من تراكم النفايات داخل الأحياء، إضافة إلى التهميش من طرف كل السلطات الحكومية، وهذا حسب رأي كل الذين أجرينا معهم المقابلة، وأما عن نسبة 30% والخاصة برؤساء الجمعيات الذين يعتمدون في تحقيق أهدافهم على السلطات المحلية، فهي المنطقة الحضرية أو مدينة عين اعبيد مركز، وهذا ما يدل على اهتمام السلطات المحلية فقط بالمدينة وتهمل باقي القرى والمناطق الريفية التابعة لها، وهذا أكبر دليل على اللاتوازن واللاتوافق في توزيع العمل الاجتماعي أو النشاطات أو الخدمات الحكومية، خاصة في مجال تنظيف المحيط، أي بخصوص النشاطات البيئية.

إضافة إلى عدم التنسيق والتعاون بين جمعيات المساجد فيما بينها لتبادل الخبرات والتعاون الميداني، ومن جهة أخرى فرؤساء الجمعيات ينفون أي تعاون تقدمه نظارة الشؤون الدينية لهم بخصوص البيئة وقضاياها، مع أنها المسؤولة الأولى عن المساجد.

جدول رقم (06): يبين طبيعة التعاون مع الجهات التي تنسق معها جمعيات المساجد:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
امدادات بالوسائل المادية	03	30
امدادات بالوسائل البشرية	07	70
اعانات مالية	0	0
أخرى	0	0
المجمـــوع	10	100

من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (06)، نلاحظ أن عدد رؤساء الجمعيات المقدر بـ 07، أي بنسبة 70% وهي أعلى نسبة، يتلقون مساعدات من الجهات التي ينسقون معها بإمدادات بشرية، ثم يليها 03 من رؤساء الجمعيات أي بنسبة 30%، يتلقون مساعدات مع الجهات التي ينسقون معها بإمدادهم بالوسائل المادية، أما عن الإعانات المالية، أو إعانات من نوع آخر فلا توجد ولهذا كانت النسبتين المتبقيتين 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نجد أن 70% وهي أعلى نسبة من الجمعيات يتلقون مساعدات ذات طبيعة بشرية، لتطبيق برنامج عملهم بخصوص البيئة بصفة عامة، وهذا فقط في المناطق الريفية، أين نجد جمعيات المساجد تتعاون مع المواطنين الذين لا يملكون أي وسيلة للتعاون إلا الجهد العضلي المبذول، والمتمثل في تنظيف المحيط أو غرس أشجار الخ ...، ونجد أن 30% من الجمعيات يتلقون مساعدات من طرف السلطات المحلية، بإمدادهم بالوسائل المادية المتمثلة في وسائل التنظيف من أدوات وجرارات وشاحنات، وهذا في المساجد المتواجدة في المدينة والبالغ عددها 3 مساجد، ومن جهة أخرى نلاحظ أن طبيعة الإمدادات بالنسبة لكل جمعيات المساجد من طرف الجهات التي ينسقون معها تقتصر فقط على الإمدادات المادية والبشرية، ولا يوجد هناك أي مساعدات أو امتدادات

ذات طبيعة أخرى، أي بنسبة 0% من إجابات رؤساء الجمعيات الذين أثبتوا ذلك، وهذه الإمدادات تبقى ناقصة أمام احتياجات جمعيات المساجد في تطبيق برنامجها البيئي، وهذا حسب تصريحات رؤساء الجمعيات عندما أجرينا معهم المقابلة.

جدول رقم (07): يبين مدى تنسيق رؤساء الجمعيات مع الأئمة بخصوص تطبيق برنامج العمل:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				06	60
نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	04	40
	مساعدة عن طريق الخطب والدروس	04	40		
	مساعدة مع السلطات ونظارة الشؤون الدينية	0	0		
	المجمـــوع الجزئـي	04	40		
	المجمـــوع الكلـــي			10	100

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (07)، إلى أن 6 رؤساء جمعيات أي بنسبة60% وهي أعلى نسبة، يصرحون بعدم تنسيقهم مع أئمة المساجد التي يشرفون عليها، يليها 4 رؤساء جمعيات أي بنسبة 40%، يقومون بالتنسيق مع أئمة مساجدهم، وقد تمحورت إجابتهم حول طبيعة هذا التنسيق، والذي يتمثل المساعدة التي يقدمها لهم الإمام بتقديم خطب ودروس مسجدية حول البيئة وقضاياها لترسيخ الثقافة البيئية، حيث كانت نسبة الرؤساء المصَرِّحين بذلك 40%، فيما بلغت نسبة المصَرِّحين بالمساعدة المتمثلة في الوساطة مع السلطات المحلية ونظارة الشؤون الدينية 0%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن رؤساء الجمعيات الذين صرحوا بعدم تنسيقهم مع الإمام والذين بلغت نسبتهم 60% وهي أعلى نسبة، أكدوا لنا من خلال المقابلات التي أجريناها معهم، أن ذلك راجع إلى العلاقات المتوترة بين الجمعيات والأئمة، مما يؤدي ذلك إلى عدم القدرة على تطبيق وإنجاح أي برنامج عمل بيئي مسطر من طرف الجمعية ما لم يكن هناك تنسيق وتعاون بين الطرفين ومنه فشل عملية نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد، ومن جهة أخرى نجد أن رؤساء الجمعيات الذين صرَّحوا بتعاونهم وتنسيقهم مع أئمة مساجدهم بلغت نسبتهم 40%، وقد أكدوا لنا أن هذا التنسيق راجع إلى العلاقة الطيبة بين الجمعية وإمام المسجد، مما جعلهم حسب تصريحاتهم يخطون خطوات لا بأس بها في مجال نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد، حيث يجدون تجاوبا نعهم عند القيام بمبادرات بيئية ميدانية، لكن الملاحظ أن عملية التنسيق بين الجمعيات والأئمة والتي توصف بالمتدنية والرديئة حسب الإحصائيات الواردة في الجدول رقم (07)، حيث إن أغلب الجمعيات لا تنسق مع أئِمَّتِها في تطبيق برامجها البيئية، وهذا التنسيق يرتبط ارتباطا وثيقا بعلاقة أعضاء الجمعية مع الإمام وهذا بتصريح الجميع (رؤساء الجمعيات)، وهذا ما يثبت عدم جدية وموضوعية العمل بترك الحساسيات بعيدا عن العمل للصالح العام، والذي وجد من أجله الطرفين.

جدول رقم (08): يبين مدى قناعة رؤساء الجمعيات بما يقدمه لهم الأئمة من مساعدات:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة%

نعم	04	40
لا	06	60
المجموع	10	100

من خلال البيانات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (10)، يتبين أن عدد رؤساء الجمعيات الذين هم غير مقتنعين بما يقدمه الإمام لهم من مساعدات هو 06 أي بنسبة 60% وهي أعلى نسبة، فيما بلغ عدد الذين هم مقتنعون بما يقدمه لهم الإمام من مساعدات هو 04، أي بنسبة 40%.

وبتحليل هذه النتائج، نلاحظ أن أعلى نسبة هي نسبة رؤساء الجمعيات الذين قالوا بعدم قناعتهم بما يقدمه لهم الإمام من مساعدات، والتي بلغت 60% وهي أعلى نسبة، فيما بلغت نسبة الذين هم مقتنعون بما يقدمه لهم الإمام من مساعدات بـ 40%، ونلاحظ أن نسبة 60% وإن دلت فإنما تدل على القطيعة الموجودة بين الأئمة وجمعيات المساجد في أغلبها، وهذا ما يؤدي إلى تناقص الأدوار الفاعلة داخل المسجد وهذا يحول دون قيام المسجد بدوره في نشر الثقافة البيئية، والدلالات الإحصائية في هذا الجدول مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدلالات الإحصائية في الجدول رقم (09)، حيث إن قناعة أو عدم قناعة الجمعيات بما يقدمه الأئمة من مساعدات مرهونة بطبيعة العلاقة بين الطرفين في طيبتها أو توترها، فرؤساء الجمعيات عدم المقتنعين بما يقدمه الأئمة والبالغ عددهم 06، هم أنفسهم الذين أكدوا لنا عدم التنسيق بينهم وبين الإمام في الجدول رقم (09)، وكذا بالنسبة للمقتنعين بدور أئمتهم، وكلهم أكدوا لنا سواء بالنجاح أو بالفشل المقرون بطبيعة العلاقة، والأدهى أن أغلبية رؤساء الجمعيات لهم علاقات متوترة مع أئمتهم وهم غير مقتنعين بما يقدمونه لهم من مساعدات، هذا إن كانوا مقتنعين بهم كأئمة أصلا، وهذا بطبيعة الحال حسب تصريحاتهم.

VI-1-3- الاستمارة الخاصة برواد المساجد:

أ - البيانات الشخصية:

لقد اشتمل محور البيانات الشخصية في الاستمارة الخاصة برواد المساجد على ثلاثة أسئلة تدور حول، الحالة العائلية، مكان الإقامة، المستوى التعليمي، تم تكميمها في الجداول التالية:

جدول رقم (01): يبين الحالة العائلية للمبحوثين:

الفئات	التكرارات	النسبة %
أعزب	38	44,71
متزوج	43	50,58
مطلق	02	2,35
أرمل	02	2,35
المجموع	**85**	**100**

من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (01)، يتضح أن نسبة المزوجين من أفراد العينة بلغت 50.58% وهي أعلى نسبة، وتليها نسبة العزّاب التي بلغت 44.71%، ثم تأتي نسبتا المطلقين والأرامل المتساويتين، حيث بلغت كلاهما نسبة 2.35%.

وبتحليل هذه النتائج يتضح أن أغلبية أفراد العينة متشكلة من المتزوجين نضيف لهم المطلقين والأرامل، باعتبار أن لديهم خبرة في الحياة الزوجية أي أنهم مارسوا

مسؤولية البيت والأسرة، فنجدهم يتميزون نوعا ما بروح المسؤولية في قضية النظافة في المحيط أو في البيت، أي بالبيئة بصفة عامة، أما النسبة المتبقية 44.71 % فهي تمثل العُزَّاب، ولا نقول أنهم عديموا المسؤولية، ولكنهم حتما سيتمتعون بقلة روح المسؤولية مقارنة مع المتزوجين والمطلقين والأرامل، فاهتمامهم بالنظافة والبيئة لا يكون بنفس الدرجة عند المتزوجين.

جدول رقم (02): يبين مكان الإقامة للمبحوثين:

الإقامة	التكرارات	النسبة %
الريف	41	48,24
المدينة	44	51,76
المجموع	**85**	**100**

يتضح من خلال البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (02)، أن نسبة أفراد العينة الذين يقطنون المدينة قد بلغت 51.76%، ثم تليها نسبة القاطنين في الريف من أفراد العينة، والتي بلغت 48.24%.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن النسبة الكبيرة من أفراد العينة والتي تمثل نسبة 51.76% وتمثل سكان المدينة، والأخرى تمثل سكان الريف بنسبة 48.24%، لكن ليس بينهما فرق كبير في النسبة، حيث يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار هذا الفرق فنجد أن تقريبا نصف أفراد العينة يقطنون المدينة أما النصف المتبقي فيقطنون الريف، حيث نجد أن سكان المناطق الحضرية يتميزون بثقافة بيئية جيدة ومستوى تعليمي عالي، وذلك لتوفر كل شروط الحياة السهلة بما فيها التعليم، وسهولة وصول المعلومة فيما يخص قضايا البيئة أو غيرها إلى المواطن، فنجد سكان المدينة أكثر اهتماما بقضايا البيئة منها لدى سكان الريف الذين يتميزون بثقافة بيئية متدنية مقارنة معها لدى سكان الحضر، وذلك لصعوبة التواصل والاتصال بين المواطن والمؤسسات البيئية المتخصصة وليس المواطنين فيما بينهم.

جدول رقم (03): يبين المستوى التعليمي للمبحوثين:

المستوى	التكرارات	النسبة %
ابتدائي	09	10.59
متوسط	20	23.53
ثانوي	26	30.58
جامعي	30	35.29
المجموع	**85**	**100**

تشير الدلائل الإحصائية الواردة في الجدول رقم (03)، إلى أن نسبة أفراد العينة ذوي المستوى الجامعي بلغت 35.29% وهي أعلى نسبة،تليها نسبة 30.59% مستوى ثانوي، ثم نسبة 23.53% مستوى متوسط، وأخيرا نسبة 10.59% ذوو المستوى الابتدائي.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن النسبة العالية للمستجوَبين من أفراد العينة كانت من نصيب الجامعيين، ثم تليها نسبة الثانويين، مما يدل على المستوى العالي للمستجوَبين، وهذا بطبيعة الحال يعطي دقة أكثر في الإجابات وعمق أكبر في فهم المشكل المطروح، ومن ثمة الحصول على إجابات موضوعية وأكثر علميّة، وللإشارة فإن أغلب المستجوَبين من أفراد العينة ذوي المستوى التعليمي العالي هم من سكان المدينة، وهذا راجع إلى التسهيلات وتوفر الإمكانيات والوسائل التي تساعد على رفع المستوى التعليمي وإتمام الدراسة، ومن جهة أخرى فإن أغلب المستجوَبين من أفراد العينة ذوي المستوى المتدني نوعا ما (المتوسط والابتدائي) هم من سكان الريف، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى التهميش والظروف القاسية التي يعيشها سكان الأرياف، خاصة في مجال التعليم، أين يقطع التلاميذ عدة كيلومترات مشيا على الأقدام في ظروف مناخية قاسية، وهذا للالتحاق بمدارسهم، مما يضطرون إلى التوقف عن الدراسة في سن مبكرة، هذا بالنسبة لأجيال الاستقلال حتى يومنا هذا، وهناك كذلك فئة ممن عايشوا في تعليمهم الابتدائي فترة الاستعمار والظروف القاسية التي عاناها الشعب الجزائري آنذاك مما كان يضطرّهم إلى التوقف عن الدراسة مبكرا هذا إن التحقوا أصلا بمقاعد الدراسة، وكان هذا خاصة في المناطق الريفية.

وبطبيعة الحال هذا التدني في المستوى التعليمي في المناطق الريفية بصفة كبيرة، لا يعطي عمقا كبيرا ولا دقة كافية في الإجابة عن الأسئلة المطروحة، وذلك لعدم القدرة على الفهم الصحيح والتقييم الجيد وانعدام النظرة العلمية والموضوعية للظاهرة أو المشكلة.

ب – رأي رواد المساجد فيما يقوم به المسجد بخصوص نشر الثقافة البيئية:

إن تقييم رواد المساجد لهذه الأخيرة في نشر الثقافة البيئية، مهم جدّا إن لم نقل أنه أهم رأي أو تقييم لهذا الدور، لأن الرواد بكل بساطة هم صدى هذا الدور، فكل نشاط أو عمل أو مبادرة هي موجهة إليهم من طرف الفاعلين الاجتماعيين داخل المسجد، وعلى رأسهم الإمام وجمعية المسجد متمثلة في رئيسها كما أجرينا الدراسة، وعليه فإننا انطلقنا من مجموعة من المؤشرات التي تُكَوِّن هذا المحور وتعكس في مضمونها الدور الحقيقي الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية، وتدور هذه المؤشرات في مجملها حول: اهتمام رائد المسجد بموضوع البيئة، الموضوعات التي تشغل رائد المسجد في مجال البيئة، دور المسجد الحقيقي في الإسلام لنشر الثقافة البيئية، دور المسجد الذي يرتاده الرائد في نشر الثقافة البيئية، الأسباب التي تحول دون قيام المسجد بدوره في نشر الثقافة البيئية، وقد تم تكميمها في الجداول التالي:

جدول رقم (04): يبين اهتمام رواد المساجد بموضوع البيئة:

الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				0	0
نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	85	100
	نظافة المحيط	60	70.59		
	المساحات الخضراء	25	29.41		
	أخرى	0	0		
	المجمـــوع الجزئـي	85	100		
المجمـــوع الكلـــي				85	100

تبين القيم الكمية الواردة في الجدول رقم (04)، أن كل أفراد العينة أي نسبة 100% يهتمون بموضوع البيئة، وقد تمحورت اهتماماتهم حول نظافة المحيط وذلك بنسبة

70.59%، ثم المساحات الخضراء بنسبة 29.41%، ونسبة 0% بالنسبة لعدم الاهتمام بالبيئة وكذلك للاهتمامات الأخرى الخاصة بمجالات البيئة.

وبتحليل هذه النتائج نلاحظ أن كل أفراد العينة مهتمون بموضوع البيئة سواء سكان المدينة أو سكان الريف، ولكن الجدير بالذكر هو نسبة الاهتمام بنظافة المحيط كانت عالية جدا مقارنة مع الاهتمام بالمساحات الخضراء، وهي على التوالي 70.59% و29.41%، وهذا السبب راجع حسب قول المستجوبين إلى أن الشوارع والأحياء تعاني من تكدس النفايات والمنظر البشع الذي تعاني منه الأحياء في المدينة أو في الريف، وهذا ما جعل المستجوبين يختارون الاهتمام بنظافة المحيط، لأنها القضية الأهم حسب رأيهم، وأن الأجدر بمن يهمهم الأمر أن ينظفوا الشوارع والأحياء أولا، ثم إن كانت هناك اهتمامات بالمساحات الخضراء فلا بأس، المهم هو الضروريات (نظافة المحيط) لا الكماليات (المساحات الخضراء)، وهذا راجع للتقصير الفادح من طرف المعنيين بالأمر فيما يخص حماية البيئة ونظافتها، ما جعل تفكير الرواد ينصب حول النظافة دون غيرها من الاهتمامات.

جدول رقم (05): يبين الدور الذي يفترض أن يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية:

العينة / الاحتمالات				التكرارات	النسبة%
لا				0	0
نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	85	100
	القيام بمحاضرات حول البيئة	41	48,24		
	حملات تطوعية لنظافة المحيط	37	43,53		
	تنظيم مسابقات بيئية ميدانية	05	5,88		
	تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة	02	2,35		
	المجمـــوع الجزئـــي	85	100		
	المجمـــوع الكلـــي			85	100

توضح البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (05)، بأن كل أفراد العينة بنسبة 100%، يُقِرّون بأن للمسجد دورًا في نشر الثقافة البيئية شرعا وقانونا وقد تمحورت إجابتهم حول الدور المفترض أن يقوم به المسجد على أرض الواقع، في القيام بمحاضرات حول البيئة وذلك بنسبة 48.24%، وتليها الحملات التطوعية لنظافة المحيط وذلك بنسبة 43.53%، ثم تنظيم مسابقات بيئية ميدانية بنسبة 5.88%، وأخيرا تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة وذلك بنسبة 2.35%، وكان عدد أفراد العينة حسب النسب على التوالي 41، 37، 05، 02.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن أهم الأنشطة التي يفترض أن يقوم بها المسجد لنشر الثقافة البيئية، هو تنظيم بمحاضرات حول البيئة لنشر الوعي والثقافة البيئية، إضافة أي القيام بحملات تطوعية لنظافة المحيط وذلك لتعويد المواطن على القيام بمثل هذه المبادرات والمشاركة فيها، ومن ثمة ترسيخ الثقافة البيئية، وكانت نسبتي هذين النشاطين هي العالية، مقارنة مع نسبتي النشاطين المتبقيين التي يمكن إهمالهما أمام الأولين، وهذه دلالة صريحة على الدور المهم الذي يفترض أن يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية.

جدول رقم (06): يبين الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية على أرض الواقع:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة%
لا	0	0

نعم	الاحتمالات	التكرارات	النسبة%	85	100
	عدم اهتمام الإمام	39	45,88		
	عدم اهتمام جمعية المسجد	05	5,88		
	عدم اهتمام المواطنين	0	0		
	انعدام الثقافة البيئية لدى القائمين على المسجد	03	3,53		
	عدم وجود توجيهات من السلطة الوصية	38	44,71		
	أخرى تذكر	0	0		
	المجمـــوع الجزئـــي	85	100		
	المجمـــوع الكلـــي			85	100

تبين الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (06)، بأن كل أفراد العينة (85 رائدا) ونسبة 100%، يُجمِعون على أن المسجد في الواقع لا يقوم بدوره الحقيقي في نشر الثقافة البيئية، وقد تمحورت إجاباتهم عن الأسباب المباشرة أو غير المباشرة في عدم القيام بهذا الدور، حول عدم اهتمام الإمام، وكان عدد المبحوثين الذين أرجعوا السبب إلى الإمام هو 39 مبحوثا أي بنسبة 45,88% من حجم العينة وهي أكبر نسبة، ثم يليها 38 مبحوثا أي بنسبة 44.70 من حجم العينة وهي ثاني أكبر نسبة، والتي ترجع أسباب القصور في القيام بالدور إلى عدم وجود توجيهات من السلطة الوصية (نظارة الشؤون الدينية)، ثم يأتي 05 مستجوَبين أي بنسبة 5.88%، الذين يرجعون السبب إلى عدم اهتمام جمعية المسجد، ثم 3 مستجوَبين أي بنسبة 3.52%، الذين أرجوا السبب إلى انعدام الثقافة البيئية لدى القائمين على المسجد أي أن فاقد الشيء لا يعطيه حسب المستجوَبين، أما عن المواطنين أو أسباب أخرى تذكر فكانت النسبتين 0%، وللإشارة فلم يذكر أي مستجوَب أن المسجد يقوم بدوره في نشر الثقافة البيئية فكانت نسبة الإجابة بنعم 0%.

وبتحليل هذه النتائج نجد أن أغلبية المستجوبين وبنسبة 45,88% و44,71% وهما أعلى النسب يحمّلون الإمام ونظارة الشؤون الدينية على التوالي مسؤولية قصور المسجد في أداء دوره في نشر الثقافة البيئية، أمّا النسب المتبقية فيمكن إهمالها مقارنة مع هذين النسبتين الكبيرتين اللتان تعبران بصدق عن رأي أفراد العينة.

VI-2- نتائج الدراسة في ضوء تساؤلات الإشكالية :

من خلال هذه الدراسة نحاول الوصول إلى نتائج عامة، مبنية على حقائق علمية موضوعية استقيناها من الواقع الاجتماعي الميداني، للإجابة على تساؤلات الإشكالية، حيث قمنا بجمع البيانات من الميدان، ثم تفريغها في جداول، ثم تحليلها وتفسيرها، وربطها بالجانب النظري حفاظا على الترابط المنطقي والتسلسل المنهجي، لخدمة أهداف وأغراض الدراسة المحددة، والوقوف على مدى إمكانية المسجد أن يقوم بدور نشر الثقافة البيئية، وعليه انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج:

VI-2-1- نتائج الدراسة في ضوء التساؤل الفرعي الأول :

والذي مفاده "ما هو الدور المنوط بأئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية"، وقد خصصنا لهذا التساؤل الفرعي استمارة خاصة بأئمة المساجد، والتي دارت مؤشراتها حول

الدور الذي يقوم به الإمام في نشر الثقافة البيئية ابتداءً من السؤال رقم06 إلى غاية السؤال الأخير رقم 16، فتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية والخاصة بالأئمة:

خلصت الدراسة من خلال النتائج المستقاة من بيانات الجدول رقم (06)، أن السلطات الوصية على المساجد مهتمة بقضية نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد، وهذا بإقرار كل أئمة المساجد العشرة، أي بنسبة 100%، لكن الملفت للانتباه هو طبيعة البرامج التي ترسلها نظارة الشؤون الدينية للأئمة، والتي تقتصر فقط على خطب الجمعة، وهذا بإقرار كل أئمة المساجد كذلك، أي بنسبة 100%، وهذا يعني عدم تنوع البرامج ما يدل على ضعف العملية وقصورها، وذلك لعدم وجود الطرق المتعددة للتواصل بين الإمام والرواد والمقتصرة فقط على خطبة الجمعة من على المنبر، وتكون مرة في الأسبوع، ويستحيل أن تكون كل جمعة الخطبة حول البيئة، ما يؤكد دائما النقص الكبير من جهة عدد الخطب الخاصة بالبيئة، ومن جهة أخرى في الآليات التي من خلالها يمكن ترسيخ ثقافة بيئية لدى رواد المساجد، وهذا ما تؤكده كذلك إحصائيات الجدول رقم (07)، الذي صرح من خلاله كل أئمة المساجد أي بنسبة 100%، على أن الأساليب المتبعة في نشر الثقافة البيئية تقتصر فقط على خطب الجمعة، ما يؤكد كذلك النشاط الهزيل للفاعلين الاجتماعيين داخل المسجد المتمثلين في الأئمة، مع أن نظارة الشؤون الدينية أكدت لنا على لسان مسؤوليها أنها ترخص للأئمة في الاجتهاد بخصوص نشر الثقافة البيئية، وذلك من خلال المقابلات التي أجريناها معهم.

وبخصوص مبادرات الأئمة لنشر وترسيخ الثقافة البيئية، فقد أكد لنا جميعهم أي بنسبة 100% وهذا ما جاء في الجدول رقم (08)، أنهم لا يقومون إلا بمبادرة واحدة فقط وتتمثل في الحملات التطوعية لنظافة المحيط، فنلاحظ أنه لا يوجد هناك تنويع في المبادرات والنشاطات البيئية من طرف الأئمة، وما ممارسة الأئمة لمبادرة واحدة المذكورة آنفا، إلا حتمية بيئية اجتماعية، فلولا كثرة الأوساخ والقمامة والنفايات في الشوارع لما كان هناك أي نوع من المبادرات أصلا لا لتنظيف المحيط ولا غيرها، مما يؤكد أن هذه المبادرة -أي تنظيف المحيط- ما قام بها الأئمة إلا لهدف وحيد وهو نظافة المحيط درءًا للأمراض أو لأي تداعيات أخرى تسببها الأوساخ، وهذا النشاط ليس له أي علاقة بنشر الثقافة البيئية حسب تصريحات الأئمة أنفسهم من خلال المقابلات التي أجريناها معهم، وهذا دليل على أن عملية نشر الثقافة البيئية لا تولى أي اهتمام من طرف الأئمة، وعليه فأنَّى لنا أن نحصل على رائد مسجد مثقف بيئيا، وهو لا يمارس أي نوع من النشاطات البيئية إلا في نطاق ضيق جدا وهو نظافة المحيط، وتبقى كل الجوانب الأخرى للبيئة غامضة لديه خاصة في معناها الجوهري، أي من الجانب الثقافي للبيئة كما ذكرنا في الجانب النظري، أي قلنا إن لنشر الثقافة البيئية لا بد أن نسلك مستويين إحداهما تصور ثقافي روحي وعقدي للبيئة وهو الأهم، ومستوى تابع مادي ملموس، فنجد أن الأئمة من خلال هذه الممارسة الضيقة لنشر الثقافة البيئية، فهم لم يستوفوا حتى شرط التصور المادي للبيئة إلا بنسبة ضئيلة جدا، فما بالك التصور الثقافي العقدي للبيئة، وهو ما لم يمارس أبدا، حتى عند إلقاء خطب الجمعة في مجال البيئة، فلا يكون هناك إلا سرد لبعض الآيات والأحاديث التي تحث على النظافة والطهارة وربطها بالجانب الإيماني، دون التعرض إلى المعنى الجوهري للبيئة في الشريعة الإسلامية.

أما مدى تجاوب رواد المساجد مع المبادرات التي يقوم بها الأئمة، وحسب البيانات الإحصائية في الجدول رقم (09)، فقد أكد لنا كل الأئمة أي بنسبة 100% على التجاوب

الكبير الذي يجده الأئمة من قبل رواد المساجد، وهذا ما يدل على قابلية هؤلاء الرواد مبدئيا لتلقي النصائح والتشجيع والدروس في مجال الثقافة البيئية، أي أن هناك أرضية مهيأة للأئمة لممارسة هذا النشاط المذكور، وعليه فإن مشكلة عدم وجود ثقافة بيئية مرسخة لدى رواد المساجد، تكمن في الأئمة وليس في الرواد، وهذا ما تؤكده الشواهد الكمية في الجدول رقم (09)، وللإشارة فإن تجاوب رواد المساجد مع مبادرات الأئمة المتمثلة في الحملات التطوعية لتنظيف المحيط، ليس دليلا على أن هؤلاء الرواد مثقفون بيئيا، ولكن الأوساخ والقمامة والنفايات المتراكمة بشكل فضيع في الشوارع وخاصة المناطق الريفية، أجبرتهم على الاستجابة لمثل هذه المبادرات، قناعة منهم على رفع الغُبن ودرء الأمراض والمفاسد عن أنفسهم، لأنه لا أحد غيرهم سيفعل ذلك، ولا أحد سيهتم بهم أو يدفع عنهم مضرة أو يجلب لهم نفعا، خاصة في المناطق الريفية وكررناها لنؤكد عليها، لكن هذا لا ينفي وجود بذرة الخير فيهم، وهم مستعدون أتم الاستعداد ليكونوا مواطنين وفاعلين اجتماعيين من دعاة أنصار البيئة، وهذا حسب تصريحاتهم طبعا عندما أجرينا معهم المقابلات.

وفيما يخص مدى تعاون السلطات المحلية مع الأئمة في تحقيق أهدافهم البيئية، فقد أكد لنا 7 أئمة أي بنسبة 70%، على أنهم لا يتلقون أي مساعدات أو تعاون من طرف السلطات المحلية، عند قيامهم بمبادرة تنظيف المحيط، فالاستجابة لا تكون إلا من طرف المواطنين فقط، هذا طبعا في المساجد السبعة الواقعة في المناطق الريفية، أما 3 أئمة المتبقين أي بنسبة 30%، وهم الأئمة المشرفين على المساجد الواقعة في المنطقة الحضرية أي في مركز مدينة عين اعبيد، فقد صرحوا بأن السلطات المحلية تقدم لهم العون عند قيامهم بحملات تطوعية لتنظيف المحيط، بإمدادهم بالوسائل المادية كالجرار والشاحنة وأدوات جمع القمامة، وهذا ما يدل على الإمكانيات أو المساعدات الهزيلة التي تقدمها السلطات المحلية لهذه المساجد، رغم إمكانية إمدادها بأكثر من ذلك هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي لا تقدم أي دعم أو إمداد للمساجد السبعة الأخرى الواقعة في المناطق الريفية، وهذا ما يؤدي إلى تعطل عجلة نشر الثقافة البيئية أكثر فأكثر وبطريقة غير مباشرة، وهذا ما يؤدي إلى تدهور حالة البيئة خاصة في المناطق الريفية، زيادة على ذلك ذكرنا سابقا أنه في هذه المناطق هناك نقص كبير في مستوى الوعي البيئي لصعوبة الاتصال والتواصل البيئي، وصعوبة الحصول على المعلومات، إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطل عجلة النهوض بالبيئة، وعدم التعاون أو قلته من طرف السلطات المحلية، يساعد بطريقة غير مباشرة في تثبيط عزائم الأئمة في نشر الثقافة البيئية، خاصة وأنهم مقصرون كل التقصير في إنجاح هذه العملية، وذلك حسب الشواهد الكمية الواردة في الجداول (06)، (07)، (08)، (09)، ونريد أن ننوه بقضية بسيطة كذلك، وهي التحيز الواضح من طرف السلطات المحلية إلى المناطق الحضرية، وإهمال المناطق الريفية ما يؤكد عدم وجود عدالة اجتماعية، رغم أن السلطات مسؤولة عن المناطق الريفية شأنها شأن المنطقة الحضرية المركزية، وهو ما يؤكد كذلك على ضعف المسيرين والمسؤولين المكلفين بهذه المهام، وهذا كله لا يصب في صالح البيئة حتى وإن كان بطريقة غير مباشرة.

وعن الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (11)، والتي توضح بأن كل أئمة المساجد أي بنسبة 100%ن قد صرحوا بأن نظارة الشؤون الدينية تقوم بإجراء دورات تكوينية للأئمة في مجال البيئة وقضاياها، لتمكينهم أكثر من هذا المجال حتى يكونوا ذوي خبرة

وكفاءة عالية لنشر وترسيخ الثقافة البيئية لدى رواد المساجد، وما هذه الدورات إلا تطبيقا للاتفاقية التي أبرمت بين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ووزارة البيئة وتهيئة الإقليم والسياحة، والتي ذكرناها في الجانب النظري من الدراسة ونستنتج من خلال بيانات هذا الجدول، على عدم تقصير الجهات الإدارية الوصية على المساجد في مجال الثقافة البيئية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو تأكيد واقعي وصريح على أن الخلل يكمن في الأئمة، وهذا بطبيعة الحال استنتاج في نطاق الاستمارة الخاصة بالأئمة، أي انطلاقا من مؤشرات أسئلة هذه الاستمارة وبناءًا على تحليل البيانات الواردة في الجداول التي أفرغنا فيها بياناتها. وفي الأخير نصل إلى تقييم الأئمة لعملية نشر الثقافة البيئية، حيث أكدت الدلائل الكمية الواردة في الجدول رقم (12)، على أن سبعة أئمة من بين عشرة، أي بنسبة 70%، أكدوا على أن عملية نشر الثقافة البيئية فاشلة، والملاحظ أنهم أئمة المساجد السبعة الواقعة في المناطق الريفية، وما تصريحاتهم هذه إلا عبارة عن تراكمات أو تصريحات جاءت طبقا لعدة أسباب أهمها أن المجتمع الريفي يعاني من تخلف كبير في مجال الثقافة البيئية للأسباب المذكورة سابقا، من صعوبة الاتصال والحصول على المعلومات من جهة، ومن جهة أخرى الإهمال والتهميش الذي تعانيه المناطق من طرف السلطات المحلية، إضافة إلى افتقارها لأدنى مقومات أو مظاهر الحماية أو النشاط البيئي، هذا بطبيعة الحال حسب تصريحات الأئمة أنفسهم، ونجد ثلاثة أئمة أي بنسبة 30%، أكدوا على أن عملية الثقافة البيئية متوسطة، وهذا بسبب مواقع المساجد التي يشرفون عليها والواقعة داخل مركز مدينة عين اعبيد، أين نجد أن مستوى الوعي البيئي مرتفع نوعا ما مقارنة معه في المناطق الريفية، وذلك لسهولة الاتصال والوصول إلى المعلومة في المناطق الحضرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى التعاون حتى وإن كان محتشما من طرف السلطات المحلية مع هذه المساجد، مما يزيد أو يساعد في تسريع عجلة نشر الثقافة لبيئية ولو بشكل بسيط.

VI-2-2- نتائج الدراسة في ضوء التساؤل الفرعي الثاني :

والذي مفاده " إلى أي مدى تقوم جمعيات المساجد بالمشاركة في الثقافة البيئية"، وقد خصصنا لهذا التساؤل الفرعي استمارة خاصة برؤساء الجمعيات، التي دارت مؤشراتها حول مدى مشاركة جمعيات المساجد في نشر الثقافة البيئية، وقد أخذنا رؤساء الجمعيات وأجرينا معهم المقابلة كممثلين لجمعياتهم، وكان ذلك ابتداءً من السؤال رقم(04) في الاستمارة، إلى غاية السؤال رقم (08)، فتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية على أساس أسئلة هذه الاستمارة الخاصة بالجمعيات:

تفصح البيانات الكمية الواردة في الجدول رقم (04)، على أن كل رؤساء الجمعيات أقرّوا باهتمامهم الكبير بموضوع نشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد أي بنسبة 100%، وتدور هذه الاهتمامات حول تنظيف المحيط، إضافة إلى الاهتمام بالمساحات الخضراء، والملاحظ أن 70% من رؤساء الجمعيات صرحوا باهتمامهم بتنظيف المحيط، وهم رؤساء جمعيات المساجد الواقعة في المناطق الريفية، و30% منهم صرحوا باهتمامهم بالمساحات الخضراء، وهم رؤساء جمعيات المساجد الواقعة في المنطقة الحضرية، وعليه نستنتج أن رؤساء جمعيات المساجد الواقعة في المناطق الريفية وعددها سبعة، ما اهتمامهم بتنظيف المحيط إلا لأن هذه المناطق الريفية تعاني بشكل كبير من التدهور البيئي وانتشار القمامة والنفايات في كل مكان، وعليه كان تركيزهم الكبير والكلي على النظافة دون غيرها من الاهتمامات، وهذا تأكيد صريح على التدني الفظيع لمستوى الوعي والثقافة البيئية لدى سكان

الأرياف، وذلك راجع إلى عزلة هذه المناطق عن كل ما من شأنه حماية البيئة والمحافظة عليها، وصعوبة الاتصال والتواصل للحصول على المعلومات الكافية حول البيئة وثقافتها، وهذا ما أكدته الدراسة في النتائج المذكورة في ضوء التساؤل الفرعي الأول، أما في المنطقة الحضرية (عين اعبيد)، فاهتمام رؤساء الجمعيات بالمساحات الخضراء، لأكبر دليل على المستوى المرضي للثقافة البيئية لدى الرواد بصفة خاصة أو المواطنين بصفة عامة، فمن خلال مؤشر الاهتمام نلاحظ أنهم إلى جانب عملية تنظيف المحيط، هناك الاهتمام بالمساحات الخضراء، كدليل على سهولة الحصول على المعلومات البيئية وممارستها، كذلك نتائج الدراسة في ضوء السؤال الفرع الأول.

وتؤكد الشواهد الكمية الواردة في الجدولين رقم (05) و(06)، على أن 70% من رؤساء الجمعيات، صرحوا بأن الجهات التي يعتمدون عليها في تحقيق أهدافهم البيئية هي المواطنون فقط دون غيرهم من هيئات حكومية أو غيرها، وللإشارة فإن هذه التصريحات هي للرؤساء المشرفين على المساجد الواقعة في المناطق الريفية، حيث نستنتج أن هنالك تهميش فضيع للرؤساء المشرفين على المساجد الواقعة في المناطق الريفية، من طرف السلطات المحلية بصفة خاصة وباقي الهيئات الحكومية أو غير الحكومية بصفة عامة، للمناطق الريفية بخصوص نشر الثقافة البيئية، مع أن الشؤون الدينية أكدت لنا تعاونها مع المساجد بخصوص القضايا البيئية، ومن خلال تصريحات رؤساء الجمعيات فإن أي تعاون من طرف النظارة يكون بالتنسيق مع الإمام فقط، وهذا ما يؤدي إلى تعطيل عجلة التواصل بين رواد المساجد والفاعلين الاجتماعيين داخلها، مما يثبط عملية نشر الثقافة البيئية وتعطيلها بطريقة أو بأخرى، إضافة إلى أن التعاون الذي يبديه المواطنون هو دليل على النضج الفطري لهؤلاء الناس واستعدادهم لتقبُّل أي نوع من أنواع التدريب أو تلقي الثقافة البيئية، إضافة إلى أن تعاونهم هذا دليل على معاناتهم مما تعاني منه البيئة من تدهور بسبب النفايات والقمامات المتراكمة، ولدينا 30% من رؤساء الجمعيات صرحوا بأن الجهات التي يعتمدون عليها في تحقيق أهدافهم البيئية هي السلطات المحلية بصفة كبيرة، ما يؤكد لنا التمييز الواضح بين المنطقة الحضرية عين اعبيد والمناطق الريفية المجاورة لهذا، وهذا ما تؤكده الشواهد الواردة في الجدول رقم (06)، أما الجدول رقم (07) فهو يؤكد لنا ما ورد في الجدول السادس، حيث نلاحظ أن 70% من رؤساء الجمعيات صرحوا لنا بأن طبيعة التعاون مع الجهات التي ينسقون معها، هي إمداد بالوسائل البشرية ونقصد بها المواطنين وهم نفس الرؤساء الذين صرحوا بأن تعاونهم فقط مع المواطنين فليس لهؤلاء أي وسيلة للتعاون إلا الجهد العضلي، في حين نجد 30% ن الرؤساء وهم المشرفون على المساجد الواقعة في مدينة عين اعبيد المركز، قد صرحوا أن الجهات التي ينسقون معها والسلطات المحلية لا تقدم لهم إلا إمدادات بالوسائل المادية، ونلاحظ أنها إمدادات غير كافية مقارنة مع حجم القضية أو الموضوع وهو البيئة، ومن خلال الشواهد الواردة في الجدولين نستنتج أن النقص الكبير في الجهات التي تتعاون معها الجمعيات في تحقيق أهدافها البيئية، إضافة إلى النقص الكبير وعدم تنوع وسائل الإعانات والمساعدات، كل هذا يؤدي إلى تعطيل عملية نشر الثقافة البيئية، ويدل كذلك على الدور الهزيل الذي تقوم به الجمعيات في هذا المجال.

كما أظهرت نتائج الجدول رقم (07)، المعبرة عن مدى تنسيق رؤساء الجمعيات مع الأئمة بخصوص تطبيق برنامج عملهم البيئي، والتي عبر فيها 60% من الرؤساء على عدم تنسيقهم مع الأئمة، و40% منهم صرحوا بأنهم ينسقون مع أئمة مساجدهم، ويتمثل

هذا التنسيق فقط في إلقاء خطب الجمعة، وعليه فإننا نلاحظ أن أغلبية الجمعيات لا تنسق مع أئمتها، وحسب تصريحات رؤساء الجمعيات في المقابلات التي أجريناها معهم، فإن سبب عدم التنسيق راجع إلى العلاقات المتوترة بين الطرفين وأما الأقلية التي تنسق مع أئمتها، فهذا راجع إلى العلاقات الحسنة والطيبة بين الطرفين، ومن هنا نستنتج أن عملية التنسيق والعمل بين الجمعيات والأئمة مبنية على طبيعة العلاقة بين الطرفين، وليست مبنية على تطبيق برنامج عمل فيما فيه منفعة للمجتمع، أي لا اعتبار لمقياس الجدية والعمل والصرامة، مع أن الطرفين هما ممثلان لأهم مؤسسة تنشئة اجتماعية، خاصة وأنها مرتبطة كل الارتباط بالجانب الروحي العقدي للإنسان وهو أهم جانب فيه، إضافة إلى أن كل طرف في المعادلة المذكورة يعمل بمفرده ويريد كسب تأييد الرواد المسؤولين وإرضائهم للظهور في صورة حسنة، وهذا ما أكده لنا كل طرف محاولة منه لاهتمام الآخر، وهذا الاختلاف والتناحر بطبيعة الحال هو على حساب المسجد وأدواره في المجتمع، مما أدى إلى استياء الرواد من هذه الممارسات، وحتى الرؤساء الذين صرحوا بتنسيقهم مع الأئمة، نلاحظ أن هذا التنسيق غير كاف بالمقارنة مع التعاون الذي يمكن أن يقدمه الإمام، وهذا ما يؤكد صراحة الممارسات غير اللائقة بين الطرفين، والتي لا تصب في الأخير في صالح برنامج نشر الثقافة البيئية بطريقة غير مباشرة، وهذا تأكيد على عدم قيام رؤساء الجمعيات بدورهم في هذا المجال، وما يؤكد كل هذا الكلام ما ورد في الجدول رقم (08)، الذي تدور نتائجه حول مدى قناعة رؤساء الجمعيات بما يقدمه لهم الأئمة من مساعدات، فكانت نفس النسب المذكورة في الجدول رقم (07)، أين نجد أن طبيعة العلاقة بين الطرفين هي التي تحكم مدى التنسيق (جدول 07)، أو مدى القناعة (جدول رقم 08)، حيث إن 60% من رؤساء الجمعيات غير مقتنع بأداء الأئمة لأن علاقتهم مع أئمتهم متوترة، و40% مقتنعون لأن العلاقة بينهما طيبة، وهذا كله لا يخدم دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، مادامت العلاقات لا تتسم بالواقعية والموضوعية في العمل، بعيدا عن العاطفة.

VI-3-2- نتائج الدراسة في ضوء التساؤل الفرعي الثالث :

والذي مفاده "ما هو رأي رواد المساجد في دور المسجد في نشر الثقافة البيئية"، وقد خصصنا لهذا التساؤل استمارة خاصة برواد المساجد، والتي دارت مؤشراتها حول رأي رواد المساجد في دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، وقد أخذنا عينة من رواد المساجد موجهة نحو المتعلمين وقد شرحنا ذلك سالفا، وكان ذلك ابتداءً من السؤال رقم (04) في الاستمارة، إلى غاية السؤال الأخير رقن (09)، فتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية في ضوء استمارة رواد المساجد:

تؤكد لنا الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (04)، أن كل رواد المساجد أي بنسبة 100% أكدوا على اهتمامهم بالبيئة ومواضيعها، وكانت اهتماماتهم حول نظافة المحيط بنسبة 70.58%، وأغلب هذه النسبة كانت من الرواد القاطنين في الأرياف، ثم يلي ذلك موضوع المساحات الخضراء بنسبة 29.41%، وأغلبها كانت إجابات الرواد القاطنين في المدينة (عين اعبيد مركز)، فنستنتج إذن أن أغلب الرواد القاطنين في الأرياف يهتمون بنظافة المحيط لأنهم يرون أنها الأولوية عند الحديث عن البيئة وقضاياها ولأنهم في الواقع يعانون من تلوث بيئي كبير نتيجة النفايات والقمامات المتراكمة أمام بيوتهم، فتركزت لديهم فكرة البيئة تساوي نظافة المحيط بدرجة أولى من النفايات، وهذا تأكيد كما جاء في النتائج السالفة الذكر في ضوء التساؤلين الفرعيين الأول والثاني، على اهتمام

الريف بنظافة المحيط بدرجة أولى، إضافة إلى الإهمال والتهميش الفظيع لهذه المناطق من طرف السلطات المحلية بصفة خاصة وكل الهيئات الحكومية أو غير الحكومية بصفة عامة، ومن جهة أخرى فإن للإجابة التي أفادنا بها رواد المساجد المهتمين بالمساحات الخضراء، والتي بلغت نسبتهم 29.41%، وأغلبهم سكان المدينة، لأكبر دليل على ارتفاع مستوى درجة الوعي البيئي مقارنة مع أمثالهم من سكان الريف، حيث إن معاناة أهل المدينة من التلوث بالنفايات والقمامات ليس بالحدة الموجودة في المناطق الريفية، وهذا راجع إلى الاهتمام ولو البسيط للسلطات المحلية والهيئات الحكومية بقضايا البيئة في المناطق الحضرية، سواء في مجال تنظيف المحيط، أو المساحات الخضراء، أو غيرها، وسهولة التواصل والاتصال بين كل الفاعلين الاجتماعيين داخل المنطقة الحضرية سواء في مجال البيئة أو غيرها، وهذا ما يعطي نوعا من اللباقة والسلاسة في التعامل مع البيئة لدى المواطنين ومنه لدى رواد المساجد، فعندما يلاحظون أن هناك اهتمام ولو بسيط بقضايا البيئة، أي نقصد تنظيف المحيط من خلال البرامج المطبقة داخل المساجد من طرف الأئمة وموظفوها، أو الجمعيات بمساعدة السلطات المحلية، كما جاء في البيانات الكمية الواردة في الجداول السالفة التحليل، يعطيهم هذا فسحة في تجاوز عقبة تنظيف المحيط إلى الاهتمام كذلك بالمساحات الخضراء، أي الجانب الجمالي للبيئة، وحسب كل هذه الشواهد الكمية يتأكد لدينا مستوى الوعي والثقافة البيئية المتدني لدى رواد المساجد، فالظروف الواقعية هي المتحكمة بدرجة أولى في مستوى وعيهم البيئي، وليس المستوى التعليمي أو الاهتمام الثقافي أو الجانب العقدي.

يتضح لنا من خلال النتائج المسجلة في الجدول رقم (05)، أن كل أفراد العينة بنسبة 100%، يؤكدون على أن للمسجد دورًا كبيرًا في نشر الثقافية البيئية وهذا ما يؤكد لنا أن هناك طرح إسلامي لقضايا البيئة، بل يتعدى ذلك إلى أن هناك عمقٌ فكري وعقدي وروحي من جهة ومادي نفعي من جهة أخرى عالج الإسلام بطريقة إعجازية في القرآن والسنة، ويتضح ذلك من خلال تناولنا لهذا الموضوع في الجانب النظري من الدراسة وبالضبط في فصل المدخل الإسلامي للبيئة، وهذا ما اعتقده كل رواد المساجد عندما استجوبناهم عن دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، باعتباره المُجسد الحقيقي للإسلام من خلال الممارسات التعبدية سواء المعنوية أو المادية، وإيمانا منهم بقوله تعالى: (**... ما فرطنا في الكتاب من شيء ...**). (سورة الأنعام، الآية:38)، وأما عن الأدوار التي يمكن أن يلعبها المسجد في نشر الثقافة البيئية في الشريعة الإسلامية، وتجسيدا على أرض الواقع، فقد اختلفت الآراء والتصريحات حول ذلك، فقد أجاب 48.24%، بضرورة القيام بمحاضرات حول البيئة، ونسبة 43.53% أكدوا على الحملات التطوعية لنظافة المحيط، ونسبة 5.88% أكدوا على التركيز على تنظيم مسابقات بيئية ميدانية، ونسبة 2.35% أكدوا على ضرورة تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة، وهذه النشاطات المقترحة طبعا هي ما يجب أن يركز عليه المسجد في برنامجه لنشر الثقافة البيئية حسب رأي الرواد، ونستنتج من خلال ما يؤكده الجدول رقم (05)، تنوع الأدوار التي من المفروض أن يقوم بها المسجد لنشر الثقافة لبيئية، ونلاحظ أن أعلى نسبة هي للرواد الذين يؤكدون على ضرورة القيام بمحاضرات حول البيئة بصفة عامة، حتى يفهم الرواد المقاصد الشرعية للحفاظ على البيئة إضافة إلى تبيان مكانتها في الإسلام، هذا حسب تصريحات الرواد عند إجرائنا لمقابلاتٍ معهم، وحسب رأيهم هو أن أنجح حل للانصياع لأوامر الحفاظ على البيئة والحرص عليها هو ما أمر به الله سبحانه وتعالى، أما ما عدا ذلك فهو غير مهم أمام

المصلحة الشخصية لأي مواطن، ثم يلي ذلك 43.53% من الرواد الذين يحرصون على تنظيم حملات تطوعية لنظافة المحيط، وهي كذلك نسبة عالية مقارنة مع باقي النسب، ويرجع اختيار الرواد لهذا العمل البيئي بالذات، إلى ما يعانيه المواطن من تدهور بيئي وتلوث للمحيط، خاصة في المناطق الريفية، لأن أغلب هذه النسبة يمثلها سكان الأرياف، وقد تحدثنا في النتائج السالفة في المحاور الخاصة بالأئمة ورؤساء الجمعيات عن التدهور البيئي الفظيع في المناطق الريفية خاصة، وكردة فعل ذهنية فكرية جعلت هذا المؤثر وهو التلوث البيئي يعكس حل تنظيف المحيط، كرسالة مباشرة للرواد من جهة، وكآلة ناجعة من آلات نشر الثقافة البيئية، وأما عن النسبتين الأخيرتين والمتدنيتين مقارنة مع النسبتين الأوليين، فسبب تدنيهما هو أخذهما من باب التسلية لأنهما صيغتا في قالب مسابقات، وأغلب من أيد هذين الفكرتين هما ذوو مستوى جامعي، ولهم، دراية بمدى التأثير الذي يمكن أن تخلفه مثل هذه المسابقات في ذهنية رائد المسجد.

وفي الأخير وعن الدور الذي يقوم به المسجد في نشر الثقافة البيئية على أرض الواقع، فإن الشواهد الكمية الواردة في الجدول رقم (06)، تؤكد أن كل أفراد العينة أي بنسبة 100%، يؤكدون على عدم قيام المسجد بهذا الدور، وهذا راجع حسب تصريحات الرواد، وبدرجة أولى بنسبة 45.88% إلى عدم اهتمام الإمام، و بنسبة 44.71% إلى عدم وجود توجيهات من السلطة الوصية (النظارة)، وبنسبة 5.88% إلى عدم اهتمام جمعية المسجد، ونسبة 3.52% إلى انعدام الثقافة البيئية لدى القائمين على المسجد، فيما لا أحد يُحمِّل المسؤولية للمواطنين أي بنسبة 0%، ونفس النسبة لأية أسباب أخرى، والملاحظ أن أغلب الرواد يحملون المسؤولية للإمام ونظارة الشؤون الدينية، وعن تحميلهم المسؤولية للإمام فنأخذ رأيهم بعين الاعتبار لأن لديهم اتصال مباشر مع الإمام في المسجد، وعليه يمكنهم تقييمه وإبداء رأيهم فيه، أما عن تحميلهم المسؤولية لنظارة الشؤون الدينية فلا يمكن أخذ رأيهم بعين الاعتبار، لأنهم لا يعلمون ولا يطلعون على ما يمكن أن يحدث من اتصال بين الإمام والإدارة الوصية، فرأيهم هذا هو استنتاج ذهني جسدوه من خلال حكمهم على المسجد والدور الهزيل الذي يقوم به في مجال نشر الثقافة البيئية، وهذا بطبيعة الحال حكم طبيعي ومنطقي رغم أنه غير موضوعي، وهكذا الحال بالنسبة للأسباب المتبقية والمتعلقة بمستوى الثقافة البيئية لدى القائمين على المسجد (الموظفين)، أو الجمعية، فلا تؤخذ آراؤهم بعين الاعتبار، لأنهم حكموا على الظاهر دون أدلة أو حقائق ملموسة، لأنه ليس لديهم أدنى تواصل أو اتصال في هذا المجال، ولا يعلمون حقيقة التعامل بين الفاعلين الاجتماعيين داخل المسجد فيما بينهم أو علاقتهم مع الجهات الوصية على المسجد (النظارة).

VI-2-4- نتائج الدراسة في ضوء التساؤل الرئيس :

والذي مفاده " إلى أي مدي يمكن للمسجد أن يقوم بدور نشر الثقافة البيئية".

بعد نزولنا إلى الميدان وجمعنا البيانات اللازمة، وقمنا بتفريغها وتحليلها وتفسيرها، وتوصلنا إلى عدة نتائج تناولناها في ضوء التساؤلات الفرعية الثلاثة للإشكالية، والتي من خلالها يمكننا أن نخلص إلى النتيجة العامة في ضوء التساؤل الرئيس، محاولين الإجابة عليه استنادا إلى الشواهد الكمية الواردة في كل جداول الاستمارات

الثلاثة، والتي تقودنا بدورها إلى الاعتماد أساسا على النتائج السالفة الذكر، وهي إجابات صريحة موضوعية على التساؤلات الفرعية والتي جاءت كالآتي:

 من خلال الشواهد الكمية الواردة في الجداول التي علقنا عليها وتوصلنا من خلالها إلى نتائج التساؤل الأول، فكانت الإجابة عليه، انطلاقا من أن الدور المنوط بأئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية، هو دور جد مهم وجوهري وأساسي من بين كل أدوار الفاعلين الاجتماعيين داخل المسجد، على اعتبار أن الإمام هو المعلم والمدرس والساهر على تلقين العلم الشرعي، وإذا أردنا معرفة دور المسجد في القيام بأي وظيفة وفي أي مجال، فلا بد من وضع دور الإمام على المحك فهو خير ممثل لدور المسجد، فقد توصلنا من خلال النتائج الفرعية إلى أن هناك دور هزيل وضعيف يقوم به الإمام في نشر الثقافة البيئية، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى عدة أسباب من بينها، ضعف التكوين لدى الأئمة في مجال البيئة وقضاياها، نقص المساعدات المقدمة من طرف السلطات الوصية على المساجد والتي اقتصرت فقط على خطب الجمعة ونادرا ما تكون، النقص الكبير للإعانات المادية والبشرية من طرف الهيئات الحكومية وخاصة السلطات المحلية، وانعدام الإعانات المالية، وفي بعض الأحيان ومع أغلبية المساجد ونقصد بها الواقعة في المناطق الريفية تنعدم تماما هذه الإمدادات أو المساعدات، أغلب أئمة المساجد لا يجدون جهات ينسقون معها إلا نادرا ما يكون ذلك، وخاصة جمعيات المساجد فأغلبها لا تنسق مع الإمام، وعليه فإن الأئمة لا يقومون بالدور الحقيقي المنوط بهم في نشر الثقافة البيئية.

ويتضح ذلك من خلال إحصائيات الجداول الواردة في الاستمارة الخاصة برؤساء الجمعيات ومن خلال نتائجها، نستنتج أن هناك ضعف كبير ونشاط جد هزيل لجمعيات المساجد، وهذا كذلك راجع لعدة أسباب نذكر منها كما أكدت عليه الإحصاءات، أن أغلب الجمعيات لها علاقات متوترة مع أئمتها مما عاد بالسلب على نشاطاتها، إضافة إلى ضعف الوعي البيئي، حيث تؤكد الشواهد على أن اهتمامات رؤساء الجمعيات تدور فقط بنسبة كبيرة حول تنظيف المحيط، وتليها بعض الاهتمامات بالمساحات الخضراء وهذا في المنطقة الحضرية فقط، وحسب تصريحاتهم من خلال المقابلات التي أجريناها معهم، أكدوا على أن جُل نشاطاتهم تتعلق بقضايا البناء وتهيئة المسجد في مجال العمران فقط، وعليه نخلص إلى أن مشاركة جمعيات المساجد في مجال نشر الثقافة البيئية بين الرواد هي مشاركة ضعيفة جدا لدرجة أنه يمكن إهمالها.

وتؤكد البيانات الإحصائية الواردة في الجداول التي قمنا بتحليلها في ضوء التساؤلات الواردة في الاستمارة الخاصة برواد المساجد، نجد أن جميعهم مستاؤون من الدور الذي يقوم به المسجد في مجال نشر الثقافة البيئية، وأغلبيتهم يحمِّلون المسؤولية للأئمة، مع أن هؤلاء الرواد مستعدون كل الاستعداد لتلقي أي نوع من أنواع التعليم أو التثقيف في مجال البيئة وقضاياها، وهذا ما تؤكده كل الشواهد الكمية في الاستمارة الأخيرة، وهذا أكبر دليل على أن الضعف يكمن في المُلَقِّن وليس في المُلَقَّن.

واستنادا إلى كل هذه النتائج في ضوء التساؤلات الفرعية، يمكننا أن نخلص إلى نتيجة عامة ونهائية، وهي في ذات الوقت إجابة على التساؤل الرئيسي وكانت كالآتي:

"إن المسجد وفي حدود مجال بحثنا لا يقوم بدوره في نشر الثقافة البيئية"، وقد وصلنا إلى هذه النتيجة من خلال استقرائنا للأدوار الفاعلة داخله في ضوء النظرية الوظيفية، من موظفي المسجد ويمثلهم الإمام، والجمعية ويمثلها رئيسها، أين خلصنا إلى أن دورهم جدّ ضعيف في مجال نشر الثقافة البيئية، وهذا ما يترجم ضعف المسجد في أداء هذا

الدور، مقارنة مع الدور المنوط به في هذا المجال، وخاصة أننا ومن خلال الجانب النظري للدراسة بيَّنا مدى عمق الطرح الإسلامي في مجال البيئة وقضاياها، وبيّنا كذلك الدور الكبير الذي يفترض أن يقوم به المسجد في الإسلام، في كل ما يتعلق بحياة الإنسان بصفة عامة، وقضايا البيئة بصفة خاصة باعتبارها من أهم ما يتعلق بحياته، وباعتبار أن المسجد هو من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الإسلامية، لأنه يتعلق بالجانب العقدي للإنسان، وهذا ما كان يفترض أن يناقَش ويجسَّد على أرض الواقع من خلال نشر الثقافة البيئية في المساجد، وضرورة التأكيد على الطرح الإسلامي الذي يعالج القضية ببعديها الثقافي أي الروحي العقدي والذهني من جهة، وهو المستوى التصوري كما ذكرناه في الجانب النظري من الدراسة في الفصل الخامس، ثم المستوى السلوكي وهو الجانب المادي الوضعي كما جاء في الطرح الغربي، لكن ما أكدته كل المؤشرات الواردة في الاستمارات الثلاثة، لا يتعدى الجهود المحتشمة للفاعلين الاجتماعيين في دورهم المنوط بهم في نشر الثقافة البيئية إلى أفعال أو نشاطات ميدانية مادية بحتة، وهذا ما يفسر الممارسات العدائية للبيئة من طرف الفرد المسلم، رغم أنه يملك طرحا رائعا في هذا المجال في ظل الشريعة الإسلامية، حيث نلاحظ إنه لا يوجد أدنى تطبيق لما جاء في الدستور الرباني، بخصوص البيئة، أين أكدت لنا الدراسة عدم قيام المسجد بدوره في هذا لمجال، وهو مؤسسة التنشئة الاجتماعية الإسلامية الوحيدة التي يفترض أن تقوم بهذا الدور، ومن جهة أخرى أكدت لنا الدراسة على أن الاتفاقية بين وزارة البيئة وتهيئة الإقليم والسياحة من جهة، ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف من جهة أخرى، ما هي إلا حبر على ورق، حيث لا توجد هناك أدنى متابعة للبرامج التي وضعت في مجال البيئة، ويتأكد هذا القول من خلال الخطب والتوجيهات التي ترسلها نظارة الشؤون الدينية إلى المساجد، فهي لا تطبق بحذافيرها رغم قلتها، إلا فيما يخص خطب الجمعة والتي تلقى من طرف الأئمة كسرد لآيات قرآنية وأحاديث نبوية دون تبيان البعد العقدي للقضايا البيئية في الإسلام، ولا توجد أدنى متابعة للنظارة لبرامجها المرسلة إلى المساجد، وما يمكن قوله في الأخير هو أن فاقد الشيء لا يعطيه.

القضايا التي تثيرها الدراسة:

من خلال هذه الدراسة يمكننا أن نصل إلى بعض القضايا المهمة، التي أثيرت في ضوء النتائج والخلاصة العامة، ويمكن أن تكون هذه القضايا موضوعات لأبحاث يقوم بها طلبة علم الاجتماع المهتمين بموضوع البيئة، والتي من شأنها أن تثري الجانب العلمي في هذا المجال، وإعطاء حلول واقعية للمشاكل البيئية التي تتفاقم يوما بعد يوم. وأهم القضايا التي أثارتها الدراسة هي:

- ضعف تكوين الفاعلين الاجتماعيين داخل المساجد، وعلى رأسهم الأئمة باعتبارهم أهم فاعل اجتماعي، وهم أول مسؤول عن المسجد شرعا وقانونا.
- نقص المساعدات المقدَّمة من طرف الجهات الوصية على المساجد، وخاصة السلطات المحلية.
- غياب التنسيق بين الأئمة والجمعيات من جهة، وبين هذه الأخيرة والسلطات المحلية من جهة أخرى.
- العلاقات المتوترة بين أعضاء الجمعيات والأئمة، التي أدت بطريقة أو بأخرى إلى عدم قيام المسجد بالدور المنوط به في نشر الثقافة البيئية.

- التركيز الكلي من طرف الفاعلين الاجتماعيين داخل المساجد على البعد المادي وإهمال البعد الروحي العقدي، في مجال نشر الثقافة البيئية.
- لا علاقة بين ما يجب أن يكون من خلال الطرح الإسلامي لقضايا البيئة، وما هو موجود على أرض الواقع من ممارسات تجاه البيئة من طرف الفرد المسلم.

إن هذه المجموعة من القضايا التي أثارتها الدراسة من خلال النتائج والخلاصة العامة، والتي تمثل في مجملها الأسباب الرئيسية التي أدت إلى عدم قيام المسجد بدوره الحقيقي في نشر الثقافة البيئية، هذه القضايا يمكن أن يستفيد منها الطلبة والباحثين المهتمين بشؤون البيئة، حيث تمثل بالنسبة إليهم أرضية يمكن الانطلاق منها في إعداد بحوث ودراسات حول موضوع البيئة وبالتحديد:

- إجراء دراسة مقارنة للطرح الإسلامي لقضايا البيئة مع الطرح الوضعي.
- إجراء دراسات سوسيولوجية ميدانية، لتبيان التأثير البيئي على حياة الإنسان في ضوء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.
- القيام بدراسات مقارنة بين الأديان السماوية بخصوص قضايا البيئة.
- إجراء دراسات حول طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة، في ضوء الشريعة الإسلامية.

الخاتمة

إن الطرح الإسلامي لقضايا البيئة يعد طرحا مضبوطا دقيقا، مقارنة مع الطرح الغربي الوضعي، وهذا بالرجوع إلى أصل هذا الوجود البيئي المحكم الخلق، ويعود ذلك إلى التناسق والدقة والعمق والشمولية في الطرح الإسلامي، والذي يركز على تناول قضايا البيئة ببعديها الروحي الثقافي من جهة، والمادي من جهة أخرى، بينما نجد الطرح الغربي لا يركز إلا على الجانب الأخير للبعدين، وهذا ما تطرقنا إليه بالدراسة والطرح في الجانب النظري.

ولعل المسجد كأهم مؤسسة تنشئة اجتماعية إسلامية، له الدور الكبير والريادي في تجسيد الطرح الإسلامي، من خلال ممارساته ونشاطاته التي يقدمها لرواد المساجد، خاصة في مجال نشر الثقافة البيئية بينهم، هذا الدور الذي يتمثل أساسا في مجموع أدوار الفاعلين الاجتماعيين داخل المسجد، ممثلين في الموظفين والجمعية، حيث أكدت الدراسة على نتيجة عامة نهائية مفادها أن المسجد يؤدي دورا جدّ ضعيف مقارنة مع الدور الحقيقي المنوط به في مجال نشر الثقافة البيئية في ظل الكتاب والسنة، وهذا راجع إلى الضعف الكبير في الأدوار التي يقوم بها هؤلاء الفاعلون الاجتماعيون داخل المسجد، وهذا ما يفسر السلوكات غير اللائقة من طرف الفرد المسلم اتجاه البيئة، رغم أنه يملك طرحا إسلاميا مضبوطا وعلميا، وهذا راجع أصلا إلى عدم تطبيق التوجيهات الربانية، حيث إنها بقيت عبارة عن توجيهات وتعاليم مجسدة في خطب روتينية، ناهيك عن جهود الدولة ممثّلة في نظارة الشؤون الدينية، والتي بقيت جهودها عبارة عن حبر على ورق، بسبب عدم المتابعة، إضافة إلى الإهمال والتهميش للبرامج الجدية والعملية لنشر الثقافة البيئية بين رواد المساجد.

وعليه فلا بد للدولة أن تولي اهتماما كبيرا ومتابعة ميدانية جدية، ووضع برامج عملية تجسد الطرح الحقيقي لقضايا البيئة من منظور إسلامي، والعمل على تحسين الأداء المسجدي في هذا المجال، بوضع ميكانيزمات وآليات مضبوطة وعملية للوصول إلى هذا الهدف، فإثارة وتر العقيدة في الإنسان هو أنجع طريقة لجعله يستجيب لكل مؤثر خاصة في مجال نشر الثقافة البيئية داخل المجتمع المسلم.

المـراجـــع

1- مراجع الدراسة باللغة العربية

2- مراجع الدراسة باللغة الانجليزية

-1- مراجع الدراسة باللغة العربية:

أ- الكتب:

1. أحمد إبراهيم شلبي: البيئة والمناهج المدرسية، معالم تربوية، مؤسسة الخليج العربي، 1984.
2. آل جور: ترجمة: عواطف عبد العزيز، الأرض في الميزان، طبعة الأهرام، القاهرة، 1995.
3. جيرة عبد الرحمان: الإسلام والبيئة، دار السلام، القاهرة، ط1، 1999.
4. حجاب محمد منير: التلوث وحماية البيئة، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1999.
5. حبيب محمود محمد والشرقاوي محروس عبد المجيد: الإسلام والحفاظ على البيئة، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، مصر، 2004.
6. الحلبوسي سعدون سلمان نجم: الفلسفة التربوية البيئية، دار الهدى، مالطا، 2002.
7. حسن عادل الشيخ: البيئة مشكلات وحلول، دار اليازوردي، 1997.
8. الحفار محمد سعيد: نحو بيئة أفضل، دار الثقافة، الدوحة، 1985.
9. دويدري رجاء وحيد: البيئة: مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التريثي، دار الفكر، دمشق، 2004.
10. زيدان زكي حسين: الأضرار البيئية وأثرها على الإنسان وكيف عالجها الإسلام، دار الفكر الجامعي، مصر، 2004.
11. السيد سلامة الحسيني: التربية وقضايا البيئة المعاصرة: قراءات عن الدراسات البيئية للمعلم، دار الوفاء، مصر، 2000.
12. سكوليموفسكي هنري: ترجمة: دمتري افييرينوس، فلسفة البيئة، الأبجدية للنشر، دمشق، ط1، 1992.
13. صباريني محمد سعيد ورشيد الحمد: البيئة ومشكلاتها، مكتبة الفلاح، الكويت، ط3، 1986.
14. صباريني محمد سعيد ورشيد الحمد: الإنسان والبيئة والتربية البيئية، الكويت، 1994.
15. علي خليل مصطفى وفايزة محمد عبده: المواجهات الإسلامية للتربية البيئية وتضمينها في مناهج التعليم العالي، الجزء 19 من المجلد الرابع، القاهرة، 1989.
16. علي محاسنة إحسان: البيئة والصحة العامة، دار الشروق، عمان، 1994.
17. الفقي محمد عبد القادر: البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999.
18. مجموعة من المؤلفين: التربية البيئية ودورها في مواجهة مشكلات البيئة في الأردن، 1987.
19. وهبي صالح محمود والعجي ابتسام درويش: التربية البيئية وآفاقها المستقبلية، دار الفكر، دمشق، 2003.

20. اليونيسكو: كتاب مرجعي في التربية السكانية: السكان والبيئة في الوطن العربي، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، الأردن، 1995.

ب- المنشورات والمطبوعات الجامعية:

1. أحمد باقادر أبو بكر وآخرون: دراسات في حماية البيئة في الإسلام، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، جدة 1983.
2. دليو فضيل: أسس البحث وتقنياته في العلوم الاجتماعية: 130 سؤالا وجوابا، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1997.
3. الشامي صلاح الدين: الندية بين الإنسان والطبيعة، نشرة دورية جامعة الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1985.
4. صباريني محمد سعيد والغرايبية سامح حسين: برنامج التربية البيئية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1993.
5. عليان عاطف وآخرون: كيمياء وفيزياء الملوثات البيئية، نشر جامعة قاريونس، ليبيا، دت.
6. عياد أحمد: مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
7. فيلالي صالح: مجموعة محاضرات لطلبة السنة الأولى ماجستير في علم اجتماع البيئة،جامعة منتوري قسنطينة، 2006.
8. محي الدين مختار: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981.

جـ- المجلات والتقارير والبحوث:

1. أحمد عبد الكريم سلامة: مفاهيم بيئية في آيات قرآنية، مجلة جامعة المنصورة للبيئة، العدد5، 1996.
2. الخطيب علي: التربية البيئية، مجلة التربية، العدد 105، 1993.
3. غسان السمان: قمة الأرض في جوهانسبورغ، مجلة المدينة العربية الصادرة بالكويت عن منظمة المدن العربية، العدد 111، الكويت، 2002.
4. النجار عبد المجيد عمر: قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات، قطر، 1999.
5. وزارة تهيئة الإقليم والبيئة: تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر 2000، الديوان الألماني للتعاون التقني، الجزائر، 2001.
6. وزارة تهيئة الإقليم والبيئة: تقرير حول وضعية النفايات المنزلية والإستشفائية والمياه القذرة، مديرية البيئة لولاية قسنطينة، 2004.

د- المذكرات الجامعية:

1. بن عياش حورية: صراع الأدوار لدى المرأة الجزائرية العاملة في ضوء بعض المتغيرات الشخصية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم النفس والعلوم التربوية، جامعة منتوري قسنطينة، 1994.
2. رداف لقمان: مشكلات تلوث البيئة الحضرية بالنفايات المنزلية بمدينة قسنطينة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة منتوري قسنطينة، 2007.
3. سليماني كمال: البعد العقدي الإسلامي للبيئة وأثره في المحافظة عليها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، 2005.
4. قريد سمير: دور الجمعية الوطنية لحماية البيئة ومكافحة التلوث في نشر الثقافة البيئية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التنمية، جامعة باجي مختار بعنابة، الجزائر، 2006.

هـ- المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور: لسان العرب المحيط: إعداد: يوسف خياط، دراسات العرب، بيروت، دت.
2. ايكه هولترانس: ترجمة: الجوهري محمد والشامي حسن: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، دار المعارف، مصر، 1973.
3. بودون يمون وبوريكو فرانسوا: ترجمة: سليم حداد: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1986.
4. دينكن ميتشيل: ترجمة: إحسان محمد الحسن: معجم علم الاجتماع، بيروت، 1981.
5. معن خليل العمر: معجم علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2000.

و- مراجع أخرى:

1. أحمد فكري نقلا عن ليون كيتاني: مسجد القيروان، دت.
2. أحمد النيال مايسة: التنشئة الاجتماعية، مبحث في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعة، مصر، 2002.
3. أبوجادو وصالح محمد علي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، عمان، ط5، 2006.
4. أبو عبيد القاسم بن سلام: تحقيق: محمد حامد الفقي: الأموال، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1353هـ.
5. ابن خلدون: المقدمة، الجزء 1، دار الفكر، 1981.
6. إبراهيم ناصر: أصول التربية، الوعي الإنساني، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ط1، 2004.
7. إحسان محمد الحسن: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1999.

8. إحسان محمد الحسن: النظريات الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2005.
9. إحسان محمد الحسن: الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، ط2، 1986.
10. البياتي منير حميد والدوري قحطان عبد الرحمان: المدخل الى الدين الإسلامي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976.
11. البخاري: ضبط وتخريج: مصطفى البغا: صحيح البخاري، بيروت، 1981.
12. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968.
13. جمال زكي والسيد ياسين: أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، مصر، 1962.
14. الرازي: التفسير الكبير، الجزء 4، القاهرة،1962.
15. روبرت أقروس وجورج ستانسيو: ترجمة: كامل خلايلي: العلم في نظوره الجديد، دار المعرفة، الكويت، 1989.
16. الزركشي محمد بن عبد الله: إعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة، 1385 هـ.
17. السيد فؤاد البهي: علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980.
18. ستانلي لينبول: الترجمة العربية، سيرة القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950.
19. السيوطي: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: تاريخ الخلفاء، مكتبة المثنى، دت.
20. عمر بن محمد النسفي: العقائد بشرح التفتزاني، 1335 هـ.
21. عبد الباسط محمد عبد المعطي: البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
22. عبيدات محمد وآخرون: منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 1999.
23. عبد الله عامر الهمالي: أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، جامعة قاريونس، ليبيا، ط3، 2003.
24. عفيفي السيد عبد الفتاح: بحوث في علم اجتماع المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
25. غربي علي: أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية، مطبعة سيرتا، قسنطينة، 2006.
26. طه الولي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1988.
27. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الجزء 8، دار الكتب، القاهرة،1938.
28. القاسمي محمد جمال الدين: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: محاسن التأويل، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، يبروت، دت.

29. مسلم: تعليق: النووي: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، دت.
30. محمد الغريب عبد الكريم: البحث العلمي، التصميم والمنهج والإجراءات، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996.
31. محي الدين مختار: الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، دت.
32. منصور الرفاعي عبيد: مكانة المسجد ورسالته، ط1، 1987.
33. مؤنس حسين: المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1987.
34. معن خليل العمر: التنشئة الاجتماعية، دار الشروق، عمان، ط1، 2004.
35. الوشلي عبد الله قاسم: المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1990.

ز- مواقع الانترنيت:

1. WWW.ISLAMONLINE.COM 21h 00, 12/01/2009
2. WWW.ENVIRONNEMENT.GOV 20 h 00, 25/01/2009

-2- مراجع الدراسة باللغة الانجليزية:

1. **Abercrombie. N, Stephen. H and Bryans. T: The Penguin Dictionary of Sociology, Penguin Books, 1984.**
2. **BENTONT: Biology and Social Science, Routledge, New York, 1991.**
3. **ERIXON M.S: ENVIRONNEMENTAL CULTURE, 1955.**
4. **JOHNA-HANNIGAN: ENVIRONNEMENTAL SOCIOLOGY (A SOCIAL constructionist perspective), Routlberge of TAYLOR and Francis groups, New York, 1999.**
5. **Timasheff. N.S and Theodorson. G.A: SOCIALOGICAL THEORY (Its nature and Growth), Random house, New York, 1976.**

الملاحق

الاستمارات

استمارة خاصة بالأئمة:

أولا : البيانات الشخصية:

1- الحالة العائلية :

- ✓ أعزب ☐ متزوج ☐
- ✓ مطلق ☐ أرمل ☐

2- مكان الإقامة :

- ✓ مدينة ☐
- ✓ ريف ☐

3- المستوى التعليمي :

- ✓ متوسط ☐
- ✓ ثانوي ☐
- ✓ جامعي ☐

4- شهادة التأهيل للوظيفة :

- ✓ شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية ☐
- ✓ شهادة كفاءة في الإمامة ☐
- ✓ أخرى ☐

5- الرتبة في الإمامة :

- ✓ إمام معلم ☐
- ✓ إمام مدرس ☐
- ✓ إمام أستاذ ☐
- ✓ إمام متطوع ☐

ثانيا : دور أئمة المساجد في نشر الثقافة البيئية :

6- هل هناك برامج تأتيكم من الجهات الرسمية المسؤولة عن المساجد بخصوص نشر الثقافة البيئية؟

✓ نعم ☐ لا ☐

7- إذا كان الجواب نعم، ما طبيعة هذه التعليمات او البرامج؟

✓ حضور ملتقيات ☐

✓ تنظيم مسابقات ☐

✓ توجيهات عامة ☐

✓ خطب مكتوبة ☐

✓ أخرى تذكر ☐

8- ما هي الأساليب المتبعة من طرفكم في تحسيس الناس بالمشاكل البيئية؟

✓ عن طريق تنظيم حلقات لرواد المساجد ☐

✓ عن طريق تقديم دروس يومية ☐

✓ عن طريق خطب الجمعة ☐

✓ أخرى تذكر ☐

9- هل تقومون بمبادرات خاصة فيما يتعلق بنشر الثقافة البيئية؟

✓ نعم ☐ لا ☐

10- إذا كان الجواب نعم، فيما تتمثل هذه المبادرات؟

✓ محاضرات حول البيئة ☐

✓ حملات تطوعية لنظافة المحيط ☐

✓ تنظيم مسابقات ميدانية حول البيئة ☐

✓ تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة ☐

11- هل تجدون تجاوبا من طرف المواطنين؟

✓ نعم ☐ لا ☐

12- إذا كان الجواب لا، ما هي أسباب عدم التجاوب في رأيكم؟

✓ اللامبالاة ☐

✓ الجهل ☐

✓ انعدام القيم الأخلاقية ☐

✓ أخرى تذكر ☐

13- هل تتعاون معكم السلطات المحلية في الوصول إلى هدفكم؟

✓ نعم ☐ لا ☐

14- إذا كان الجواب نعم، ما طبيعة هذا التعاون؟

✓ إمداد بالوسائل المادية ☐

✓ إمداد بالوسائل البشرية ☐

✓ إعانات مالية ☐

✓ أخرى ☐

15- هل حدث و أن نظمت لكم نظارة الشؤون الدينية دورات تكوينية خاصة بقضايا البيئة؟

✓ نعم ☐ لا ☐

16- ما تقييمكم لعملية نشر الثقافة البيئية؟

✓ فاشلة ☐

✓ متوسطة ☐

✓ ناجحة ☐

استمارة خاصة برؤساء الجمعيات:

أولا : البيانات الشخصية:

1- الحالة العائلية :

- ✓ أعزب متزوج ☐
- ✓ مطلق ☐ أرمل ☐

2- مكان الإقامة :

- ✓ مدينة
- ✓ ريف

3- المستوى التعليمي :

- ✓ متوسط ☐
- ✓ ثانوي ☐
- ✓ جامعي ☐

ثانيا : مدى مشاركة جمعيات المساجد في نشر الثقافة البيئية؟

4- هل تهتمون بموضوع نشر الثقافة البيئية بين المواطنين؟

- ✓ نعم ☐ لا ☐

5- إذا كان الجواب بعم، ما هي أهم الموضوعات التي تشغل بالكم في هذا المجال؟

- ✓ تنظيف المحيط ☐
- ✓ الاهتمام بالمساحات الخضراء ☐
- ✓ توعية المواطنين ☐
- ✓ إقامة مسابقة لأنظف حي ☐

6- ما هي الجهات الأخرى التي تعتمدون عليها في تحقيق أهدافكم؟

- ✓ السلطات المحلية ☐
- ✓ جمعيات المساجد الأخرى ☐
- ✓ المواطنون ☐
- ✓ نظارة الشؤون الدينية ☐

7- ما طبيعة التعاون مع الجهات التي تنسقون معها؟

- ✓ امداد بالوسائل المادية ☐
- ✓ إمداد بالوسائل البشرية ☐
- ✓ إعانات مالية ☐

✓ أخرى ☐

8- هل تقومون بالتنسيق مع الإمام فيما يخص تطبيق برنامج العمل العلمي؟

✓ نعم ☐ لا ☐

9- إذا كان نعم، ما طبيعة هذا التعاون؟

✓ مساعدة عن طريق الخطب والدروس ☐

✓ مساعدة مع السلطات ونظارة الشؤون الدينية ☐

10- هل أنتم مقتنعون بما يقدمه لكم الإمام من مساعدات ؟

✓ نعم ☐ لا ☐

استمارة خاصة برواد المساجد

أولا : البيانات الشخصية:

1- الحالة العائلية :

✓ أعزب متزوج ☐

✓ مطلق ☐ أرمل ☐

2- مكان الإقامة :

مدينة ☐

ريف ☐

3- المستوى التعليمي :

ابتدائي ☐

متوسط ☐

ثانوي ☐

جامعي ☐

ثانيا : رأي رواد المساجد فيما يقوم به المسجد بخصوص نشر الثقافة البيئية:

4- هل تهتم بموضوع البيئة؟

✓ نعم ☐ لا ☐

5- إذا كان الجواب نعم، ما هي الموضوعات التي تشغل بالك؟

نظافة المحيط ☐

المساحات الخضراء ☐

أخرى ☐

6- هل ترى أن للمسجد دورًا في نشر الثقافة البيئية ؟

✓ نعم ☐ لا ☐

7- إذا كان الجواب نعم، فيما يتجسد هذا الدور؟

القيام بمحاضرات حول البيئة ☐

حملات تطوعية لنظافة المحيط ☐

تنظيم مسابقات بيئية ميدانية ☐

تنظيم مسابقات علمية خاصة بالبيئة ☐

8- هل يقوم المسجد فعلا بهذا الدور؟

✓ نعم ☐ لا ☐

9- إذا كان الجواب لا ، إلى أي شيء يعود ذلك؟

عدم اهتمام الإمام ☐

عدم اهتمام الجمعية ☐

عدم اهتمام المواطنين ☐

انعدام الثقافة البيئية لدى القائمين على المسجد ☐

عدم وجود توجيهات من السلطة الوصية ☐

أخرى تذكر ☐